

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة ابن خلدون - تيارت  
كلية الآداب و اللغات  
قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

## قضايا نحو النص بين التأصيل العربي و التنظير

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

في مشروع: الدراسات النحوية والبلاغية في ظل مناهج البحث الحديثة

إشراف الأستاذ:

د. عوني أحمد محمد

إعداد الطالبة:

أسماء نوني

لجنة المناقشة:

المركز الجامعي تيسمسيلت	رئيسا	د بن جامعة الطيب
جامعة تيارت	مشرفا و مقررا	د. عوني أحمد محمد
جامعة تيارت	عضوا مناقشا	د. محمودي بشير
جامعة تيارت	عضوا مناقشا	د. غانم حنجار
جامعة تيارت	عضوا مناقشا	د. زروقي عبد القادر

السنة الجامعية

1431- 1432هـ / 2010- 2011م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# كلمة شكر

شكرا للأستاذ عوني أحمد  
على: جديته، انضباطه، سعة صدره  
الشكر موصول لكل أساتذتي الكرام  
الأستاذ أحمد بوزيان ، الأستاذ غانم حنجان  
الأستاذ بشير محمودي، الأستاذ عبد القادر زروقي  
الأستاذ محمد تاج، الأستاذة فضيلة قوتال

رضيّا لي العلم سبيلا أسلكه وموردا أردّه  
كفيّاني عنت الحياة و شقائها  
إلى أمي و أبي  
إلى زينة الحياة شهد، جهاد  
إلى من وقفت معي وقفة الأخت سمية  
إلى إخوتي ميلود، حميد، برهان، جهاد  
إلى كل العائلة الكريمة  
إلى كل الصديقات  
إلى زملائي من مشروع الدراسات النحوية  
إلى الذهب الخالص  
وسط مهرجانات الزيف  
و الخداع...

# مدخل أثر الدرس الإعجازي في التأسيس لمعاني النحو

1. الرماني: بداية الاهتمام بالعلاقات داخل النص
2. الخطابي: الجمع بين اللفظ والمعنى في تصور مفهوم النظم
3. الباقلائي: ربط مصطلح النظم بالطرق المتفردة للتأليف
4. القاضي عبد الجبار المعتزلي: ضمّ وتركيب الكلام أساس نظرية النظم

الربط بين معاني النحو، ونحو النص، هو أساس التصور القائم لإمكانية توافر قضايا نحو النص في التراث العربي، ولاشك أن معاني النحو، أو نظرية النظم لم تأت مكتملة في أول أمرها، بل مرت بأطوار حتى استقرت على أسس علمية على يد عبد القاهر الجرجاني\*، فقد بدأت تلك الأفكار، والتصورات المتضمنة في نظرية النظم تكتنه في بنية التفكير الإسلامي في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد، وأتمت نضجها على أيد أجيال من العلماء.

يمكن التأصيل لمصطلح النظم من خلال بحث العلماء في أسباب تعذر الإتيان بمثل القرآن الكريم، من ثم ظهرت فرق تحاول إثبات ذلك التعذر كل من وجهة نظرها، كانت تلك الخلافات خاضعة للمذاهب الكلامية والأصولية لكل فرقة مما أدى إلى اصطباغ المجال اللغوي بصبغة فكرية أصولية كلامية، ولعل أكثر من عني بهذا الخلاف فرقتي المعتزلة و الأشاعرة، غير أن ما يركز عليه هذا الجزء من البحث رصد مصطلح النظم في الدراسات التي وظفته بخصائصه ومظاهره كدلالة على إعجاز القرآن وانسجامه، بالتالي إمكانية طرح فرضية اهتمام التراث العربي بالانسجام، والاتساق في النصوص انطلاقاً من إثباته لإعجاز القرآن بهذا الانسجام وحسن التأليف.

لقد ورد مصطلح النظم عند الجاحظ المعتزلي\*\* (ت255هـ) في مؤلفاته في معرض حديثه عن تحدي القرآن الكريم للرافضيين كونه متزلاً، ويضيف في الحيوان أن ما يدل على صدق القرآن، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله أحد من العباد<sup>(1)</sup>.

ونجد عبد القاهر الجرجاني الذي تبلورت نظرية النظم عنده، ينقل بعض التحليلات عن الجاحظ لبعض الآيات القرآنية، التي توضح دلالة النظم لديه، إذ عني تحليل الجاحظ بملاحظة العلاقات بين

\* - عبد القاهر الجرجاني، فارسي الأصل، جرجاني الدار، امتاز بثقافته الواسعة، مؤلفاته "دلائل الإعجاز"، "أسرار البلاغة"، توفي سنة 417هـ، ينظر: الفقطي، أنباء الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، سنة1950م، ج/02، صص: 188 - 190.

\*\* - أبو عثمان عمر بن بحر بن محبوب الكناني، الليثي اشتهر بالجاحظ، من كبار أئمة البصرة، ألف كثيراً من الكتب، أشهرها: "البخلاء"، "البيان والتبيين"، "الحيوان"، توفي سنة 255هـ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، سنة: 1936م، ج16، ص: 74.

1 - ينظر: أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د.ط)، دار الجيل، بيروت، سنة: 1986، ج/04، ص: 90.

الآيات بعضها وبعض، إلا أن ما اختصَّ به نظم الجاحظ عناية طافحة بجماليات الصياغة اللفظية، كالبديع، والازدواج، والمجاز<sup>(1)</sup>. في حين سكت الجرجاني عن الكثير من تلك المسائل على غرار البديع.

إضافة إلى الجاحظ، تذكر المصادر والتراجم بعض العلماء الذين صنّفوا مصنفات في الإعجاز احتوت مصطلح النظم، فُقِدَت ولم تصل إلينا، مثل كتاب أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت316هـ)، وأحمد بن سليمان (ت322هـ) وتذكر بعض الدراسات تأثر عبد القاهر بهؤلاء العلماء في بناء نظرية النظم، إلا أن الجرجاني لم يذكر ذلك في حين ذكر جهود علماء آخرين مثل الجاحظ والرماني\* وغيرهم، وقد صرّح بانتفاعه من مجهوداتهم. ولأجل الوصول إلى نظرية النظم عند الجرجاني وجب تتبع الطرح الفكري واللغوي واختلافاته حول ماهية الإعجاز، لأن لذلك أثرا مباشرا في نشأة مفهوم النظم وتطوره، ابتداءً من طرح الرماني.

### 1. الرماني: بداية الاهتمام بالعلاقات داخل النص:

علي بن عيسى الرماني أحد أعلام المعتزلة، له مصنفات كثيرة في التفسير، واللغة، والنحو، وعلم الكلام، أهم ما يميّز مصنفاته، مزج كلامه بعلم المنطق، ألف رسالته النكت في إعجاز القرآن، ذهب فيها إلى أن القرآن معجز ببلاغته، وهو أعلى طبقات الكلام عنده، بينما الطبقة الوسطى والدنيا بلاغة البلغاء حسب تفاوتهم في البلاغة، وليست البلاغة عنده إفهام المعنى؛ لأنه قد يفهم المعنى متكلمان، أحدهما بليغ والآخر عيب، وليس بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه يحقق اللفظ على المعنى وهو غث

1 - ينظر سعيد حسن البحري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، (د.ط)، مكتبة زهراء الشرق، (د.ت.) ص: 162.

\* - هو علي ابن عيسى الرماني (296 - 284) عالم معتزلي، من كبار اللغويين والنحاة، ولد ببغداد وتوفي بها، صنّف العديد من أنواع الكتب في شتى أنواع المعرفة، خاصة في علوم العربية، اللغة والنحو، والتفسير، والاعتزال، ينظر: محمد بن إسحاق، ابن النديم، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة: 1997، ص: 286.

مستكره ونافر متكلف، "وإنما هي إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"<sup>(1)</sup>. يظهر أن الرّماني يجمع بين المعنى واللفظ بشرط وقوع توازن بينهما للوصول إلى أعلى درجة من البلاغة.

يقسم الرّماني البلاغة إلى عشرة أقسام، كلها مرتبطة بانسجام النص، يمكن تصور تقسيم معايير البلاغة عنده إلى ما هو مختص بالنظم أو التأليف، وما هو مختص بجودة السبك والصيغة، وكلها مسائل تتعلق بشكل أو بآخر بمبادئ وقضايا نحو النص في مفهومه الحديث؛ رهان ذلك أن الرّماني يفرق بين دلالة الأسماء والصفات، ودلالة التأليف؛ فقد عدّ الأولى متناهية، أما الثانية فليس لها نهاية، ما يعبر عن اهتمام جسيم بالعلاقات داخل النص، وما تولده من دلالات لا محدودة.

ذلك يثبت أن مفهوم النظم والتأليف اتسع في فكر الرّماني، رغم أنه لم يشغل الحيز الذي شغلته باقي معايير البلاغة عنده، وهي عشرة، الإيجاز: "وهو تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى"<sup>(2)</sup>، والتشبيه "هو العقد على أن أحدّ الشيئين يسدّ مسدّ الآخر، في حسّ أو عقل"<sup>(3)</sup>، ثم الاستعارة وهي: "تعليق العبارة على غير ما وضعت له من أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"<sup>(4)</sup>، أمّا التلاؤم فهو حسن النظم والرصف، ولعلّ هذا أكثر ما اعتمد عليه الجرجاني فيما بعد في استكمال بناء نظرية النظم. يولي الرّماني هنا أهمية لجماليات الصياغة اللفظية، ويقسم الكلام إلى ثلاث طبقات: متنافر يستثقله اللسان وتمجّهُ الآذان، ومتلائم في الطبقة الوسطى، تدخل فيه بلاغة البلغاء، ومتلائم في الطبقة العليا، وهو أسلوب القرآن؛ الذي تصغي إليه الآذان، كما تصغي له القلوب والأفئدة<sup>(5)</sup>، ثم في كلامه عن الفواصل قال: "هي حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني"<sup>(6)</sup>. وأثبت بلاغة الفواصل من خلال تبعيتها للمعاني، وهي وجهان، وجه على الحروف المتجانسة مثل قوله تعالى:

1 - أبو الحسن علي بن حسين بن عيسى الرّماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، صص: 75 ، 76.

2 - الرّماني، النكت في إعجاز القرآن، ص: 76.

3 - الرّماني، المصدر نفسه، ص: 80.

4 - الرّماني، المصدر نفسه، ص: 85.

5 - ينظر: الرّماني، المصدر نفسه، صص: 95 ، 96.

6 - الرّماني، المصدر نفسه، ص: 97.



(وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ)<sup>(1)</sup>، ووجه على الحروف المتقاربة، مثل قوله تعالى: (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ)<sup>(2)</sup>.

أما التجانس فهو: "بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة"<sup>(3)</sup>، وجعله على نوعين: مزاجية، ومناسبة، وأيضا من معايير البلاغة عنده التصريف، وهو تصريف المعنى في الدلالات المختلفة ثم يتكلم على التضمين، وهو "حصول معنى في الكلام من غير ذكر له، وهو على وجهين: ما يدل عليه الكلام دلالة إخبار لأنه يحمله في ظاهر لفظه، كدلالة كلمة مكسور على كاسر، أما الثاني فما يدلّ عليه الكلام دلالة قياس، كدلالة البسمة على تعظيم الله، والاعتراف بنعمته"<sup>(4)</sup>.

يصل الرّماني بعد ذلك إلى معيار المبالغة، وهي: "الدلالة على كبر المعنى على جهة التغيير عن اللغة لتلك الإبانة"<sup>(5)</sup>، وكل ما ذكره من أوجه للمبالغة مرتبطة بالدرس الإعجازي، أي مرتبطة بالصور البلاغية في القرآن. بعدها يتكلم عن البيان، وهو "الإحضار لما يظهر به تميّز الشيء من غيره في الإدراك"<sup>(6)</sup>، يقصد بذلك المعاني التي تدرك من الأشياء، وقسمه إلى كلام، وحال، وإشارة، وعلامة ثم قسم الكلام إلى قبيح، وحسن، لعلّ هذا المعيار الأكثر ارتباطا ببناء النظم عند الرّماني، فيذهب إلى أن حسن البيان يقع في مراتب أعلاها تكتمل فيه البلاغة من جمال التعبير، وروعة الأداء، ويسمى ذلك بالتلازم الذي يشترط جمال التأليف، وإحكام التعبير، وجودة السبك، إلّا أننا نجد الرّماني رغم اعتباره البلاغة مبحثا من مباحث الإعجاز القرآني، لم يولها ذلك الاهتمام الذي أولاه لباقي المباحث الإعجازية حسبه "فهو لم ينسب النص إلى الإعجاز إلّا على استحياء"<sup>(7)</sup>، وانصرف إلى قضايا أخرى قدمها كدليل على إعجاز القرآن الكريم أكثر من المسائل المتعلقة بالنص، ذلك

1 - سورة الطور، الآية:2،1.

2 - سورة ق، الآية:1-2.

3 - الرّماني، النكت في إعجاز القرآن، ص: 102.

4 - الرّماني، المصدر نفسه، ص: 102.

5 - الرّماني، المصدر نفسه، صص: 104، 105.

6 - الرّماني، المصدر نفسه، ص: 106.

7 - تمام حسان، الأصول، "دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب"، (النحو، فقه اللغة، البلاغة)، (د.ط)، عالم

الكتب، القاهرة، سنة: 2000م، ص: 320.

استجابة لأفكار المذهب الكلامي الذي تبناه، وهو المذهب المعتزلي الذي ينسب إعجاز القرآن إلى صرف الناس عن الإتيان بمثله، في حين انصرف أصحاب الفكر الأشعري إلى النص، وتفوقه وتفردته بالمزايا.

## 2. الخطابي\* : الجمع بين اللفظ والمعنى في تصور مفهوم النظم:

ألف الخطابي "بيان إعجاز القرآن" ذهب فيه إلى أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني<sup>(1)</sup>، إذا المزية في إعجاز القرآن هي بلاغته، وتظهر جذور مصطلح النظم عنده عندما عقد بين مصطلح النظم، واللفظ صلة وثيقة في مقابل المعنى، فقال: "وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور، لفظ حامل، ومعنى قائم به، ورباط لهما ناظم منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً و تشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها"<sup>(2)</sup>، قد جمع الخطابي بين اللفظ والمعنى في تصوّره للنظم، عندما ربطه بالتأليف والتلاؤم والتشاكل وضمّن تلك الأمور الألفاظ والمعاني معاً، "واعتبر دخول الأولى لازم أولاً لتحقيق وجود الثانية"<sup>(3)</sup>، وهي في الحقيقة إضافة وسّعت مفهوم النظم لديه؛ يجعل أشكال النظم ضابطة للألفاظ والمعاني معاً، فلا تظهر قيمة اللفظ وحده، ولا قيمة المعنى وحده، بل يكتمل النظم حال تفاعل الألفاظ مع المعاني، وضبط العلاقات بينهما.

\* - الخطابي، أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي البستي، ولد رجب عام 319هـ، أقام ببست و توفي فيها، وإليها نسب، أخذ العلم عن البارزين من علماء عصره، توفي بعد حياة حافلة بالعلم والأدب عام 388هـ، من مؤلفاته "أعلام الحديث" و"معالم التنزيل" و"بيان إعجاز القرآن". ينظر: محمد خلف الله، ومحمد سلام زغلول، مقدمة ثلاث رسائل في الإعجاز، صص: 08، 09.

1 - أبو سليمان حمد بن إبراهيم الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد سلام زغلول، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص: 27.

2 - الخطابي، المصدر نفسه، ص: 27.

3 - سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية، ص: 165.

### 3. الباقلاني\*: ربط مصطلح النظم بالطرق المتفردة للتأليف:

قدم الباقلاني في الإعجاز مؤلفاً بعنوان "إعجاز القرآن"، ذهب فيه إلى أن كتاب الله سبحانه وتعالى معجز لأنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في الكلام، وقد انفرد المؤلف بكثرة استعماله لمصطلح النظم، كما انفرد بإضفاء دلالة جديدة عليه، وربطه بمصطلحات أخرى، مثل وجوه الخطاب، ومفارق الكلام، وتصاريف الخطاب، ووجوه الكلام، وأساليب الكلام، أيضاً استخدامه لمصطلح النظم في معنى طريقة التأليف الخاصة المتفردة التي تخالف أساليب الكلام ووجوه الخطاب الأخرى<sup>(1)</sup>، لذلك انصرف إلى أن إعجاز القرآن يظهر في ابتعاده عن أساليب الكلام المعتاد، ولعل أهم مسألة جاء بها، وتأثر بها الجرجاني في بناء نظريته من بعده، هي في قوله: "فليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنما هو في نظمها، وإحكام رصفها، وليس لها نظم سواها، وهو كتتابع الحركات، ووجود بعضها قبل بعض، ووجود بعضها بعد بعض"<sup>(2)</sup>.

هكذا يؤكد الباقلاني صلة الإعجاز بالنظم، والتأليف، والرصف، والضم وهي معايير أتمت بناء نظرية النظم فيما بعد، إلا أن كلام الباقلاني ومفهومه للنظم على أنه طريقة تأليف خاصة لقي معارضة من المعتزلي القاضي عبد الجبار.

### 4. القاضي عبد الجبار المعتزلي: ضمّ وتركيب الكلام أساس نظرية النظم:

\* - أبو بكر الباقلاني، ولد 338هـ في البصرة، متكلم و متحدث و قاضي، له عدّة مصنفات بلغت خمسا وخمسين بين مصنف ورسالة منها "الإنصاف في أسباب الخلاف" و"التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة" توفي سنة 403هـ، ودفن ببغداد. ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة: 1997، ص: 18.

1 - ينظر: سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية، ص: 166.

2 - أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، سنة: 1971، ص: 41.

ألف القاضي عبد الجبار المتوفي سنة 415هـ كتاب "المغني في أبواب التوحيد والعدل"، ذهب فيه إلى أن الفصاحة والبلاغة تقومان على ضمّ الكلمات وتقارنهما، يبدو أن نظرية النظم عند الجرجاني قد تبنت هذا المذهب فيما بعد.

في بداية مناقشته للمسائل البلاغية عرض القاضي إلى رأي أستاذه أبو هشام الجبائي في الفصاحة التي يُفضّل بها بعض الكلام على بعض، فقال: "قال شيخنا أبو هشام: إنما يكون الكلام فصيحاً جزالة لفظه وحسن معناه، ولا بدّ من اعتبار الأمرين، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحاً، فإذاً يجب أن يكون جامعا لهذين الأمرين، وليس فصاحة الكلام بأن يكون له نظم مخصوص، لأنّ الخطيب عندهم قد يكون أفصح من الشاعر، والنظم مختلف إذا أُريد بالنظم اختلاف الطريقة، وقد يكون النظم واحداً، وتقع المزية في الفصاحة، فالمعتبر ما ذكرناه، لأنه الذي يتبين في كل نظم وكل طريقة، وإنما يختص النظم بأن يقع لبعض الفصحاء يسبق إليه ثم يساويه فيه غيره من الفصحاء، فيساويه في ذلك النظم، ومن يفضل عليه يفضل في ذلك النظم"<sup>(1)</sup>.

يبدو أن الجبائي لم يأت بجديد، باعتبار أن من سبقه سواء معتزلة أو أشاعرة قد ردّوا الفصاحة إلى جزالة اللفظ، وحسن المعنى، الملاحظ أنه لا يقصي النظم تماماً بل يرفض اعتباره محصوراً في معنى اختلاف الطريقة وهو مذهب الباقلاني الذي سبقت الإشارة إليه، إذا هو لم ينكر النظم جملة، ما فعله هو تقديم الفصاحة عليه.

بعد عرضه لمذهب أستاذه ناقش القاضي عبد الجبار هذا الرأي، إذ أحسّ أن فكرة أستاذه فيها بعض النقص، لأنه لم يلاحظ صورة تركيب الكلام، وهي أساسية في البلاغة والفصاحة، فعقد فصلاً بيّن فيه كيفية تفاضل الكلام في فصاحته ليصل إلى فكرة النظم؛ إذ ينطلق في تصوره للفصاحة من أنّها لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضمّ على طريقة مخصوصة، إلاّ أنه يقدّم الفصاحة على النظم في إلحاقها الإعجاز بالقرآن الكريم، يقول: "إن أراد من قال أن وجه إعجاز القرآن الكريم النظم المخصوص، هذا المعنى: وهو أنه تعالى خصّه بالقرآن، على نظام لم تجر العادة بمثله، مع

1 - القاضي عبد الجبار المعتزلي، المغني في أبواب التوحيد والعدل، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ج16، ص: 197. نقلاً عن: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، (د.ط)، مصر، سنة: 1965، ص: 115.

اختصاصه برتبة في الفصاحة، فهو الذي بيّناه، لأنّ خروجه عن العادة في قدر الفصاحة يوجب كونه معجزاً بانفراده، واختصاصه بنظم من دون هذا الوجه لا يوجب كونه معجزاً، وإنما يقوّي ويؤكد كونه معجزاً<sup>(1)</sup>، فهو لم يقص النظم كما يظهر، بل إن طريقة طرحه له قريبة جداً من طريقة عبد القاهر الجرجاني، يكمن الفرق بينهما في أنّ القاضي عبد الجبار أخرّ فاعلية النظم في الإعجاز على فاعلية الفصاحة، في حين جعل الجرجاني المزية في النظم أولاً، ولم يسكت هو الآخر عن الفصاحة بل كان الاتفاق على ضرورة اجتماع الفصاحة والنظم.

استناداً إلى ما سبق ذكره يظهر أنّ علماء الإعجاز قد تأثروا باجتهادات بعضهم، وإن خفيّ ذلك تحت تأثير اتجاهاتهم الفكرية، فالاختلاف واقع في مراتب المسائل التي ناقشوها في الإعجاز، أما تصورات تلك المسائل - مع بعض الاختلافات - فهي مكتملة لبعضها، وقد أسهمت بطريقة أو بأخرى في إتمام بناء نظرية النظم بتزويدها بالمصطلحات، والمفاهيم، والأدوات.

ويظهر تفوّق الجرجاني في كفاءته الملحوظة عند التطبيق، إذ اقتصر من سبقه على التنظير و الكمون في حين وصل هو إلى الفعل والتطبيق ليثبت أهمية الضمّ والربط داخل النصوص، وهي من أهم مسائل نظرية النظم عنده، إضافة إلى مسائل أخرى خصّبتها، كمسألة الكلام النفسي التي أخذها الجرجاني عن مذهب الأشعري، فقد ألحّ على مسألة المعاني النفسية التي تترتب في الذهن في مستوى ما قبل النطق، وهو مستوى من مستويات نظرية النظم عنده إضافة إلى المستوى الثاني، وهو مستوى التأليف أو توالي الألفاظ، والعلاقات بينها، واختلاف الدلالات باختلاف الترتيب، كل هذه المسائل ترسو على المستوى النظري.

وحتى يحقق الجرجاني تفرّده "استند في تحليله لوجوه النظم، إلى طرق معينة تضم مجموعة من الأدوات والمعايير التي رأى أنها وحدها تمكن من تقديم البراهين الكافية لإمكان تحويل أفكاره وتصوراتها التي تشكل نظرية النظم إلى المستوى النظري، إلى مبادئ وعمليات تطبيقية تحليلية توضح كيفية الوقوف على سر الإعجاز اللغوي للنظم"<sup>(2)</sup>. فطبق على كل مكونات الجهاز النظمي عنده،

1 - القاضي عبد الجبار، المغني، ج16، ص: 321. نقلاً عن: سعيد البحيري، دراسات لغوية تطبيقية، ص: 169.

2 - سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية وتطبيقية، ص: 203.

ويبين فاعلية كل مكوّن منها في إحكام وتماسك النصوص، وفسّر علة وضع كل مكوّن منها في علاقة دون أخرى، وفسّر التلاؤم والتناسب بين العلاقات، لذلك سيتعلق مفهوم التماسك بالجهاز المفهوماتي للنظم حسب عبد القاهر الجرجاني، وهو جهاز مركب من آليات تضمن فاعليتها في استكمال نظم النصوص وتماسكها، منها آلية التقديم والتأخير، وآلية الفصل والوصل... إلخ. ذلك ما يمثل نصيب علم المعاني في استيعاب بعض قضايا نحو النص المهمة بربط النصوص و تماسكها والتأصيل لها في التراث البلاغي العربي، إضافة إلى نصيب علم البيان، والبديع الذي يمثله بلاغيون آخرون.

مقدمة

## مقدمة

ظلت الدراسات اللغوية حبيسة أسوار الجملة بالمفهوم التقليدي، إلى أن ظهرت أصوات منادية بتجاوز تلك الأسوار؛ لتتضح معالم علم جديد يُعرف بعلم لغة النص أو نحو النص، خرج هذا المنهج بالدراسة اللغوية إلى وجهة جديدة ونطاق أوسع من نطاق الجملة إلى دراسة النص بأكمله، فاهتم بوصفه والكشف عن علاقاته المحققة للنصية، وغير بعيد عن هذا الحراك البحثي ما طفق الباحثون العرب ينهلون من تراثنا العربي، محاولين إثبات نيل التراث ملامحا من هذا العلم الوليد، على غرار ما أُثبتَ من قبلُ من توافر أسس بعض النظريات اللسانية الحديثة، وبعض وسائل علم اللغة الحديث في ثنايا هذا التراث، الذي ما تلبث مساءلته تكشف عن ذخائره، وإن وُجد من هؤلاء الباحثين من استبعد توفر التراث العربي على ملامح نحو النص، كالدكتور تمام حسان، والدكتور صبحي ابراهيم الفقي، فقد تحمس آخرون إلى هذه الفرضية منهم الدكتور محمد خطابي، والدكتور محمد الشاوش، و الدكتور جميل عبد المجيد .

تحاول هذه الدراسة ترجيح كفة فرضية توفر التراث العربي على قضايا تعدد من صميم البحث في نحو النص، فقراءة التراث تمثل إسهاما في حركة البحث الحالية في النص، كما تمنح هذا التراث شحنة جديدة بإلقاء الضياء المعرفية على أهم قضاياها المتصلة بالنص، من هذا يناقش العمل هذا الإشكال: هل هناك أصول في المنوال التراثي العربي أعمدت في معالجة مسألة العلاقات بين الجمل، وما يثيره ما سمي حديثا بنحو النص من قضايا؟ وكان عنوان العمل: "قضايا نحو النص بين التأصيل العربي والتنظير الغربي"، ما يوجب الكشف عن أصول الأفكار التي تبنتها الاتجاهات النصية في درس البلاغي والنقدي والأصولي، و الحقيقة أن عددا من الدراسات العربية الحديثة أخذت على عاتقها البحث في هذا المجال، منها ما أشارت إلى قضايا نحو النص بمفهومها عند الغرب، ثم طبقت تلك المفاهيم على نصوص في التراث العربي، مثل عمل الدكتورة عزة الشبل "علم لغة النص، النظرية والتطبيق" الذي أسقطت فيه قضايا نحو النص على المقامات اللزومية لمبدع أندلسي هو السرقسطي، و وُجد من تلك الدراسات ما تناول إسهامات التراث العربي في التأسيس لنحو النص مع التركيز على جانب معين منه، كمسألة الانسجام في الخطاب، مثل ذلك عمل الدكتور محمد خطابي "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب" الذي ركز فيه على الإسهامات العربية في التأسيس لانسجام



الخطاب الذي يشكّل شقًا هامًا في المكوّن العام لنحو النص. وعليه بدت رغبة الباحثة في التناول وفق الإنجازات السالفة الذكر، توجيه عنايتها في البحث إلى قضايا التأصيل والتنظير، محاولة جمع أبرز قضايا نحو النص، وإسقاطها على التراث العربي في محاولة تأصيلية لأبرز القضايا في عمل واحد.

ولأن ميولات الباحثة متوجهة أساسًا إلى الدراسات النقدية والبلاغية كان اختيار هذا الموضوع، فالعمل سيكون حاملًا لكثير من ملامح المنظومة النقدية والبلاغية في التراث العربي، إضافة إلى الاحتفاء الدائم بهذا التراث الولود، واعتباره نصًا مفتوحًا للقراءة على الدوام، لديه القدرة على استيعاب النظريات الحديثة، لكن بمحاورته وقراءاته، لأدوات تلك النظريات، وكذلك رغبةً منها في إجلاء بعض النظريات العميقة المنتشرة في التراث والتي يمكنها التأصيل لنحو النص في شكله العربي، لذلك الغرض اعتمد العمل مصادر ومراجع اقتضتها طبيعة المعالجة المتنوعة الأبعاد، والتي تتطلب استحضار أهم المصادر العربية التي تقع بين دفتيها أصول التصور العربي لنحو النص، منها ما هو بلاغي نحوي كدلائل الإعجاز، ومنها ما هو بلاغي كأسرار البلاغة، ومفتاح العلوم، أما كتب النقد التي اعتمد عليها في رصد مسائل السبك، فكالمنزوع البديع للسجلماسي، والعمدة لابن رشيق وغيرها، أما المراجع فقد همّ البحث قدر المستطاع بجمع أهم المراجع المتناولة لموضوع نحو النص ومقولاته مثل: "علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات" لسعيد حسن البحيري، و"لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب" لمحمد خطابي، إضافة إلى مراجع مترجمة قلصت الهوة بين الباحثة ومفهوم نحو النص الذي يشوبه الكثير من التعقيد، وأكثرها مترجمة من طرف الدكتور سعيد حسن البحيري، منها "علم النص" لتون فانديك، و"التحليل اللغوي للنص" لكلاوس برينكر.

لمناقشة إشكال البحث جاء العمل موزعًا كالاتي: مدخلا بعنوان أثر الدرس الإعجازي في التأسيس لمعاني النحو، يتناول بواكير تأسيسية هامة لنظرية النظم الممثل الحقيقي لنحو النص في شكله العربي، في محاولة للإشارة إلى البدايات الأولى للاهتمام بنظم الكلم والجمل، وردت فيه عدة أسماء لعلماء يمكن الانطلاق من أعمالهم للتأصيل لمصطلح ونظرية النظم، ليصل النظم إلى استقامته على يد عبد القاهر الجرجاني تنظيرًا وتطبيقًا، يحوي المدخل إشارة واضحة لتأثير التوجه الفكري في التوجه اللغوي من خلال أطروحة الإعجاز في القرآن الكريم، ومدى مساهمة ذلك في بناء نظرية النظم، يسلمنا ما وصل إليه البحث في المدخل إلى الفصل الأول، الذي يمثل المرجعية العربية في التأسيس لنحو النص، ينطلق هو الآخر لرصد الأبعاد النصية لنظرية النظم، باستحضار بعض مفاهيمها والكشف عن

مساهمتها في تحقيق تماسك النص، كظاهرة التقديم والتأخير والحذف والفصل والوصل، وهي أهم الظواهر المتداولة في الدراسات النصية، وفي ذلك ترسيخ لمفهوم معاني النحو عند الجرجاني الذي يهتم بالتركيب وصحته، ويهتم بالمعنى حتى وهو في هيئته النفسية، وغير بعيد عن القضايا البلاغية يتناول الفصل مسائل بديعية تسهم هي الأخرى في تمثيل قضية من قضايا نحو النص وهي سبكه، من تلك المسائل التكرار والجناس، والتورية وغيرها من مسائل تربط سطح النص وحتى عمقه، كما يعرض الفصل بعض التجليات الجوهرية لقضايا نحو النص، ليصل إلى عمل يكاد يكون أقرب الخطوات بعد خطوة الجرجاني إلى نحو النص، وهو عمل حازم القرطاجني؛ الذي وصل إلى فكرة البنى الكبرى والبنى الصغرى للنص، ذلك بتقسيم القصيدة إلى فصول تمثل البنى الصغرى، و تصور معنى كلي يشمل كل تلك الفصول يمثل البنى الكبرى، وفي ذلك التقاء واضح مع كيفية تحليل النصوص في علم نحو النص.

بعد ذلك يحاول الفصل الثاني -المعنون بقطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي- تأكيد توفر التراث حتى على مسألة التداولية، التي تهتم بدراسة كل مكونات العملية التواصلية من أغراضٍ ومقاصدٍ وتلقٍ وشكلٍ للخطاب، إضافة إلى نظريات مكونة لها منها نظرية أفعال الكلام، التي كان لها حضورا واضحا في الدراسات البلاغية والنحوية والأصولية العربية.

الفصل الثالث: "مقاربة تنظرية لقضايا نحو النص" يمثل شقَّ التنظير الغربي من عنوان العمل، يحاول التقرب من ملامح نحو النص بسبرٍ لقضاياها المقترحة من طرف العالم اللغوي روبرت دي بوجراند، وهي قضايا السبك، والحبك، والمقبولية، والموقفية، والإعلامية، والمقصدية، والتناس، إضافة إلى توضيح لنظرية التواصل والتداولية في مفهومها الغربي، حتى يتوضَّح ما أتى به الفصل الثاني من إسقاط لمسائل تداولية على دراسات في التراث العربي.

أخيرا ترصد الخاتمة أهم النتائج وأهمها: مشروعية تصور تجليات قضايا نحو النص في مواقع متفرقة في التراث العربي.

سيرورة خطة العمل بهذا الشكل، فرضت عليه استدعاء المنهج الوصفي التحليلي؛ انطلاقا من أن العمل يضطلع بالتأصيل لنمطٍ من الدراسات اللغوية المحللة للنصوص، ولن يتم التأصيل إلا برصد كيفية تحليل تلك النصوص، ووصف مقولات وقضايا هذا النمط التحليلي، ولعلَّ تحديد منهج البحث في مجال علم مثل نحو النص من الصعوبة بما كان؛ نظرا لِتَشَرُّبِ قضايا هذا العلم من كل المقولات السابقة عليه؛ بالتالي وقع تداخل بين مناهج تلك المقولات، غير أن طبيعة التأصيل تُرَجِّحُ

المنهج الوصفي التحليلي كما سبقت الإشارة، يضاف إلى صعوبة تحديد المنهج تحدٍ آخر للبحث هو تعسُّر جمع مادته خاصة المتعلقة منها بالتأصيل لنحو النص في التراث العربي، وكذا وعورة الموضوع وتشعبه؛ فمثل هذه الدراسة تقتضي ضرورة الاستيعاب الجيد للتراث العربي المنشغل بالنص، وامتلاك ناصيته، وهذا صعب التحقق لشساعة الدراسات التراثية العربية، مع عنت إسقاط الدراسات الحديثة على مكونات التراث، والحاجة أحيانا إلى بعض الإضافات إلى هذا التراث حتى يكون على مقاسات النظرية النصية، إضافة إلى صعوبة الاستيعاب المتعمق لنظرية نحو النص؛ لأنها نظرية متشعبة مستفيدة من كل المقولات السابقة عليها، فهذا العلم مسمى لاتجاهات وتصورات غاية في التباين؛ لذلك فإن قضاياها ونظرياته لا تخضع لاتفاق بين علمائه مما زاد من عنت جمع كل متعلقاته.

لا نقول إنَّ العمل قد جمع أصولا وأجدى محصولا، وإنما هو جهد المقل وعمل المقصّر، فمعدرة لكل من يطلع عليه ويلمس فيه نقصا أو زغلا.

أخيرا نسلم أنّ من لا يشكر الناس لا يشكر الله، كل الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور عوني أحمد محمد مرتين، مرة لأنه فتح لي فرصة الدخول في هذا المجال ويسر كل عقباته، ومرة على إشرافه على هذا العمل المتواضع، فلأشكره بلساني ولسان كل من يطلع على هذا العمل ما وسعني الشكر. الشكر موصول أيضا للجنة الموقرة على ما أحاطت بالعمل من تصويب ومناقشة، وما من أمر يثلج صدر الباحث قدر وقوع عمله بين يدي لجنة كالتالي من الله بما عليّ وعلى عملي المتواضع، فله الحمد في الأولى والآخرة .

أسماء نوني

خميستي يوم السبت

21 ربيع الثاني 1432 هـ

26 مارس 2011 م

# الفصل الأول المرجعية العربية في التأسيس لنحو النص

- 1- رهان استيعاب المنوال التراثي مبادئ نحو النص
- 2- البعد النصي للجهاز المفهوماتي للنظم
- 3- مسائل تماسكية أخرى عند الجرجاني
- 4- مظاهر بديعية عربية تهفو إلى قضايا نحو نصية
- 5- تماسك النص عند حازم القرطاجني "النظرية والتطبيق"
- 6- تماهي مفهوم التناص ومفهوم حسن الأخذ عند العسكري

### 1- رهان استيعاب المنوال التراثي مبادئ نحو النص:

من المؤكد أن النظريات الطليعية لنحو النص ظهرت عند علماء غربيين، إلا أن التراث العربي أيضا "يزخر بإشارات ودراسات ذات معين نصي ثر"<sup>(1)</sup>، لكن بدت تلك الإشارات متفرقة تحتاج إلى تنظيم، وقد أشار إلى ذلك الكثير من الباحثين الذين ذهبوا إلى القول إن هناك أصولا تراثية عربية لنحو النص متفرقة في علوم البلاغة والنحو والتفسير والنقد\*، وما يجب التنويه به هو أن الجهود العلمية العربية في مختلف المجالات على الرغم من أصالتها، إلا أنها تفتقد السعي الدؤوب لتشكيل نظرية ما، والعمل العلمي المنظم لا يأتي أكله إلا إذا اندرج ضمن مبادئ نظرية واضحة المعالم، هذا ما افتقدته اجتهادات علماء التراث العربي، لذلك سيكون حديث هذا الجزء من البحث عما يمكن اعتباره موطئات صالحة كآليات تُحللُ بها النصوص، أو كمفاهيم يمكنها استيعاب بعض مفاهيم نحو النص، فمن الممكن وجود مساهمات قابلة لأن تدرج في نحو النص ضمن التراث العربي المرتبط أساسا بالممارسة النصية، وعلى الباحث "إعادة الحياة إلى هذه الإسهامات باعتبار أن فيها نظرات لا تقل أهمية وخصوبة عما قدمه الغربيون"<sup>(2)</sup>، بهذا يمكن "إرساء دعائم نحو نصي عربي باعتماد جملة من المقولات اللسانية العربية التي لا تخلو من طرفة ووجاهة، بحكم تعامل الحضارة العربية في مبدئها وبشكل واضح مع النص من حيث شكله، وتلقيه، وتأثيره في الحياة العامة"<sup>(3)</sup>.

سيكون التركيز الأساسي على ملامح المظاهر الخطابية التي درسها البلاغيون إبرازاً لوعيتهم "بتماسك الخطاب وتأخذه وارتباط أجزائه بعضها ببعض"<sup>(4)</sup>، فالبلاغة هي السابقة التاريخية لنحو

1 - جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، الطبعة الأولى، النادي الأدبي، الرياض، 2009، ص: 11.

\* - ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: محمد خطابي لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ومحمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، وسعيد حسن البحيري، علم لغة النص، ومحمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، وإبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، وإبراهيم خليل، الأسلوبية و نظرية النص.

2 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، سنة: 1991، ص: 95.

3 - نعمان بوقرة، نحو النص مبادئ واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة، مجلة علامات، الجزء الواحد و الستون، المجلد السادس عشر، جمادى الأول، سنة: 1428هـ، ص: 27.

4 - محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 97.

النص، إذا أخذ بعين الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة، وكذلك توجهها للمستمع أو القارئ لتؤثر فيه، وتلك العلاقة ذات خصوصية في البحث اللغوي النصي؛ إذ تجمع عملية الاتصال فيه بين أطراف الاتصال الأساسية (نص، منتج، متلقي) وكيفيات التفاعل بينها<sup>(1)</sup>، لذلك سيكون التركيز على المباحث البلاغية بشكل أوضح دون إغفال النقد الأدبي الذي يحوي قضايا لها علاقة بالانسجام، كالاتساق، والتآخذ، وأخذ أبيات القصائد بأعناق بعض من ذلك مسائل تماسك القصائد، وكلها قضايا تنتسب إلى نحو النص، كما توجد دوافع أخرى لتصور وجود مسائل نصية في التراث العربي.

لعلّ أهم ما يدفع الباحث لتصور وجود بذور نحو النص في التراث العربي:

أولاً: أهمية التركيب في التراث العربي: اعتبر الجرجاني أن المزية في الألفاظ ليست معرفة معانيها، بل في استعمالها مركبة إلى بعض "فالألفاظ المفردة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض"<sup>(2)</sup>.

ثانياً: منح الأولوية في الجهاز الإعرابي للمعنى واللفظ معاً: وهو من محققات الترابط النصي "فالجهاز المعنوي التأويلي وجه من وجوه الجهاز التركيبي الإعرابي، وبما يستوي الجهاز النحوي باعتباره أساس الجهاز اللغوي في أتم صورته وأعمها"<sup>(3)</sup>، من هنا جاءت فكرة النظم الجرجانية؛ التي يتماشى فيها اللفظ مع المعنى لإحداث الاتساق والانسجام في النص.

1 - ينظر: صلاح فضل، علم النص وبلاغة الخطاب، عالم الكتب، القاهرة، ص: 252، وينظر: سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، سنة: 1997، ص: 06.

2 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة: 1992، ص: 250.

3 - ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"، الطبعة الأولى، كلية الآداب منوبة بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، سنة: 2001، ج/1، ص: 208.

ثالثاً: عناية البلاغة العربية بالترابط، إذ اهتمت "بالكشف عن الترابط القائم بين سلسلة الأقوال المؤلفة لفقرة أو مجموعة أجزاء من العمل الأدبي"<sup>(1)</sup>، يتمظهر هذا بشكل أوضح عند عبد القاهر، وحازم القرطاجني\* خاصة عندما درس العلاقات الترابطية لأجزاء القصيدة.

في البداية سيكون التركيز على عمل الجرجاني نظراً لقيمته العلمية، و أيضاً لأهميته القصوى في إطار الدراسات العربية التي اهتمت بالنظم و التآليف متجاوزة الكلمة والجملة؛ إضافة إلى أن الجرجاني بحق واضع أسس البلاغة العربية والموضح لمشكلاتها، سار رجال البلاغة من بعده على فهمه، وأتموا البنيان الذي رسم معالمه وأرسى قواعده<sup>(2)</sup>.

فقد حاول الرجل إقامة نظرية لتفسير الظاهرة الأدبية بالنظر إلى البعد النصي، وجاء سعيه دؤوباً للوصول إلى أبعد درجات الدقة في عملية تحليل النصوص للوصول إلى بلاغتها<sup>(3)</sup>. ولا نغالي إذ قلنا إن أعماله هي الأقرب إلى النظريات المعاصرة، وأقدرها على إثراء الفهم الحقيقي للإبداع<sup>(4)</sup>، لذلك قد عبر غيرُ باحث عن تفرد منهج الجرجاني في مواجهة النظريات الحديثة، يقول الدكتور محمد مندور عن منهجه: "إنه يستند إلى نظرية في اللغة، أرى فيها ويرى معي كل من يعنى النظر أنها تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء... حيث يقرر المؤلف ما قرره علماء اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ، بل مجموعة من العلاقات"<sup>(5)</sup>، كما ذهب الدكتور تمام حسان أن كلام

---

1 - إبراهيم خليل، اللسانيات ونحو النص، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، سنة: 2007، ص: 185.  
\* - هو أبو الحسن حازم بن محمد بن خلف بن حازم الأنصاري القرطاجني، ولد سنة 608هـ، قرأ الفقه على يد أبيه، وتتلّمذ على يد نخبة من المشايخ المشهورين، ثم تردّد على مرسية ليأخذ عن علمائها، حيث بدأت تتضح معالم شخصيته العلمية وتكوينه الثقافي، صنّف حازم مصنّفاتٍ عديدة منها: "المقصورة" و"كتاب النحو"، و"كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء". توفي سنة 684هـ. ينظر: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، سنة: 1964، ج/2، صص: 491-492.

2 - ينظر: عبد العزيز عتيق، في تاريخ البلاغة العربية، (د.ط)، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت)، ص: 246.

3 - ينظر: كمال أبو ديب، في الشعرية، الطبعة الأولى، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، سنة: 1987، ص: 08.

4 - ينظر: تامر سلوم، بنية النظم وتركيبه عند عبد القاهر الجرجاني (قراءة في ضوء البنيوية)، مجلة الطريف، العدد الأول، فبراير 1995، ص: 155.

5 - أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، الطبعة الأولى، وكالة المطبوعات، بيروت، سنة: 1973م، ص: 106.

الجرجاني ليس ككلام فقهاء دين الله لأنه يتجاوز الكلمة المفردة، و لا ككلام أصحاب الصناعة النحوية لأنه يتجاوز المبنى الصرفي و الجملة الفريدة إلى كلام متصل وسياق أطول تتعدد فيه الجمل وتترابط فيه بالعلاقات<sup>(1)</sup>، هذا الاهتمام بالعلاقات هو من وكَد توجه منهج الجرجاني إلى النظر في النص، فقد اعتنى في علم المعاني بدراسة مسائل الفصل والوصل، والتقديم والتأخير وغيرها وهي مسائل تتضمن بعض ما يتصل به نحو النص من الاهتمام بالبنية، والنفس، والمجتمع؛ فهو المختص بالقواعد التي يُعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال فنعرف السبب الذي يدعو إلى التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإيجاز حيناً، والإطناب حيناً آخر، والفصل والوصل إلى غير ذلك، فما يناسب بيئة العرب مثلاً أننا نوجز إذا شكرنا أو اعتذرنا ونظن إذا مدحنا<sup>(2)</sup>.

### 2- البعد النصي للجهاز المفهوماتي للنظم:

#### مسألة التماسك النصي:

تتكون نظرية النظم من قسمين: الأول: ترتيب المعاني النفسية في الذهن، أي في مستوى ما قبل النطق، والثاني: توالي الألفاظ في مستوى التّأليف والعلاقات بينها، واختلاف الدلالات باختلاف الترتيب<sup>(3)</sup>.

يمكننا تصنيف القسم الأول ضمن قضايا نحو النص المتعلقة بالتداولية\*، أما الثاني فهو مختص بالقضايا الخاصة ببنية النص، إلا أن التركيز سيكون على العلاقات التي تربط بين وحدات النص، والساعية إلى معرفة دلالات تلك الوحدات من خلال تماسك أركان النص، لنكون بذلك على تخوم

1 - ينظر: تمام حسان، الأصول، ص: 277.

2 - ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، البيان والمعاني والبدیع، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، لبنان، سنة: 1984، ص: 36.

3 - ينظر: سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص: 181.

\* - أول من استعمل هذا المصطلح في اللغة العربية (الذي يقابل في اللغة الفرنسية Pragmatique وفي الإنجليزية Pragmatistes) هو الأستاذ أحمد المنوكل، أستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس، ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، (د.ط)، دار القصة للنشر، الجزائر، سنة: 2000، ص: 176. للتعرف على المستوى التداولي. ينظر: الفصل الثالث لهذا العمل.



مواطن بناء نحو النص عند الجرجاني في نظريته من خلال مباحث: التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والحذف، وغيرها، وهي حسب الجرجاني معايير صحة النظم أو فساده.

فالتماسك يقوم على كل تلك العلاقات البلاغية و النحوية، وما نظم الجرجاني إلا مراعاة لمعاني النحو عند الكلام، وليس المقصود بمعاني النحو تلك القواعد المعيارية الصارمة المتعلقة بملاحظة أواخر الكلم من حيث الإعراب والبناء؛ ولكن هي ملاحظة العلاقات التي تربط الكلم ليؤدي المعنى، وهو نفس المفهوم الذي وضع لنحو النص في بحثه عن اتساق النص للوصول إلى انسجامه، فالاتساق يربط سطح النص بجملة البنى المكونة له وما يوجد بينهما من علاقات تسهم في وضع المعنى، وما هذا إلا بياناً على الإسهامات المهمة للتراث في بناء نحو النص، تظاهرات خاصة فيما اجتهد فيه الإمام من الرؤية الشاملة للنصوص من خلال النظر إلى "الجملة التي تُسرد فيعرف موضع الفصل فيها من الوصل، ... ويتصرف في التعريف والتكبير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف، والتكرار، والإضمار والإظهار، فيصيب من ذلك مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له"<sup>(1)</sup>، هذا النص وحده كاف لبيان اهتمام الإمام بالعلاقات داخل النص وشموليته، وهي علاقات نابغة من السياق والمعنى، من ذلك كما ذكر قواعد تجعل المتقدم من الكلام مرتبطاً بالتأخر؛ فالنص نسيج محكم حاله في ضمّ ألفاظه إلى بعض وتخيّر مواقعها "كحال خيوط الإبريسم، فالذي ينسج الديداج ويعمل النقش والوشى لا يصيغ بالإبرسيم الذي ينسج منه شيئاً غير أن يضم بعضه إلى بعض"<sup>(2)</sup>، وكذلك حال صانع النص، لتحقيق هذه المزية درس الجرجاني القواعد التي تجعل المتقدم مرتبطاً بالتأخر منها: باب الفصل والوصل، وباب الحذف، وباب التقديم والتأخير، وهي مسائل متعلقة بنحو النص الذي يهتم بكلية النصوص، والعلاقات بين أجزائها.

أولاً: البعد التماسكي لمسألة الفصل والوصل:

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 82.

2 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 370.

الفصل والوصل في البلاغة العربية: من الأقوال الماثورة الشائعة قديماً في تعريف البلاغة أنها "معرفة الفصل والوصل"<sup>(1)</sup>، وقد حُدِّدَ هذان المصطلحين بشكل جلي عند الجرجاني عندما درسهما في إطارهما الحقيقي، ليس كصورة نحوية نمطية بل كصورة فنية توصل المعنى المراد من المخاطب إلى المخاطب بنفس مستوى الإحساس، ومما كان يعنيه مصطلح الوصل تتابع الكلمات والجمل تتابعا يجعل المعنى متلاحقا في إحساس الكاتب والقارئ معا، أما الفصل فهو قطع الكلام بالصمت في الإبداع القولي، وبالرمز الكتابي كعلامات الوقف في الإبداع الكتابي، وهما عند البلاغيين: الفصل دلالة على إتمام معنى واستئناف معنى آخر، قد تتصل تلك الدلالة بالعطف أو تتجرد منه، أما الوصل فهو دلالة على اتصال المعنى بعطف أو بغير عطف<sup>(2)</sup>.

وهناك من البلاغيين من وظف مصطلح العطف كدريف للوصل، ورد ذلك عند صاحب نقد الشعر قدامة بن جعفر\* وعند صاحب الصناعتين أبو هلال العسكري\*\* الذي عقد فيه مبحثا بعنوان "ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل" وأتى على أمثلة تبين جودة الفصل والوصل ورونقهما، كما تبين عمومية مفهومهما، من تلك الأمثلة ما أثر عن عبد الصمد بن فضل الرقاشي عندما سئل عن وصف عصا قال: "رفعها الله بغير عمد، وجعل فيها نجوم رجم ونجوم اقتداء، وأدار فيها سراجا وقمرا منيرا لتعلموا عدد السنين والحساب... وأنزل منها ماءً مباركاً أحيا به الزرع والضرع، وأدرّ به

1 - أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، سنة: 1418هـ/1998م، ج/01، ص: 88.

2 - ينظر: حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، سنة: 1418هـ/1998م، ص: 97.

\* قدامة بن جعفر: هو أبو الفرج بن جعفر البغدادي، كاتبٌ وناقدٌ وأديبٌ مشهور، وهو أحد البلغاء الفصحاء، والفلاسفة الفضلاء، كان نصرانياً وأسلم على يدي «المكتفي بالله» العباسي. توفي بعد سنة 320هـ، وقيل 337هـ، له مؤلفات كثيرة من كتبه: «الخراج»، «جواهر الألفاظ» وكتاب «نقد الشعر». ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، سنة: 1936، ج/17، ص: 12-14.

\*\* الحسن بن عبد الله بن سهل، أبو هلال اللغوي العسكري، من مؤلفاته "الصناعتين" و"المحاسن في تفسير القرآن" وغيرها، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج/08، ص: 258.

الأقوات و حفظ به الأرواح وأنبت به أنواعا مختلفة يصرفها من حال إلى حال.. تكون حبة ثم يجعلها عرقا ثم يقيمها على ساق ... وجعل من ييسها هذه العصا...<sup>(1)</sup>

الفصل في هذه القطعة حسن عذب رغم وقوعه دون ترك أداة العطف، فحسب العسكري حسن الفصل في حسن قطع القول واستقلاله عما يليه.

كما أظهر العسكري عناية العرب بهذا المبحث، فقد قال أبو العباس السّفاح لكاتبه: قف عند مقاطع الكلام وحدوده، وإياك أن تخلط المرعى بالهمل\*\*\*، ومن حلية البلاغة معرفة الفصل والوصل<sup>(2)</sup>، إضافة إلى هذا النص وردت نصوص أخرى كثيرة في المؤلفات التراثية تناولت المسألة بكثير من التحليل المُعمّن، ولعل أوضح دراسة تجلت فيها الأبعاد التماسكية دراسة الإمام عبد القاهر الجرجاني.

### الأبعاد التماسكية لمبحث الفصل والوصل عند الإمام الجرجاني:

يبدأ الجرجاني حديثه عن مبحث الفصل والوصل بالإشارة إلى ما ينضوي عليه هذا المبحث من أسرار جمالية، والحاجة إلى الذوق اللغوي في تفهم دلالاتها فهو عنده "من أسرار البلاغة ومما يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُلص، وإلا قوم طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا من فنون المعرفة في ذوق الكلام"<sup>(3)</sup>، وقد لوحظ على الجرجاني ربطه الظاهرة بالدلالة النحوية<sup>(4)</sup>، فالجرجاني في طرحه لنظرية النظم لا يستغني عن معاني النحو، لا يفصل ذلك رغبة الجرجاني في دراسة مسألة الفصل

1 - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين، الكتابة و الشعر، تحقيق: مفيد قمحية، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص: 498.

\*\*\* - المرعى: الإبل الذي له راع، والهمل: الذي لا راعي له، مثل عربي يُضرب عند اختلاط الأمور أولها بآخرها، ينظر: محمود محمد شاكر، المتنبي، ص: 483.

2 - ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 497.

3 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 222.

4 - ينظر: تامر سلوم، بنية النظم و تركيبه عند عبد القاهر الجرجاني "قراءة في ضوء البنيوية، ص: 161.

والوصل "لبيان مترزتها في تحقيق الروابط النسقية بين الجمل المكوّنة لنص الخطاب"<sup>(1)</sup>، والكشف عن طبيعة العلاقة القائمة بين الجمل التي يتألّف منها السياق<sup>(2)</sup>.

لعلّ أجلّ دراسة للفصل والوصل من منظور الجرجاني وأكثرها رسدا للمواطن التماسكية لهذه الظاهرة، ما قدّمه الدكتور محمد خطابي في مؤلفه لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب؛ لذلك سيكون ما قدمه هذا الباحث معتمدا في البحث لرصد الظاهرة.

### 1- التماسك النحوي: تستعمل فيه وسائل نحوية لمقاربة التماسك الحاصل بالفصل والوصل

وفيه عدّة مسائل.

#### آلية عمل الوصل في تماسك النصوص:

1. عطف المفرد على المفرد: المزية فيه أن "يشرك الثاني في إعراب الأول، وأنه إذا أشركته في إعرابه فقد أشركته في حكم ذلك الإعراب"<sup>(3)</sup>، فإذا كان الأول مرفوعا، أو منصوبا، أو مجرورا كان الثاني كذلك، هذه التبعية في الألفاظ ستخلق تبعية في الجمل بالتالي تخلق تماسكا نصيا تضمنه تلك التبعية نحويا و معنويا.

#### 2. عطف الجملة على الجملة: تقع في ضربين:

- أن يكون للجملة المعطوفة على الجملة محل من الإعراب، كقولنا: "مررت برجل خلقه حسن، وخلقه قبيح" هنا تشترك الجملة الثانية في الحكم مع الأولى، وذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة لنكرة ونظائر ذلك كثير"<sup>(4)</sup>. هذا الإشراف في الحكم يحقق استمرارية النص وهو أهم مطالب نحو النص الذي يرصد مواطن الجمع بين الألفاظ ثم الجمل، ليتم تحليل النص كشبكة شاملة و كلية.

1 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج/1، ص: 528.

2 - ينظر: شفيق السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، (د.ط) دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 238.

3 - عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 222.

4 - عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 223.

- "أن تُعَلِّقَ على الجملة العارية الموضوع من الإعراب جملة أخرى كقولك "زيد قائم وعمر قاعد" و "العلم حسن والجهل قبيح" لا سبيل لنا أن ندعي أن "الواو" اشتركت الثانية في إعرابٍ قد وجب للأولى بوجه من الوجوه"<sup>(1)</sup>، الأمر هنا يحتاج إلى تأمل و تعمق أكثر بطرح فكرة المشاركة، فإذا قلنا زيد قائم وعمر قاعد، كان عمر بسبب من زيد، بحيث إذا عرف السامع حال الأول من الجملة عناه معرفة حال الثاني، ومن هنا عابوا على أبي تمام قوله<sup>(2)</sup>:

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى صَبْرٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

ذلك أنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسن ومرارة النوى، ولا تعلّق لأحدهما بالآخر<sup>(3)</sup>. يظهر أن الجرجاني ينطلق من عطف المفرد على المفرد كأصل ليصل إلى عطف الجملة على الجملة، وهذا تجلٍ واضح للربط الذي تبناه نحو النص.

### آلية عمل الفصل في تماسك النص:

1. الأسماء الواصفة أو المؤكدة لا تحتاج إلى رابط يربطها بموصوفها أو مؤكدها، مثال ذلك قولك: "جاءني زيد الظريف" و"جاءني القوم كلهم" فإن "الظريف" و"كلهم" ليسا غير، زيد والقوم، فالأول صفة لزيد، والثاني تأكيد للقوم، لذا لم يحتاجا إلى رابط يربط بينهما<sup>(4)</sup>.

2. ما جرى على المفرد يسري على الجمل وذلك "إذا كانت الجملة مؤكدة للتي قبلها، أو مبيّنة لها، وكانت حملت ليس شيئاً سواها"<sup>(5)</sup>، مثال ذلك من القرآن الكريم، قوله تعالى: (لَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَأَرْيَبَ فِيهِ... )<sup>(6)</sup>، فقوله تعالى: (لَأَرْيَبَ فِيهِ) بيان وتوكيد وتحقيق لقوله ( ذَلِكَ الْكِتَابُ) فكأنه سبحانه يقول: هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب، فيعيده مرتين

1 - عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 223.

2 - أبو تمام الطائي، الديوان، شرح: التبّريزي، (د.ط.)، دار المعارف، مصر، (د.ت.)، ج/3، ص: 290.

3 - عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 225.

4 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 227.

5 - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 101.

6 - سورة البقرة، الآية: 01، 02.

لتثبيته، ولا يثبت الخبر إلاّ خبراً، و"لا شيء" يتميز به عنه فيحتاج إلى ضمّ يضمّه إليه، وعاطف يعطفه عليه"<sup>(1)</sup>.

والفصل يغني عن التكرار، فيجعل النص أكثر تماسكاً، إضافة إلى دوره الجمالي، يمكن تلخيص الأساس النحوي لمقاربة الفصل والوصل من منظور الإمام في الجدول التالي:

الواسطة	عطف مفرد على مفرد	الواسطة	عطف جملة على جملة	الواسطة
الوصل	الاشتراك في الحكم الإعرابي	الواو	الاشتراك في الحكم الإعرابي	الواو
الفصل	موصوف، صفة، مؤكّد، مؤكّد، تخصيص	معنوية	التأكيد البيان	معنوية

يتضح أن الجرجاني ينطلق من المفرد ليصل إلى المركب، فنجدّه يصنع القاعدة بمقياس المفرد، ثمّ يعمّمها على الجمل، مما يعني ولوجه أعتاب نحو النص، و بانتقاله إلى مستوى ربط الجمل سيهتم أكثر بالمعنى والدلالة، وهو من أهم ما دعا إليه الجرجاني، ومن أهم ما اعتنى به نحو النص.

## 2- التماسك المعنوي من خلال الفصل والوصل:

### 1. فاعلية الوصل:

#### أ. الاشتراك والتناظر

اقترح الجرجاني مبدأ لتفسير العطف الحاصل بين جملتين لا محل للمعطوف عليهما من الإعراب، وقد تصور علة تبرر هذا العطف وهي ما يسمى بمعنى الجمع، وساق المثال "زيد قائم وعمر قاعد". علة العطف هنا أن زيد كائن بسبب عمر، أو أن زيدا وعمرا كالشريكين والنظيرين، بحيث إذا عرف السامع حال الأول عناه أن يعرف حال الثاني"<sup>(2)</sup>، هنا يبرز دور المتلقي الذي يقترن في ذهنه الأول والثاني، فيحتاج إلى معرفة حالهما معا، وهذا هو المبرر المعنوي للعطف عند الجرجاني وهو حال الاشتراك والتناظر، وهو حال يجعل الخطاب متماسكا معنوياً.

1 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 227.

2 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 223.

### ب. الإخبار عن الأول وعن الثاني:

تفسير معنوي علته أن يكون الخبران شبيهان، أو نقيضان، أو نظيران "فلو قلنا 'زيد طويل القامة، وعمرو شاعر'، كان العطف 'خلفاً' شاذاً لأنه لا مشاكله بين طول القامة والشعر، فالخبران ينتميان إلى حقلين دلاليين مختلفين، والواجب قول: 'زيد كاتب وعمرو شاعر'، 'زيد طويل القامة، وعمرو قصير'"<sup>(1)</sup>، كل تلك الأخبار متناسبة في المعنى ما يجعل وصلها مبرراً، وأكثر خلقاً للتماسك داخل الخطاب.

### 2. فاعلية الفصل:

أ- التأكيد: يهتم الفصل بالعلاقة الخفية بين الجمل المشكّلة للخطاب، دون الاعتماد على رابط شكلي ظاهر على سطح النص، من أمثلة ذلك قوله عز وجل: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ...)<sup>(2)</sup>، قال تعالى: (يُخَادِعُونَ) ولم يقل و يخادعون الله، لأن المخادعة هنا ليست شيئاً غير قولهم "آمنا" من غير أن يكونوا مؤمنين، فهو إذن كلام أكد به كلام آخر هو معناه ليس سواه<sup>(3)</sup>. وكذلك في قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا...)<sup>(4)</sup>، لم يأت المعنى معطوفاً بالواو نحو "وكأن في أذنيه وقراً" لأن المقصود من التشبيه في أذنيه وقراً هو نفسه المقصود من التشبيه بمن لم يسمع، وكلاهما ينفي أن يكون لتلاوة ما تلى عليه من الآيات فائدة معه، ويكون له تأثير فيه، وأن يجعل حاله إذا تليت عليه، كحالته إذا لم تتلى عليه، ولا شك في أن التشبيه بمن في أذنيه وقراً، أبلغ وأكد في جعله كذلك من حيث كان لا يصحّ منه السمع وإن أراد ذلك أبعد أن يكون ما يتلى عليه فائدة من الذي يصحّ منه السمع، إلا أنه لا يسمع إما اتفاقاً، وإما قصداً إلى أن لا يسمع<sup>(5)</sup>.

- 1 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 225.
- 2 - سورة البقرة، الآية: 08، 09.
- 3 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 228.
- 4 - سورة لقمان، الآية: 07.
- 5 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 229.

يلعب التأكيد هنا دور الرابط، أو الوسيلة المهمة من وسائل تماسك الخطاب رغم عدم ظهور الرابط على سطح النص.

ب - صيغة الخطاب: يسمي الجرجاني هذا الباب: الجملة يظهر فيها وجوب العطف، ثم يترك العطف لعارض. "ومما هو أصل في هذا الباب أنك قد ترى الجملة وحالها مع التي قبلها، حال ما يعطف ويقرن إلى ما قبله ثم تراها قد وجب فيها ترك العطف، لأمر عرض فيها صارت به أجنبية مما قبلها"<sup>(1)</sup>.

وقد بُرّر ذلك بما اصطاح عليه الخطابي "صيغة الخطاب" التي توجب الفصل، ومن أمثله قوله عز وجل: (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)<sup>(2)</sup>، يظهر لمتلقي هذه الآية من ظاهرها أنه يجب عطف "الله يستهزئ بهم" على (إنما نحن مستهزؤون) ذلك لأنه ليس أجنبيا عنه، وقد جاءت في القرآن الكريم نظائر من هذا النوع، وعلة هذا الفصل حسب الجرجاني هو صيغة الخطاب في الآيات، فقوله تعالى: (إنما نحن مستهزؤون) حكاية عن المنافقين وليس بخبر من الله تعالى، أما قوله تعالى "الله يستهزئ بهم" فهو خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم، لذلك امتنع عطف ما هو خبر من الله على حكاية عن الكفار.

أما ما يصوغ الوصل في مثل هذه المواضع التي فيها الفصل، مثل الآية "يخادعون الله وهو خادعهم" فمسوغ العطف هنا هو أن صيغة الخطاب واحدة، أي أن الخطاب جاء على صيغة الخبر عنهم فقط وليس على صيغتين، الخبر والحكاية، بالتالي سيكون معيار الفصل والوصل هو طبيعة صيغة الخطاب، إذا كانت الصيغة متماثلة، حكاية أو خبر وجب الوصل في الخطاب وإذا اختلفت وجب الفصل يتلخص ذلك كالاتي<sup>(3)</sup>:

خبر + حكاية - فصل - خبر + خبر وصل

حكاية + خبر فصل - حكاية + حكاية وصل

1 - عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 231.

2 - سورة البقرة، الآية: 15.

3 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 109.



### ج - الاستفهام المقدر:

يوجب وجود سؤال مقدر في الخطاب فصل الكلام عن الكلام، وما يفسره للمتلقى وجود جواب ظاهر في الخطاب لذلك السؤال المقدر.

من ذلك قوله<sup>(1)</sup>:

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنِّي فِي غَمْرَةٍ      صَدَقُوا، وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تُنْجَلِي

لما حكى عن العوازل أنهم قالوا: "هو في غمرة" وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأله فيقول: "فما قولك في ذلك، وما جوابك عنه؟ أخرج الكلام مخرجه إذا كان ذلك قد قيل له، وصار كأنه قال "أقول: صدقوا، أنا كما قالوا"<sup>(2)</sup>، فكأن البيت جواب عن سؤال مقدر، ومن ذلك أيضا قول الشاعر<sup>(3)</sup>

زَعَمَ الْعَوَازِلُ أَنْ نَاقَةَ جُنْدُبٍ      بِجُنُوبٍ خَبَتْ عَرِيْتُ وَ أَجَمَّتِ  
كَذَبَ الْعَوَازِلُ لَوْ رَأَيْنَ مَنَاخِنَا      بِالْقَادِسِيَّةِ قُلُنَّ لَجَّ وَ ذَلَّتِ

البيت الثاني جواب عن سؤال مقدر، فكأنه قال: "وما قولك في زعمهن"، فقال: "كذب العوازل"، هكذا يكون الفصل الواقع في الخطاب بواسطة الاستفهام المقدر والجواب عنه من وسائل ربط وتماسك الخطاب، فقد وضع الجرجاني أمثلة في البيت والبيتين، إذ يمكن أن يكون السؤال المقدر في الأول والجواب الظاهر له في البيت الثاني أو الرابع<sup>(4)</sup>، وهذا بيان آخر لطرح الإمام تعدي الجملة إلى النص، لذلك بعد عرضه للقوانين المحددة للفصل والوصل حدد الجمل وعلاقتها في ثلاثة أضرب<sup>(5)</sup>:

1 - محمد خليل الخاليلة، المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي، (د.ط)، عالم الكتب الحديث أربد، الأردن، سنة: 2006، ص: 106.  
2 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، صص: 235، 236.  
3 - عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 236.  
4 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 109.  
5 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 243.

1. جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكّد، فلا يكون فيها العطف البتّة لشبه العطف فيها.

2. جملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله، إلاّ أنه يشاركه في حكم، ويدخل معه في معنى، مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً، أو مضافاً إليه فيكون حقها العطف.

3. جملة ليست في شيء من الحالين، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الإسم مع الإسم لا يكون منه في شيء فلا يكون إياه ولا مشاركاً له في معنى، بل هو شيء إن ذكر لم يُذكر إلاّ لأمر ينفرد به، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلّق بينه وبينه رأساً، وحقّ هذا ترك العطف البتّة. وإن كان هذا النوع الثالث ينأى بطريقة ما عن مبادئ نحو النص، إلاّ أن دعوة الجرجاني إلى ضرورة ضمّ الكلم بعضه إلى بعض في أكثر من موضع يعزّز إمكانية أن تكون هذه الحالة شاذة في اللغة، وقد توجد لها بعض التخريجات.

إذا يمكن التأسيس لمبحث الفصل في التراث ابتداءً من الجاحظ وصولاً إلى البلاغيين والنحويين بعده، ولعلّ أكمل صورة لهذا المبحث هي ما عرض إليه الجرجاني؛ فدراسته أضافت شيئاً هاماً إلى مفهوم الربط بين جملتين، حيث لا يقتصر الربط فقط على العلاقة بين الخبرين، بل يتعداه إلى توضيح الربط بين المحدث عنه (المُخبر عنه) في الجملتين<sup>(1)</sup>.

وقد حدد أدوات الوصل، ومنها "الواو"، و"الفاء" و"ثم" و"أو". كما أن الأصول التي جاء بها الجرجاني في هذا المبحث "يمكن بل يجب أن تكون دستوراً لنحو النص"<sup>(2)</sup>، ولا يخلو الأمر من مباحث أخرى اتسم دورها بمنح نفس الشحنة التماسكية للنصوص منها أيضاً مبحث التقديم والتأخير.

ثانياً: الأبعاد النصية لمبحث التقديم والتأخير:

1- ينظر: عزة محمد شبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، سنة: 2007، ص: 190

2 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج/1 ص: 534.

لن يكون الحديث عن التقديم والتأخير بصفته قرينة نحوية أو غرضاً بلاغياً فحسب، بل كأساس يربط الجمل ليورث النص تماسكاً يجعله وحدة شاملة؛ هذه الظاهرة تقوم على التصرف في الرتب التي تحتلها العناصر المكونة لمركب من المركبات اللغوية، وما ينتج هذا التغيير في الرتب من فوارق في المعنى، هذا التغيير هو أحد عوامل الربط عند الجرجاني "فإذا قدّم الشاعر أو الناثر أو المتكلم الظرف، ثم أحرّ العامل فيه، وهو الفعل فذلك يجعل من الكلام المتقدم والمتأخر قطعة متماسكة من القول تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقي، الذي يحتزن ثم يسترجع رابطاً بين المعمول وهو الظرف، والعامل فيه وهو الفعل"<sup>(1)</sup>، لذلك منح الجرجاني مكانة عالية لهذا المبحث والمعيّار من معايير النظم عنده كذلك "لكثرة أمثله وتشعبها وتعدد طرق التحليل فيها"<sup>(2)</sup>، وتتنوع معاييرها وأدواتها. من أدواتها الفاعلة في تماسك النص:

### 1- الاستفهام:

يفرّق الجرجاني بين المتحصّل من الجملة إذا بدأ بالفعل "الماضي" أو "بالاسم"، فإذا بدأت بالفعل، قلت أفعلت؟ كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا بدأت بالاسم قلت أنت فعلت؟ كان الشك في الفاعل من هو؟ وكان التردد فيه<sup>(3)</sup>. هذا هو منطلق الربط بين الموقع الذي يحتله العنصر اللغوي، والمعنى الناتج عن ذلك؛ فحدوث أي خلل في العلاقة بين موقع الاسم أو الفعل والمعنى الناتج أو المحدد للاسم حال تقدمه، والفعل حال تقدمه، يجعل الجملة فاسدة "فلو قلت: 'أنت بنيت الدار التي كنت تبنيها؟'، 'أنت قلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟'<sup>(4)</sup>، فهي جملة غير صحيحة لأنها لم تراع القاعدة العامة من حيث أن التردد هنا في وجود الفعل أو وقوعه، فقد تخالف التركيب والمعنى، فاحتل الاسم موقع الفعل، فاستحال معنى التردد في وجود الفعل، والأصح قولك 'أنت بنيت، بنيت هذه الدار'، وذلك لأن العلاقات بين أجزاءها صحيحة، أما قولك: 'أبنت هذه الدار؟' فيه لبس، لأن في كلامك نقلاً

1 - إبراهيم خليل، اللسانيات ونحو النص، ص: 229.

2 - سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية، ص: 207.

3 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 111.

4 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 112.

للاستفهام من الشكّ في الفعل إلى الشكّ في الفاعل والتناقض ظاهر بين أثر ضمير الإشارة في إثبات أمر واقع، والاستفهام بالفعل عن أمر موجود أم لا<sup>(1)</sup>. وإنما يكون الكلام مستقيماً إذا كان السؤال عن الفعل على وجه الإجمال كما في: 'أقلت شعراً قط' ولو قلت 'أنت قلت شعراً قط؟' فالمعنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا، وبذلك تكون قد قلت كلاماً محالاً، لأنك جمعت بين الفعل الدال على الإطلاق، والفاعل المعين وإذا أردت صحة الكلام يجب التحول إلى الاختصاص، حتى يصبح السؤال عن عين الفاعل مثل: 'أنت قلت هذا الشعر؟ الشعر هنا قد قيل بالإشارة إليه، وهي فعل مخصوص والشك في فاعله، هذا النوع من الكلام المستعمل فيه الهمزة يغلب فيه التقرير.

وقد ينتقل الكلام إلى مستوى آخر يتضمنه الاستفهام وهو الإنكار، في مثل قوله تعالى: (...أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ)<sup>(2)</sup>، لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقرّ لهم بأن كسر الأصنام قد كان، ولكن أن يقرّ لهم بأنه منه كان، وكيف؟ والدليل على ذلك في الإشارة بالغائب في الإجابة عنه (...بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ...)<sup>(3)</sup>، ولو كان التقرير بالفعل لكان الجواب 'فعلت' أو 'لم أفعل'<sup>(4)</sup>. هكذا يجمع الاستفهام بالهمزة المعاني التالية، تقرير بفعل قد كان وإنكار له لم كان، وتوبيخ لفاعله، وكلها معان تربط معاني النص وتوضحها، حتى يحس متلقي النص بمدى إحكام بنائه وتماسكه.

مسألة أخرى من مسائل الاستفهام بأساليب التقديم والتأخير توضح فاعلية هذه الآلية في تماسك النص هي: بيان الفرق مع تغيير الزمن، أي الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم، والفعل المضارع، ولما كانت المضارعة صيغة يمكن أن تدل على الحال والاستقبال معاً، إذ لا تضم عنصراً دالاً على زمن دون آخر منهما، فإنه يفرق بينهما في الاستعمال لإبراز العلاقة بين الزمن النحوي والدلالة، ويُصدّر تحليليه بالإشارة إلى عدم اختلاف الدلالة الكلية المستخلصة من الاستفهام بإحلال المضارع الدال على الحال محل الماضي، فالمراد من جملة، أتفعل؟ إرادة تقرير فعل يفعله المخاطب، أما المراد من جملة: أنت

1 - ينظر: سعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية، ص: 207.

2 - سورة الأنبياء، الآية: 62.

3 - سورة الأنبياء، الآية: 63.

4 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، صص: 112 ، 113.

تفعل؟ فهو إيراد التقرير بأنه الفاعل، وهكذا يكون التقرير، أي الدلالة الكلية لبنية الاستفهام مختصا بصيغة المضارع الدال على زمن الحال، وهي تخالف تلك الدلالة من التقرير إلى الإنكار؛ أي تتحول دلالة الفعل من الإمكان إلى الاستحالة، ويرتبط الإنكار بالمتقدم، فإذا تقدم الفعل فإن الإنكار يتجه إليه، وإذا تقدم الاسم فإن الإنكار ينتقل إليه، ويقدم أدلته على صحة تلك القاعدة الأساسية من مستويات لغوية مختلفة، نأخذ أمثلة توضيحية:

أولا: قول امرئ القيس<sup>(1)</sup>:

أَيَقْتُلُنِي وَ الْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ

تحقق في المثال تقدم الفاعل، والدلالة هنا دلالة الاستقبال بالتالي الإنكار التام لإمكان وقوع الفعل، "فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل"<sup>(2)</sup>.

ثانيا: قولك لرجل يركب الخطر: "أخرج في هذا الوقت؟ أتذهب في غير الطريق؟ ينتج عن تغير مواقع مكونات البنية اللغوية بتقديم الاسم على الفعل تحول أو انتقال تلك الدلالة المقصودة، وهي الإنكار من الفعل إلى الاسم ذاته، هذا هو المعنى العام الناتج عن التغير الموقعي، غير أنه قد تضاف إليه دلالات جزئية أخرى يستخلصها المفسر، لكنها ليست ثابتة ثبوت المعنى العام، وإنما تختلف باختلاف مكونات البنية.

أنت تمنعني؟ المقصود إثبات عجز الفاعل، وأهو يمنع الناس حقوقهم؟ المقصود امتناع الفاعل عن الفعل مع القدرة عليه<sup>(3)</sup>. وكل هذه المعاني تفهم من طرف المتلقي حسب قصد الباث وهي من القضايا التي حرص عليها نحو النص، ومكن لها ضمن قضاياها الأساسية، كما يبدو من بعض أفكار الجرجاني حول قضية التقديم والتأخير تقابلا مع مسائل في نحو النص، كمسألة المعنى العام، وهي

1 - امرؤ القيس بن حجر الكندي، الديوان، شرح: أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، (د.ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، سنة: 1974، ص: 110.

2 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، صص: 116-117، وسعيد حسن البحيري، دراسات لغوية وتطبيقية، ص: 211.

3 - ينظر: سعيد حسن البحيري، المرجع نفسه، ص: 212.

مقابلة للبنية الكبرى عند تون فانديك\* والأفكار الجزئية تقابل البنى الصغرى، إضافة إلى ما أشير إليه من نجاعة المقبولية والمقصدية\*\* في تفسير ظواهر التقديم والتأخير عندما يكتشف المتلقي غرض الباث من ذلك التقديم أو التأخير.

### 2- النفي:

يفرق الجرجاني بين دلالة التقديم مع النفي للفعل، والتقديم مع النفي للاسم، فإن قلت: "ما فعلت" كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت "ما أنا فعلت" كنت نفيت فعلا يثبت أنه مفعول، أما إذا احتوت البنية على عنصر آخر هو المفعول به، قيل: ما أنا قلت هذا، فالنفي هنا للفاعل، أما المفعول فقد وقع فعلا وهكذا تغير إضافة عنصر جديد الجملة المنفية القصد من القول، يدعم هذه النتيجة إيضاح الفرق بين جملتين تتفقان في التعدي، وتختلفان في الترتيب، وهما مثل: "ما ضربت زيدا" و"ما أنا ضربت زيدا"، يمكن في الأولى تقدير احتمالين: الأول: جواز أن الضارب غير الفاعل في الجملة. والثاني: جواز أن لا يكون قد وقع ضرب أصلا.

أما الثانية فإنها -خلافا- للأولى ليست إلا أن يكون زيدٌ ضربَ فعلا، ويكون القصد من القول نفي أن يكون الضارب هو أنت، دليل ذلك تقدم الضمير عن الفعل، لكن لتكون البنية الأولى صحيحة يجب أن يدل المفعول على العموم كأن يكون المنفي عاما، كقولك "ما قلت شعرا قط" و"ما أكلت اليوم شيئا" و"ما رأيت أحدا من الناس" أو مخالفة هذا القيد كقولك "ما أنا قلت شعرا قط" و"ما أنا أكلت اليوم شيئا" و"ما أنا رأيت أحدا من الناس" قولك الجمل السابقة يقتضي الحال؛ فهي جمل غير صحيحة تعني أن يكون هاهنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا، وأكل كل شيء يؤكل، ورأى كل أحد من الناس، فنفيت أن تكونه<sup>(1)</sup>. علة ذلك أن في تقديم الاسم إشارة واضحة إلى التخصيص، وفي تنكير المفعول دلالة كافية على العموم، وليس من شك في أن الجمع بين دلالتى

\* - عالم لساني هولندي، ولد سنة 1943، اهتم بتطوير دراسة ضروب نحو النص وتداولية الخطاب، نشرت أبحاثه فيما يزيد عن 30 دراسة، يشتغل حاليا أستاذا بجامعة أمستردام، ينظر: فانديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، (د.ط)، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، سنة: 2000، ص: 09.

\*\* - المقبولية و المقصدية من أهم قضايا نحو النص، ينظر: الفصل الثالث من هذا العمل.

الخصوص والعموم تناقضا بينا بالتالي فإن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل فلا يتوجه القصد إليه سواءً باستفهام، أو نفي أو إخبار، وإنما يقع المعنى في تلك الأبنية المختلفة على الاسم المتقدم، ومن أمثلة تقديم الاسم - هذا التقديم يقتضي وجود الفعل - قول المتنبي<sup>(1)</sup>:

وَمَا أَنَا أَسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ      وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

النفي هنا ليس للفعل "أسقم"، هذا الفعل اقتضى وجوده تقديم الاسم، أي أنه ليس القصد بالنفي إلى "أسقمت" إنما إلى الضمير المتقدم عليه وهو الضمير "أنا" أي أن يكون هو الجالب له ويكون قد جرّه إلى نفسه<sup>(2)</sup>.

ومما ينضح منه ربط وتماسك بين جمل النص أيضا نفي كما في الأمثلة التالية: "ما قلت هذا، ولا قاله أحد سواي" و"ما ضربت زيدا وما ضربه أحد سواي" ولا يصح ذلك في الوجه الآخر، فلو قلت: "ما قلت هذا وما قاله أحد من الناس." و"ما أنا ضربت زيدا ولا ضربه أحد من الناس"، كان خلفا من القول، وكان التناقض بمتزلة أن تقول: "لست الضارب زيدا أمس."<sup>(3)</sup>، يميز الإمام هنا بين الكلام الفصيح والرديء والمحال، ففي بنية العطف: ما قلت هذا ولا قاله أحد سواي، تتفق الجملتان في تقدم الفعل وبالتالي يقع النفي عليهما فلا تناقض إذن في المعنى الناتج عنهما، وذلك خلافا لبنية أخرى وهي "ما أنا قلت هذا ولا قاله أحد من الناس"، النفي في الجملة الأولى يتجه إلى الاسم المتقدم، وفي الثانية إلى الفعل المتقدم، من ثم يقع اختلاف في المعنى بضعف العطف أو القول الرديء أو حسب تعبير الإمام "الخلف من القول"<sup>(4)</sup>، فما أراد الجرجاني إضافة إلى جمالية أسلوب التقديم والتأخير سواء في مسائل النفي أو غيرها، إحكام ذلك الأسلوب ليكون النص متماسكا.

1 - أبو الطيب المتنبي، الديوان، تعليق: يحيى شامي، الطبعة العاشرة، دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة: 2004، ص: 151.

2 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 125.

3 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 125.

4 - عبد القاهر الجرجاني، نفسه، ص: 125.

### 3- الخبر:

لا يختلف الخبر عن الاستفهام، والنفي في وجوب مراعاة الفروق الدلالية الناجمة عن التقديم والتأخير.

في جملة "زيد قد فعل" و"أنا فعلت" و"أنت فعلت" يتقدم الاسم المعتمد ذكره أولاً ثم يبنى الفعل عليه، وعلّة ذلك أن القصد فيها يتجه إلى الفاعل غير أنه يشق المعنى في هذا القصد، وفي ذلك التشقيق إشارة ترجح أن المعنى والقصد قد يتطابقان في مواضع إلا أنّهما لا يتطابقان في مواضع أخرى، يكون فيها القصد أشمل من المعنى كما في هذا الموضع عندما يقتضي التقديم أن يكون القصد إلى الفاعل، ينقسم المعنى في هذا القصد إلى قسمين:

**1. ظاهر:** يبين إرادة الانفراد بفعل ورد الاشتراك فيه، "ويكون الفعل فعلاً أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم أن فاعله دون واحد آخر أو دون كل أحد"<sup>(1)</sup>، أي أنك تنفرد بالفعل وتستبد به، وتردّ أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت، ومن البين في ذلك أيضاً قولهم في المثل "أَتَعَلَّمُنِي بِضَبِّ أَنَا حَرَشْتُهُ" المعنى ظاهر بظاهر القول.

**2. غير ظاهر:** وهو معنى لا يظهر بظاهر الكلام، ولكن يظهر من خلال دلالة إضافية، يتوقف الوصول إليها على كفاءة المخاطب، تتأكد تلك الدلالة في تحقيق الفعل في نفس المخاطب، أو كما عبر الإمام أن القصد إلى الفاعل لا يكون على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشكّ، فأنت بذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولاً ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه، لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، أو من أن يظن بك الغلط أو التردد من أمثلة ذلك: "هو يعطي الجزيل" و"هو يحب الثناء" لا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويجب الثناء غيره، ولا تعرّض بإنسان وتخطّه عنه، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل، وحب الثناء دأبه وأنه تمكن ذلك في نفسه<sup>(2)</sup>.

1 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 128. وسعيد حسن البحيري، دراسات لغوية تطبيقية، ص: 217.

2 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، صص: 128، 129.



الملاحظ اهتمام الجرجاني بالمخاطب والمخاطب معا، ولعل هذه خاصية تميّزت بها دراسات الجرجاني، إذ يفترض الرجل حضور المتلقي، محاورا ومتداخلا، ومتابعا، وينظر إلى أن اكتمال الخطاب لا يكون إلا بعلاقة بين المتلقي والمبدع والنص، لذلك تبوأ المتلقي هذه المكانة؛ فحضوره بإدراكه وعاطفته يكشف عن خيوط صياغة النص، ويسير علاقاته<sup>(1)</sup>، يهمننا من ذلك اشتراك مذهب الجرجاني ومبادئ نحو النص التي أرجعت مكانة المتلقي؛ ميرر ذلك الاشتراك تفسير الظواهر السابقة ذكرها بالرجوع إلى مقبولية المتلقي، وكذلك مقصدية الباث، وهي من أهم قضايا نحو النص، ومن أهم ما اهتم به الجرجاني؛ فالمتكلم أو الباث عند الإمام لا بدّ أن يضمن لصياغته مؤشرات بارزة إلى القصد من الصياغة في التقديم والتأخير، إذ أن في تقديم عنصر من عناصر الجملة على حدث الجملة مؤشرا دالا يجب على الباث إدراك القصد منه وعلى المتلقي قبوله بقصده، مثلا قولهم<sup>(2)</sup>:

هُم يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرِقُ بِيضُهُ  
عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدِّمَاءِ سَبَائِبُ

يوجّه البيت المتلقي إلى المقصدية من تقديم الضمير على الفعل، وهو تنبيه له بقصد الحديث من قبل ذكر الحديث، ليحقق الأمر ويؤكد.

إضافة إلى كل أطروحات الجرجاني في مسائل التقديم والتأخير، والتي يمكن إدراجها ضمن مبادئ نحو النص العربي، نجد تفسيراً منه لمسائل التقديم والتأخير بعناصر غير لغوية عندما يؤكد "على دور المعرفة المسبقة لدى المخاطب في صحة كلام المتكلم نحوياً واستقامته دلالياً، فصحة جملة "رجل جاءني" تتوقف على علم المخاطب بوقوع فعل، وما يريده من المتكلم هو إعلامه بجنس من قام بالفعل<sup>(3)</sup>.

اعتبر الجرجاني التقديم والتأخير وسيلة مهمة من وسائل الإحاطة بالمفاهيم والتصورات داخل النص؛ ذلك بتغيير الرتبة بين المكونات النصية، فيقوم الناظم بتقديم وتأخير الظروف والأفعال... إلخ. لتدل هذه العملية في الأخير على أن النص سبيكة واحدة بعلاقاته النحوية والدلالية.

1 - ينظر: محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند الجرجاني، الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، مصر، سنة: 1995، صص: 221 ، 222.

2 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 129.

3 - ينظر عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، صص: 129، 130.

### ثالثاً: الحذف:

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، ظهور هذه الظاهرة في العربية يبدو طافحاً أكثر من غيرها من اللغات "لما جُبلت عليه العربية في خصائصها الأصلية من ميل إلى الإيجاز"<sup>(1)</sup>، الذي يقتضي الحذف في الكلام.

يمكننا تعريف الحذف انطلاقاً من معرفة مكونات الجملة، التي تتكون من ركنين أساسيين، هما: المسند والمسند إليه، يشتمل الأول: المبتدأ، والفاعل، والثاني: الخبر والفعل، وغيرهما ينعت بمتعلقات الفعل، كالمفعول به، ولأجله... إلخ. الأصل أن تتم الجملة بهذه المكونات ليتم معناها، إلا أنه قد يحدث في كثير من الأحيان ألا نجد في الكلام أحد الأركان السابقة، ولا يحدث الحذف بشكل اعتباطي، بل هو حذف لأداء دلالة معينة بقصد من المبدع لسر بلاغي يريده<sup>2</sup>، لذلك سيكون الحذف "باباً دقيقاً المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً أن لم تب<sup>(3)</sup>"، فهو وسيلة رابطة لأجزاء النص إضافة إلى كونه وسيلة تحسينية للمعنى.

وأكثر ما يظهر الحذف في القطع والاستئناف، عندما يبدأ بذكر الرجل أو الرجال ويقدمون بعض أمورهم، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ<sup>(4)</sup>، مثال ذلك قول عمرو بن معدي كرب<sup>(5)</sup>:

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَوْمَ ذَا  
كَ مُنَازِلٌ كَعْبًا وَنَهْدًا

1 - طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، (د.ط.)، الدار الجامعية للطباعة و النشر والتوزيع، (د.ت)، ص: 09.

2 - ينظر: شفيق السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، ص: 61.

3 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 146.

4 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 147.

5 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 148.

### قَوْمٌ إِذَا لَبَسُوا الْحَدِيدَ دَتَمَّوْا حَلَقًا وَقَدًّا

ذكر الشاعر قبيلتي كعب ونهد، ثم استأنف الكلام بعد ذكرهما، وأخبر أنهم يشبهون النمرور فـ"قوم" في صدر البيت الثاني خير لمبتدأ استغنى الشاعر عن ذكره لأنه مفهوم من البيت الأول، ذلك ما جعل البيتين أكثر تماسكا؛ إذ لا يتم معنى الثاني إلا بمعرفة معنى الأول، وسيكون الحديث عن فاعلية الحذف في تماسك النسق عند علماء التراث في الأجزاء التالية من البحث، في رصد لأهم المسائل في التراث البلاغي العربي وأكثرها تماهيا مع قضايا نحو النص.

### 3- مسائل تماسكية أخرى عند الجرجاني:

أولا: التمثيل فاعل في انسجام النص: رغم أن هذا المبحث لا ينتمي إلى مباحث علم المعاني عند الجرجاني، بل ينتمي إلى مباحث علم البيان إلا أن إيراده ضمن الآليات التي تكلم عنها الجرجاني والتي تسهم في تماسك النصوص ضرورة، لما يكتسبه المبحث من مظهرات هامة لهذا التماسك والانسجام.

لقد وضع الإمام في مؤلفه أسرار البلاغة فروقا بين التشبيه والتمثيل، غير أن ما يهتم البحث هو الكشف عن مساهمة التمثيل في انسجام الخطاب، لذا لن يكون التركيز على تلك الفروق من حيث هي فروق تصنيفية، بل من حيث هي فروق من شأنها أن تجلي مهمة التمثيل بشكل أوضح في تماسك الخطاب، يبدأ التمييز عند الجرجاني من تصوره أن "التشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام، أو جملتين أو أكثر، حتى ترى أن التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة إلى الجملة أكثر"<sup>(1)</sup>.

يطرح الجرجاني هنا مسألة التخيل التي توسع مساحة التمثيل من الجملة إلى النص، بعكس استعمال العقل الذي يضيق تلك المساحة فيحصر التمثيل في جملة، ويوضح ذلك في مثل قوله عز وجل: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ

1 - الإمام عبد القادر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1988، ص: 87.

وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ... (1).

تُظهر الآيات السابقة انسجاماً محكماً، حتى أنك لو حذفنا جملة واحدة أدخل ذلك بالمعنى، والمغرى من التشبيه، ومرد ذلك تنسيق الجمل "ثانية منها على أولى وثالثة على ثانية وهكذا" (2) ذلك ما يجعل من التمثيل آلة نسيج لخيوط الخطاب مكون من أجزاء كل جزء يستدعي وجود الآخر، فلا معنى لجزء منها بعيداً عن باقي مكونات الخطاب، النص السابق يجلي ذلك، فهو مشكل من جمل متداخلة متعلق بعضها ببعض، حتى أنه يستحيل حذف إحداها دون الإخلال بالمعنى، لأنه يتعلق بثلاث مراحل (3):

1. نزول الماء من السماء، وما نتج من اختلاط نبات الأرض به.

2. اتخاذ الزينة الناتجة عن المرحلة الأولى، وما أعقب ذلك من إعجاب الناس بها، واعتقاد دوامها على ذلك.

3. الإتيان عليها، وجعلها في خبر كان.

بدون تتابع تلك المراحل لن يستقيم معنى الخطاب، ومما أشار إليه الإمام أيضاً من مساهمة التمثيل في انسجام الخطاب، أنه لا يتم في بيت واحد، بالتالي سيضمن كلية أو شمولية النص، من ذلك قول البحثري (4):

دَانَ عَلَىٰ أَيْدِي الْعَفَاةِ وَشَاسِعٌ  
عَنْ كُلِّ نَدٍّ فِي الْعُلَا وَضَرِبِ  
كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْءُهُ  
لِلْعُصْبَةِ السَّارِينَ جِدُّ قَرِيبِ

1 - سورة يونس، الآية: 24.

2 - عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 87.

3 - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 128.

4 - أبو عبادة الطائي البحثري، الديوان، شرح: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة: 1987، ج/1 ص: 171.

لن يتحقق مغزى التمثيل إلاّ بإلحاق البيت الثاني بالأول، فالكلام حسب الإمام ليس أبديداً متناثراً، و لن يتم معنى البيت الأول إذا لم "تنته إلى الثاني ولم تتدبر نصرته إياه"<sup>(1)</sup>، وغير هذا كثير من الشواهد ساقها الإمام لتأكيد فاعلية التمثيل في انسجام الخطاب.

لا يفوتنا هنا أن نشير إلى مسألة ترتيب الخطاب التي يثيرها الجرجاني في هذا المبحث، وهي قضية عرض لها نحو النص الغربي\*، فقد اهتم الجرجاني بترتيب وقائع الخطاب في معرض حديثه عن التمثيل وما يفرضه من تنسيق بين الجمل، ووضح مذهبه بأمثلة كـ "زيد كالأسد بأساً، و البحر جوداً، و السيف مضاًء، و البدر بهاء"<sup>(2)</sup>، هذا لا يوجب على منتج الخطاب ترتيباً معيناً، إذ يجوز له البدء بما شاء ولن يلحق ذلك بالمعنى أيّ فطور"فلو بدأت بالبدر وتشبيهه به في الحسن، وأخرت تشبيهه بالأسد في الشجاعة، كان المعنى بحاله"<sup>(3)</sup>، أما في مواضع أخرى في الشعر مثلاً، فيجب ترتيب عناصر الخطاب على نحو معين كقول قول الشاعر:

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوُجُوهُ دَنَا نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَّمْ

إنما يجب حفظ هذا الترتيب لأجل الشعر، فهذه الجمل متداخلة كتداخل الجمل في الآية، وواجب فيها أن يكون لها نسق مخصوص كالنسق في الأشياء، إذا رتبت ترتيباً مخصوصاً، كان لمجموعها صورة خاصة<sup>(4)</sup>.

بذلك يكون الجرجاني قد اهتم بترتيب وقائع الخطاب على غرار ما قدمه فانديك من تحرٍ لهذه المسألة.

### ثانياً: الإحالة:

لا يشير الجرجاني بشكل مباشر إلى مفهوم الإحالة، وإنما يظهر معناها لديه عندما يتكلم عن مظاهر الإضمار النصي الذي يُعدّه من وسائل درء التكرار، واللبس عن النصوص، فالإحالة عنده

1 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 98.

\* - ينظر: الفصل الثالث من هذا العمل.

2 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 87.

3 - عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 87.

4 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 88.

أداة ربط ذات قيمة عالية من بين أدوات ربط الجمل داخل النصوص، ومن وظيفة الإحالة تشغيل الضمائر في إثباتها من ذلك "جاءني زيد وهو مسرع"، أحال الضمير هو على "زيد" درءاً للتكرار، و من فاعلية الإحالة أيضا التنسيق والربط المعنوي للنصوص، كما يمنح ذلك التجنب للتكرار رونقا وحسنا للنصوص، مما يعني أن الإحالة بالنسبة للجرجاني إضافة إلى كونها وسيلة ربط للنصوص هي وجه من أوجه تحسين الكلام، يأتي من شعر البحتري<sup>(1)</sup>:

بَلُونَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى      فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحِ ضَرِيْبَا  
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا      تْ عَزْمًا وَشِيكًا وَرَأْيًا صَلِيْبَا

استخدام الضمير -هو- في بداية البيت الثاني إحالة إلى ما في البيت الأول؛ ذلك أضفى على النص جمالية، وقوة، إضافة إلى إحكام ربطه، واتساقه، غير أن هذه الإحالة لا تروق في كل مقام، وقد تكون سببا في فساد النظم حسب الجرجاني ففي مثل قول المتنبي<sup>(2)</sup>:

الطِيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طَيْبُهُ      وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الْغَاسِلُ

لقد غالى الشاعر- في هذا البيت -في التقديم والتأخير والإحالة، مغالاة خرج فيها عن جادة الصواب، وانحرف عن محجة الإحسان<sup>(3)</sup>، هكذا تكون وسيلة الإحالة وسيلة تماسك وإحكام النص، إضافة إلى كونها وسيلة جمالية، و مثل هذه الوسائل البلاغية العربية كثير، فقد توجد مسائل بدعية من قبيل التكرار و الجناس و غيرها ما يضطلع بدور تحسيني ودور تماسكي يكمل بناء النص و إحكامه.

#### 4-مظاهر بدعية عربية تمفو إلى قضايا نحو نصية:

يمكن إدراج بعض المسائل البديعية في التراث العربي ضمن قضايا نحو النص، جاءت معظمها عند علماء البلاغة، منهم من أشار إلى دورها التحسيني ومنهم من وقف عندها دون أي تعليق، ومنهم من أشار إلى وظيفتها في الجمع بين شيئين أو أشياء في النص، وهذا من صميم البحث في إطار التأصيل لنحو النص ضمن التراث العربي، يمكن القول إن علماء ما بعد أبي هلال العسكري هم

1 - البحتري، الديوان، ج/2، ص:88.

2 -المتنبي، الديوان، ص:43.

3 - ينظر: إبراهيم خليل، اللسانيات ونحو النص، ص:229.

الأكثر اهتماما بهذه الوظيفة<sup>(1)</sup>، التي توصف أنها معالجة لسانية تنتقل بهذه الظواهر البديعية من وظيفة التحسين إلى وظيفة السبك والحبك<sup>2</sup> فرما وجدت هذه الظواهر بعضها أو جلّها في التراث النقدي والبلاغي عند العرب أشتاتا وفرادى... ولعل في التراث البديعي من الثراء والخصوبة من هذه الوجهة ما يحفز الجادين من الباحثين إلى استفراغ وسعهم في إعادة تشكيل هذا العلم من منظور نصي<sup>(2)</sup>، مع أنّ بعض الباحثين قد ضيقوا هذا المجال وأشاروا إلى أنّ أنواع المحسنات البديعية لم تدرس إلاّ في إطار بيان معانيها، وأنواعها، وأغراضها البلاغية<sup>(3)</sup>، غير أنّ البحث قد جمع -على حد الاطلاع- من الدراسات المهمة ما يثبت أنّ القضايا البديعية تنضوي على أبعاد سبك وحبك، إضافة إلى أبعادها التحسينية، فقد ورد مفهوم السبك في التراث العربي، عند الجاحظ الذي عدّ "أجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فيعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا وسبك سبكا واحدا"<sup>(4)</sup>.

وقد علّق العسكري على أبيات للنمر بن توبل فقال: "جيدة السبك حسنة الرصف"<sup>(5)</sup>. كما نجد سبك الخطاب وانسجامه عند ابن أبي لإصبع\* وهو يتصور الانسجام "أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم بسهولة سبك، وعذوبة ألفاظ وسلامة تأليف"<sup>(6)</sup>، ومما يتحقق به هذا السبك مسائل منها ما هو مشترك وقضايا نحو النص.

- 1 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 130.
- 2 - سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، ص: 107. نقلا عن: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: 1998، ص: 71.
- 3 - ينظر: صبحي إبراهيم الفقهري، علم اللغة النصي، بين النظرية و التطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة: 2000، ج/1، ص: 17.
- 4 - الجاحظ، البيان والتبيين، ج/01، ص: 67.
- 5 - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 185.
- \* - أبو محمد زكي الدين، عبد العظيم بن عبد الواحد، ابن محمد المصري المعروف بابن أبي لإصبع، ولد بمصر، سنة 585هـ، أهم مؤلفاته "بديع القرآن"، "الخواطر و السوانح" توفي سنة 654هـ. ينظر: ابن أبي الأصبع المصري: تحرير التعبير في صناعة الشعر، والنثر، وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث، ج/1، صص: 04، 06.
- 6 - ابن أبي الأصبع المصري: تحرير التعبير في صناعة الشعر، والنثر، وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، (د.ط)، لجنة إحياء التراث، ج/3، ص: 429.

أولاً: التكرار:

هو من القضايا المشتركة بين نحو النص الغربي و التصور العربي، وهو عند ابن الأثير\*\* "دلالة اللفظ على المعنى مرددا"<sup>(1)</sup>، ويعرفه السجلماسي\*\*\*: " بإعادة اللفظ الواحد بالعدد أو بالنوع أو المعنى الواحد بالعدد أو النوع في القول مرتين فصاعدا"<sup>(2)</sup>، وهو عنده نوعان لفظي يسمى مشاكلة، ومعنوي ويسمى مناسبة، أما في تعبير نحو النص فيسمى تكرار اللفظ: "إعادة العنصر المعجمي نفسه"، من مליح هذا الباب ما أنشده الشاعر:

لِسَانِي لِسْرِي كَتُومٌ كَتُومٌ      وَدَمْعِي بِحَيِّي نَمُومٌ نَمُومٌ  
وَلِي مَالِكٌ شَقْنِي حُبُّهُ      بَدِيعُ الْجَمَالِ وَسِيمٌ وَسِيمٌ  
لَهُ مُقَدَّمَاتَا شَادِنِ أَحْوَرٍ      وَلَفْظِ سَحُورِ رَحِيمِ رَحِيمِ  
فَدَمْعِي عَلَيْهِ سَجُومٌ سَجُومٌ      وَجِسْمِي عَلَيْهِ سَقِيمٌ سَقِيمٌ

ورد تكرار العناصر المعجمية نفسها، مما جعل النص جيّد السبك، و هو من أهم وظائف التكرار. كما يسمى نحو النص تكرار المعنى بـ"الترادف أو شبه الترادف" ومن شواهد في العربية

\*\* - أبو الفتح نصر الله ابن أبي كرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني الملقب بضياء الدين، ولد سنة 558 هـ، له عدة تصانيف دالة على غزارة علمه، منها كتاب "المثل السائر" وكتاب "الواشي المرقوم في حل المنظوم"، توفي سنة: 637 هـ، ينظر: ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في آداب الكاتب و الشاعر، صص: 27-28-29.

1 - ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، و بدوي طبانة، (د.ط)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ج/3، ص: 03.

\*\*\* - هو أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري السجلماسي، من مواليد النصف الثاني من القرن السابع في عصر بني مرين، ارتحل إلى فارس للأخذ عن علمائها، وجلس للتدريس بها، من أهم مؤلفاته "المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع"، كانت وفاته في العقد الثاني أو الثالث من القرن الثامن للهجرة (ينظر: علال الغازي، مدخل كتاب المترع البديع صص: 37، 70)

2 - أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، سنة: 1980، ص: 476.



قوله تعالى: ( وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ .. )<sup>(1)</sup>،  
فمعنى الأمر بالمعروف متصل بمعنى النهي عن المنكر، وهو نوع من شبه الترادف المعنوي.

المتبع لتاريخ البلاغة العربية سيجد اختلافا في آراء علمائها حول التكرار منهم من عدّه عيباً،  
ومنه من أوكل إليه وظائف متعددة، فلا يجب على الشاعر "أن يكرر اسماً إلا على جهة التشويق  
والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب"<sup>(2)</sup>، كقول امرئ القيس<sup>(3)</sup>:

دِيَارُ سَلْمَى عَافِيَاتٌ بِذِي حَالٍ      أَلْحَ عَلَيَّهَا الْخِزَامِي أَوْ عَلَيَّ رَأْسِ أَوْعَالٍ  
وَتَحْسَبُ سَلْمَى لَا تَزَالُ تَرَى طَلًّا      مِنْ الْوَحْشِ أَوْ بِيضًا بِمِثَاءِ مِحْلَالٍ  
لِيَالِي سَلْمَى تُرِيكَ مِنْضَدًّا      وَجِيدًا كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِمِعْطَالٍ

وللتكرار عدة وظائف متنوعة ذكرها ابن رشيق<sup>\*</sup> في عمدته<sup>\*\*</sup>، على أن ما يهم البحث من  
التراث البلاغي وظائف التكرار المتعلقة بربط أجزاء النصوص، نأخذ تعريفاً للسجلماسي يحمل معاني  
ترابط و تلاؤم أجزاء الكلام، هو تعريفه لضرب من التكرار اصطلاح عليه مصطلح "البناء" وهو "إعادة  
اللفظ الواحد بالعدد وعلى الإطلاق المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعداً، خشية تناسي الأول لطول  
العهد به في القول، ومن صورّه الجزئية، قوله تعالى: ( أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا  
أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ )<sup>(4)</sup>، قوله: 'أنكم' الثاني بناءً على الأول، و إذكار به خشية تناسبه، لطول العهد به  
في القول<sup>(5)</sup>. يلتقي السجلماسي في هذه النقطة مع علماء نحو النص، عندما يكشفون أوجه ترابط

1 - سورة آل عمران، الآية: 104.

2 - أبو علي الحسن، بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، تحقيق: يحيى محي الدين عبد  
الحميد، (د.ط.)، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ج/02، ص: 78.

3 - امرؤ القيس، الديوان، صص: 99-100.

\* - أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، ولد بالمسيلة، سنة 390 رحل إلى القيروان، تتلمذ على يد نخبة من علمائها، من  
مؤلفاته: "العمدة" و"قراصة الذهب"، توفي سنة: 456، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان  
عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سنة: 1970، ج/2، ص: 85.

\*\* - للاطلاع على باقي الوظائف: ينظر: ابن رشيق، العمدة، ج/02، ص: 74 إلى 76.

4 - سورة المؤمنين، الآية: 35.

5 - ينظر: السجلماسي، المنزح البديع، ص: 478.

أجزاء النص عن طريق "انجازات علم النفس المعرفي أو الإدراكي في مجال دراسة الذاكرة بنوعيتها الطويلة المدى والقصيرة المدى و آليات التذكر"<sup>(1)</sup> فقد أوضح ما يحتاجه الكلام من تنشيط للذاكرة حتى يتم الربط بين أجزائه، ووصل أوله بآخره وذلك فيما سبق الإشارة من قوله: "و إذكار به خشية تناسيه..."<sup>(2)</sup> ملخصه أن المبدع يقصد من التكرار تنشيط ذاكرة المتلقي ليتمكن من ربط أجزاء النص حتى يكون قطعة متماسكة، وللتكرار إضافة إلى ذلك أنماط أخرى تسهم في سبك النص، نذكر منها:

1- التردد "أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسم منه من ذلك قول زهير بن أبي سلمى<sup>(3)</sup>:

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا      يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

علق الشاعر "يلق" "بهرم" ثم علقها بالسماحة<sup>(4)</sup> إذا يربط هذا النوع بين طرفين في النص، ليضمن مسحا كاملا له حتى تلمس مقاصده ومعانيه.

2- التعطف وهو رد للعجز إلى الصدر "بأن يجعل أحد اللفظين المكررين، أو المتجانسين، أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخرين آخرها. كقوله تعالى: ( وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ )<sup>(5)</sup> و في الشعر أن يكون أولهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني أو صدر الثاني، فالأول كقول الشاعر<sup>(6)</sup>:

سَرِيْعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَلْطُمُ وَجْهَهُ      وَلَيْسَ إِلَى دَاعِ النَّدَى بِسَرِيْعٍ

1 - جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية، ص:93.

2 - السجلماسي، المصدر السابق، ص:478 .

3 - زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح: علي حسن فاعور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة:1988، ص:77.

4 - ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج/1، ص:233.

5 - سورة الأحزاب، الآية:37

6 - جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد، الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني، والبيان، والبديع، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة:2003، ص:294.

هذا النوع أكثر فاعلية في ربط أجزاء النص؛ إذ لا يحصر تحققه في بيت أو بيتين، أو جزء من النص بل في نص كامل، نجد على سبيل المثال تحليل ابن أبي الأصبع للآية: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)<sup>(1)</sup>، هو يلتفت هنا إلى رد عجز هذه الآية على صدر آية سابقة، حيث يقول ابن أبي الأصبع: "فإن قيل لفظة (القوم) زائدة تمنع الآية من أن توصف بالمساواة، لأنها إذا طرحت استقل الكلام بدونها، بحيث يقال: (وقيل بعدا للظالمين)، قلت: لا يستغني الكلام عنها، وذلك أنه لما قال سبحانه في أول القصة (... وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ..) <sup>(2)</sup> وقال قبل ذلك: (لَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ)<sup>(3)</sup> جاءت لفظة (القوم) في آخر القصة ووصفهم بالظلم، ليرتد عجز الكلام على صدره"<sup>(4)</sup>. تتضح فاعلية هذا النمط البديعي في تحقيق ترابط وتماسك النص عند ابن أبي الأصبع بشكل أكبر، عندما يعرفه بأنه "عبارة عن كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالبا أو معنوية نادرا، تحصل بهما الملائمة والتلاحم بين قسمي كل كلام"<sup>(5)</sup>. من أحسن الشعر في هذا قول زهير<sup>(6)</sup>:

سَمِّتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ  
ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسَامُ

وهو من الكلام الذي عدّه النقاد ما يؤخذ بعضه برقاب بعض، و ذلك هو الدور الرابط الذي يلعبه هذا النوع البديعي من أنواع التكرار، فيربط أول النص بآخره، أو على حد تعبير البلاغة صدر النص بعجزه.

1 - سورة هود، الآية: 44.

2- سورة هود، الآية:38.

3- سورة هود، الآية:37.

4 - ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، سنة: 1971م، صص: 80 ، 81.

5 - ابن أبي الأصبع، المصدر نفسه، صص: 80 ، 81.

6 - زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص:110.

3- الاشتقاق: هو من ملحقات "الجناس": "إذ يلحق بالجناس شيئان: أحدهما أن يجمع اللفظين الاشتقاق، كقوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ... )<sup>(1)</sup>، وقوله تعالى: (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ...)<sup>(2)</sup> والحديث الشريف (الظلم ظلمات يوم القيامة)، ومن الشعر قول البحري<sup>(3)</sup>:

يَعَشَى عَنِ الْمَجْدِ الْعَبِيِّ وَلَنْ تَرَى فِي سُودِدٍ أَرْبَاباً لِعَبْرِ أَرَيْبِ  
وقول ابن أبي وهب<sup>(4)</sup>:

قَسَمْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ بَأْسًا وَنَائِلًا فَمَالِكَ مُوْتَوْرٌ وَسَيْفِكَ وَاتِرُ

يوافق مفهوم هذا النوع من التكرار، مفهوم التكرار الجزئي عند درس لر وديوجراند\*، وهو حسبها وسيلة مهمة من وسائل السبك المعجمي، ما يميّز هذا النوع إمكانية تعدد أطرافه؛ فيشتق من المادة الواحدة عدة اشتقاقات، لتتسع بذلك رقعة السبك لأنه حين تتوزع هذه الاشتقاقات على امتداد النص يبدو السبك شاملا هذا الامتداد وكلما اتسع ذلك الامتداد اقترب هذا النوع من التكرار من مطالب النصية، التي تذهب إلى شمولية النصوص و كليتها.

4- الجناس: الجناس بين لفظين هو تشابههما في اللفظ، التام منه "أن يتفقا في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئتها، وترتيبها، فإن كانا من نوع واحد كاسمين، سميّ مائلا: كقوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ... )<sup>(5)</sup>، وقول الشاعر:

حَدَقُ الْإِجَالِ آجَالُ وَالهُوَى لِلْمَرْءِ قَتَالُ

الأول جمع إجـل بالكسر، وهو قطع من بقر الوحش، والثاني أجل والمراد به منتهى الأعمار"<sup>(1)</sup>، ذلك الجمع يجعل النص قطعة متلاحمة بعناصره التي تسهم بشكل أو بآخر في سبكه و تماسكه، فما إن

1 - سورة الروم، الآية: 43.

2 - سورة الواقعة، الآية: 89.

3 - البحري، الديوان، ج/2، ص: 170.

4 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 293.

\* - من رواد علم اللغة النصي، اشتركا معا في صياغة المعايير النصية، و ألفا معا عدة مؤلفات منها "مقدمة في لسانيات النص".

5 - سورة الروم، الآية: 55.

ترى الطرف الثاني للجناس حتى تتذكر الأول، وهذا ربط محكم لأجزاء النص، ما يلحظ فعلا ترابط أنماط التكرار السابقة وتطابقها مع مفاهيم عناصر السبك المعجمي في نحو النص الحديث، فالتكرار يتجاوز حد الجملة في كثير من الأحيان إلى النص، ويعمل كإحالة من طرف إلى آخر داخل النص، ذلك يجعله من ضمانات استمرارية النص ومنه تماسكه وانسجامه.

### ثانيا: المصاحبة اللغوية:

إلى جانب ذلك مظاهر أخرى يمكن تمثلها في البديع العربي تسهم في تماسك النص منها المصاحبة المعجمية (Collocation)، أو التضام، ولعل أكثر ما يتناسب من البديع العربي ومفاهيم المصاحبة:

**1- المطابقة:** "تسمى الطباق والتضاد أيضا، وهي الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد، اسمين: كقوله تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ...) (2)، أو فعلين: كقوله تعالى: (...تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ...) (3)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصَارِ: (إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع)، أو حرفين: كقوله تعالى: (...لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...) (4)، وإما بلفظين من نوعين كقوله تعالى: (أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ...) (5)، أي ضالا فهديناه" (6)، ما يجعل الألفاظ السابقة متصلة بالمصاحبة المعجمية ورودها متصاحبة أو متلازمة، ولهذا الصنف البديعي حسب علماء البديع العرب أنماط: الإيجاب والسلب، والمخالف، وغيرهما، غير أن ما يجمعها هو سبك النص معجميا وإن كانت صور الطباق الأكثر شيوعا تظهر في الجملة أو البيت، فإن النصوص لا تخلو منها، فنجد طباقا بين لفظين أحدهما في الفقرة الأولى والآخر في الثانية، يقوم المتلقي

1 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، صص: 288، 289.

2 - سورة الكهف، الآية: 18.

3 - سورة آل عمران، الآية: 26.

4 - سورة البقرة، الآية: 286.

5 - سورة الأنعام، الآية: 122.

6 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، صص: 255، 256.

بربطهما في ذهنه، و يكشف عنهما مهما كانت مساحة الطباق واسعة، ل يتم بذلك فعل الطباق في سبك النصوص.

2- مراعاة النظير: "وتسمى التناسب والائتلاف والتوفيق أيضا، وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد، كقوله تعالى: ( الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ )<sup>(1)</sup>، وكقول ابن رشيق:

أَصْحٌ وَأَقْرَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى      مِنْ الْخَبْرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ  
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الْحَيَا      عَنِ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الْأَمِيرِ تَمِيمِ

فإنه نسب فيه بين الصحة والقوة، والسماع والخبر المأثور، والأحاديث والرواية، ثم بين السيل والحيا والبحر، وكف تميم، مع ما في البيت الثاني من جهة الترتيب في العنونة، إذ جعل الرواية لصاغر عن كابر، كما يقع في سند الأحاديث، فإن أصل السيول المطر، والمطر أصله البحر، على ما يقال، ولهذا جعل كف الممدوح أصلا للبحر مبالغة"<sup>(2)</sup>.

مراعاة النظير إذا تجسد وظيفة تحقيق التناسب بين الألفاظ، وما أكثر ما أشار إليه علماء العربية من أنواع بديعية، يدخل مفهومها تحت مفهوم مراعاة النظير، فالسجلماسي مثلا في تقسيماته للتكرير يضع قسما تحت مسمى المناسبة وهي "في أجزاء القول اسم جنس متوسط تحته أربعة أنواع: الأول: إيراد الملائم، الثاني: إيراد النقيض، الثالث: الانجرار، الرابع: التناسب، وذلك لأن المناسبة في أجزاء القول هي على أربعة أنحاء: أحدهما: أن يأتي بالشيء وشبيهه مثل: الشمس والقمر، والسنان والصارم، والسرجم واللجام، وهذا النوع هو الملقب: بإيراد الملائم، أو يأتي بالأضداد: مثل: الليل والنهار، والصبح والمساء، والحياة والموت، وهذا النوع هو الملقب بإيراد النقيض، أو يأتي بالشيء وما يستعمل فيه مثل: القوس، والسهم، والفرس، واللجام، والقلم والدواة، والقرطاس والعلم، وهذا النوع هو الملقب بالانجرار. أو يأتي بالأشياء المتناسبة مثل القلب، والملك، إذ يقال نسبة القلب في البدن، ونسبة الملك في المدينة، وهذا النوع هو الملقب بالتناسب، المناسبة الواقعة فيه إنما توجد من أربعة أشياء نسبة الأولى منها إلى الثاني، نسبة الثالث إلى الرابع، فأخذ الأول بدل الثالث وسمي باسمه، وذلك مثل

1 - سورة الرحمن، الآية: 05.

2 - الخطيب القزويني، المصدر السابق، ص: 261.

ما قيل في الشبان الذين أصيبوا قديما في الحرب: "أهم فقدوا في المدينة كما لو أن أحدا أخرج الربيع من السنة"<sup>(1)</sup>، وقريب من هذا قول المتنبي<sup>(2)</sup>:

مَغَانِي الشَّعْبِ طَيِّباً فِي المَغَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ

ضمان التناسب بين كل تلك الألفاظ هو نفسه ما يضمن تماسك النص.

**3- التورية:** "وتسمى الإههام أيضا، وهي أن يطلق لفظ له معنيين قريب وبعيد، للبعيد منهما ضربين: مجردة، ومرشحة، المجردة: هي التي لا تجامع شيئا مما يلائم المورى به، منها قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)<sup>(3)</sup>، بينما المرشحة: فهي التي قُرِنَ بِهَا ما يلائم المورى به، إما قبلها كقوله تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)<sup>(4)</sup>، وقول الحماسي يحيى بن منصور الحنفي:

وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا أَنَحْنَا فَحَالَفْنَا السُّيُوفَ عَلَى الدَّهْرِ

فَمَا أَسْلَمْتَنَا عِنْدَ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَلَا نَحْنُ أَغْضَيْنَا الْجُفُونَ عَلَى وَثْرِ

فإن الإغضاء مما يلائم جفن العين، لا جفن السيف، وإن كان المراد به إغماد السيف، لأن السيف إذا أغمد انطبق الجفن عليه، وإذا جرد انفتح للخلاء الذي بين الدفتين. وإما بعدها: كلفظ الغزاة في قول القاضي الإمام أبي الفضل عياض في صيفية باردة<sup>(5)</sup>:

كَأَنَّ 'كَائُونَ' أَهْدَى مِنْ مَلَابِسِهِ لِشَهْرِ 'تَمُوزَ' أَنْوَاعًا مِنَ الْحُلَلِ

أَوْ الْغَزَالَةَ مِنْ طُولِ الْمَدَى خَرِفَتْ فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَدْيِ وَالْحَمَلِ

كل الشواهد السابقة تبين تلاؤم ومصاحبة الألفاظ المكونة لها، كتصاحب (البناء، واليد، والإغضاء، والجفن، والغزاة والجدي والحمل)، ومن التورية أيضا: الاستخدام: وهو "أن يراد بلفظ له

1 - السجلмасي، المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع، صص: 518 ، 519.

2 - المتنبي، الديوان، ص: 362.

3 - سورة طه، الآية: 05.

4 - سورة الذاريات، الآية: ص: 47.

5 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 267.

معنيان أحدهما ثم بضميره معناه الآخر أو يراد بأحد ضميريه أحدهما و بالآخر الآخر، فالأول كقول معاوية بن مالك:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا

أراد بالسما الغيث وضميرها النبت.

والثاني كقول البحرري<sup>(1)</sup>:

فَسَقَى الْغَضَا وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمْ شَبُّهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ

أراد بضمير الغضا في قوله: 'و الساكنيه' المكان، وفي قوله: 'شبهه' الشجر<sup>(2)</sup>.

سيظهر سبك في النص، بواسطة هذه العناصر، كوننا نعود إلى تفسير عنصر بعنصر سابق له، وهو أيضا شكل من أشكال الإحالة.

3- اللف والتشتر: "هو ذكر متعدد على جهة التفصيل، أو ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه، فالأول ضربان:

1. لأن النشر إما على ترتيب اللف، كقوله تعالى: ( وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ... )<sup>(3)</sup>، وقول الشاعر:

فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْئِهَا وَمَذَاقُهَا فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرَيْقِهِ

2. وإما على غير ترتيبه، كقول الشاعر:

كَيْفَ أَسْلُو وَأَنْتَ حِقْفٌ وَغَصْنٌ وَغَزَالٌ: لِحِطَّا، وَقَدَا، وَرِدْفَا

وقال الفرزدق<sup>(4)</sup>:

لَقَدْ خُنْتُ قَوْمًا لَوْ لَجَّاتَ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثَقَلَ مَغْرَمٌ

1 - البحرري، الديوان، ج/1، ص:170.

2 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 267.

3 - سورة القصص، الآية: 73.

4 - الفرزدق، الديوان، تقديم و شرح: مجيد طراد، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة:2004، ج/2، ص:249.



لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مُعْطِيًا وَ مَطَاعِنًا      وَرَأَيْكَ شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْمُقَوِّمِ

والثاني: كقوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى... )<sup>(1)</sup>، فإنّ الضمير في 'قالوا' لأهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى، وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، والنصارى لن يدخل الجنة إلا من كان من النصارى، فلفّ بين القولين، ثقة بأن السامع يردّ إلى كل فريق قوله. وأما من الإلباس لما علم من التعادي بين الفريقين، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه"<sup>(2)</sup>، وهذا دور آخر للمصاحبة اللغوية في تحديد المعنى، وتوضيحه، الأمر الذي يجعل النص أكثر انسجاما وتماسكا، ففعلها في ربط أجزاء النص جلي في كل الشواهد السابقة، مثلا فعل المدام يرتبط مع المقلتين، ولونها مع الوجنتين، ومذاقها مع الريق، وكلها يسهم المتلقي في ربطها أيضا في ذهنه.

يمكن إذا إعادة النظر في الدرس البديعي في التراث العربي، من منظور نحو نصي يتجاوز تصنيف هذه الآلية كآلية تحسينية فقط إلى أفق جديد هو اعتبارها آلية محققة للربط داخل النصوص، وتم توضيح مدى فاعلية هذه الآلية في تحقيق هذا العنصر المهم من عناصر نحو النص. تقترب كل المسائل السابقة من مفاهيم متعددة محيطة بنحو النص، وليس أقرب منها لتحقيق هذا الغرض إلا خطوة ناقد عربي مغربي هو حازم القرطاجني، الذي ظهرت عنده عناية واضحة بالنظرة الشاملة للنص.

### 5- تماسك النص عند حازم القرطاجني 'النظرية والتطبيق':

قد سبق حازم القرطاجني الكثير من العلماء في الإشارة إلى التماسك وأجزاء النصوص، منهم الجاحظ الذي أولى أهمية عظيمة لهذه المسألة في بيان الكلام وتبيينه، نجده يقول: "وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا"<sup>(3)</sup>، غير أن غرض الجاحظ هو التأسيس لمسائل تضمن تلاحم أجزاء النص، منها مسائل صوتية؛ أي مدى ملائمة التأليف الصوتي؛ فكلما كانت الأصوات متألّفة كلما كانت أجزاء النص أكثر تماسكا، أيضا

1 - سورة البقرة، الآية: 111.

2 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، صص: 268 ، 269.

3 - الجاحظ، البيان والتبيين، ج/1، ص: 89.

ما جاء به ابن طباطبا العلوي\* في عياره، عندما دعا إلى ضرورة توفر شرط التماسك في النصوص، فالقصيدة عنده كلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجا وحسنا وفصاحة وجزالة ألفاظ<sup>(1)</sup>، بيد أن معظم الاجتهادات قبل حازم كانت مجرد نظريات، فنجد ابن طباطبا مثلاً رغم تأكيد على وجوب كون القصيدة كلمة واحدة، لا يؤسس لوسائل توضح كيفية تماسك القصيدة، وأكثر من ذلك أنه يكتفي في مؤلفه بشواهد لا تتعدى البيت والبيتين؛ بينما اتخذ حازم القرطاجي خطوة أكثر تأسيساً، "فهو أول من قسم القصيدة العربية إلى فصول، رغم أن لها أحكاماً في البناء، ولعل اهتمامه بصلة مطلع القصيدة ومقطعها، خير دليل على تلك النظرة الكلية، فقد أدرك الرجل بديهته صلة ما بين خاتمة القصيدة والتدرج الداخلي للمعاني"<sup>(2)</sup>، يكون القرطاجي بهذا قد عرض لفكرة النظم من جهة التماسك المميز لكل فصل، فانتقل من مستوى الجملة الذي عاجله مبحثا اللفظ والمعنى، إلى مستوى الجملة الذي عاجله مبحثا النظم والأسلوب<sup>(3)</sup>.

### إستراتيجية تماسك النصوص:

#### أولاً: آليات تماسك الفصل:

الفصل حسب القرطاجي هو بيتان إلى أربعة أبيات تتضافر دلالاتها من أجل إيصال معنى معين<sup>(4)</sup>، وهناك حسب القرطاجي "طرق لإحكام مباني حالتين، أولهما كيفية تماسك الفصل الواحد، وثانيهما كيفية ترتيب و تماسك كافة الفصول، ولعل القرطاجي قد عنى بالفصل تماماً ما يعني في نحو النص 'البنية الكبرى' 'Macro structure' التي تعني استقلال جزء من النص بفكرة معينة، يمكنها أن تستقل عن باقي بني النص، إلا أن ذلك لا يحدث إلا بالنظر إلى النص نظرة شمولية، إذ تتعلق كل بنية

\* - ابن طباطبا، العلوي، نشأ بأصبهان، أخذ العلم والأدب عن مشايخها، ألف العديد من الكتب الأدبية، توفي سنة: 322، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدياء، ج/17، ص: 142.

2- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق نعيم زرزور، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص: 131.  
2 - إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة: 1997، ص: 57.

3 - ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، (د.ط)، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، سنة: 1999م، ص: 501.

4 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 150.

بالبنية التي قبلها والتي بعدها؛ ذلك ما دعا إليه فاندريك، وهو أن ترتبط كل بنية بالبنية التي قبلها والتي تليها بواسطة روابط نحوية، وزمنية، وصيغ صرفية، وعلاقات منطقية، وكذلك علاقات اطرادية<sup>(1)</sup>، يحكم ذلك عند القرطاجني قوانين\*، أما الأول فهو استعادة مواد الفصول و انتقاء جوهرها، فيجب أن تكون متناسبة المسموعات، والمفهومات، والثاني هو ترتيب الفصول والموالات بين بعضها البعض، بذلك تكون حسنة الاطراد، أما الثالث فهو ترتيب ما يقع في الفصول، فتكون غير متخاذلة النسيج، وأخيرا ما يجب تقديمه في الفصول وما يجب تأخيرها، فلا يتميز بيت عن بيت<sup>(2)</sup>، ما رمى إليه القرطاجني هو ترابط بنية البيت أولا ثم ترابط البيت والبيت الذي يليه والبيت الذي يسبقه، وهذا أساس في مبادئ نحو النص، ويمكننا جمع القوانين السابقة تحت قانون، ضرورة تماسك و نسج النص.

هناك قانون آخر لتمام الفصل وهو مناسبة نظم الفصل للغرض الذي يعالجه وذلك بضرورة تقيّد الناظم بما يناسب الغرض الذي ينظم فيه، فيعتمد "الجزالة في الفخر مثلا، والعذرية في النسب"<sup>(3)</sup>، كما تجب العناية بمقادير الفصول، فيحسن أن تكون "معتدلة المقادير بين الطول والقصر"<sup>(4)</sup>.

أما القانون الآخر فمتعلق "بقيمة مواضع الفصول، فيجب تقديم الفصول التي تحمل معان هي أقرب للنفس؛ وذلك حسب الغرض المنشود، أي الاهتمام بالأهم"<sup>(5)</sup>، على حدّ تعبير القرطاجني، وهذا يجعلنا نستحضر قانون ترتيب الخطاب عند فاندريك\* فهو يرى أنه خاضع لمعرفة العالم عند المبدع والمتلقي، وكذلك حازم يخضع ذلك الترتيب لمعرفة المبدع والمتلقي، إذ يقول: "يُقدّم من

1 - ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ص: 59.

\* - القوانين المذكورة جميعها واردة في المنهاج، إلا أن الباحثة قد تصرفت في بعض تقسيماتها، بما يناسب البحث ويخدم مطالبه؛ إذ قد يحدث استنباط قوانين من قانون واحد.

2 - ينظر: أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرفية، (د.ت)، صص: 287، 288.

3 - حازم القرطاجني، المصدر نفسه، ص: 288.

4 - حازم القرطاجني، نفسه، ص: 288.

5 - ينظر: حازم القرطاجني، المصدر نفسه، ص: 289.

\*\* - ينظر: الفصل الثالث من هذا العمل.

الفصول ما يكون للنفس به عناية"، وقد يترك هذا الترتيب فيمكن تصور "التفاته ونسبة بين فصلين، تدعو إلى تقديم غير الأهم على الأهم وهناك من يترك الترتيب الأصلي"<sup>(1)</sup>، وقد ورد هذا في رؤية فانديك أيضا.

آخر قوانين تماسك الفصل: إرداف "البيت الأول من الفصل بما يكون لائقا من باقي معاني الفصل"<sup>(2)</sup>، أي أن تتناسب الأبيات المكونة للفصل، يحدث ذلك عبر عدة علاقات مختلفة، كالسببية وعلاقة التفسيرية، وكل الأوجه التي تقتضي ذكر شيء بعد شيء آخر<sup>(3)</sup>.

تختزل القوانين السابقة إلى علاقات بين أبيات الفصل هي: علاقة التقابل الكلي، وعلاقة التقابل البعضى، وعلاقة الاقتضاء، وفيها علاقة السببية، والتفسيرية، وهي علاقات تندرج ضمن علاقات حبك الفصل، باعتبارها ذات طبيعة معنوية<sup>(4)</sup>.

وتكمن علاقة التقابل البعضى في مقابلة جزء من شطر البيت لجزء آخر من شطر آخر من بيت آخر داخل الفصل، ذلك يعكس مدى التحام البيت.

أما الكلي فمقابلة بيت لبيت آخر كاملا، أما علاقات الاقتضاء فهي مكملة لمعاني الأبيات التي تحمل استفسارات وأسئلة، فيأتي شطر البيت أو البيت كاملا مفسرا أو مجيبا عن استفسار أو تساؤل في شطر أو بيت سبقه.

بعد اهتمام القرطاجني بتماسك جزء من النص، هو الفصل، وذكر آليات ذلك التماسك، انتقل للحديث عن تماسك الفصول فيما بينها، لتكون تماسك البنية الكلية للنص.

1 - حازم القرطاجني، المنهاج، ص: 290.

2 - حازم القرطاجني، نفسه، ص: 290.

3 - ينظر: حازم القرطاجني، المصدر نفسه، ص: 290.

3 - ينظر: حازم القرطاجني، المصدر نفسه، ص: 290.

4 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 153.

ثانياً: آليات تماسك الفصول:

يذهب القرطاجني إلى أن الفصول المكونة لنص القصيدة أيضاً تتماسك بعلاقات معينة "فربما ختم الفصل بطرف من أغراض الفصل التي يليه، أو إشارة إلى بعض معانيه"<sup>(1)</sup>، وتحكم مسألة أغراض الفصل حسبها: أضربٌ مختلفة هي أربعة<sup>(2)</sup>:

1. ضرب متصل العبارة والغرض.

2. ضرب متصل العبارة دون الغرض.

3. ضرب متصل الغرض دون العبارة.

4. ضرب منفصل الغرض والعبارة.

متصل العبارة والغرض: يتحقق بوجود "علقة"<sup>\*</sup> من حيث الغرض وارتباط من حيث العبارة، بين آخر الفصل وأول الفصل الذي يليه.

متصل الغرض المنفصل العبارة: يكون فيه أول الفصل من الكلام مرتبط بما سبقه من جهة المعنى، يشيد القرطاجني بجمالية هذا الضرب، خاصة إذا كان رأس الفصل ذو معنى تعجيبى أو دعائى. منفصل الغرض متصل العبارة يكتفي حازم بوصف هذا الضرب بأنه منحطٌ عن الضربين السابقين<sup>(3)</sup>، هذه الرؤية للقرطاجني يهتم من خلالها بالروابط المعنوية أكثر من السطحية، فهو بوصفه ناقداً، سيبحث عن المتعة الأدبية التي تتحقق "باكتشاف العلة غير المتوقعة بين الأشياء أو بين المعاني"<sup>(4)</sup>، أما معرفة ارتباط العبارات فهو أمر واضح على مستوى سطح النص و لا يبعث ذلك على الالتذاذ الأدبي حسبها.

1 - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص: 290.

2 - حازم القرطاجني، المصدر نفسه، ص: 290.

\* - يوظف حازم هذا المصطلح، وهو يوحي بصورة تماسك أجزاء النص، ليتساوى بذلك مع مصطلح التعلق في نحو النص.

3 - حازم القرطاجني، المصدر السابق، ص: 291.

4 - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 157.

ضرب منفصل الغرض والعبارة: هذا الضرب لا توجد فيه أية علاقة أو مناسبة بين أغراض الفصول ومعانيها.

تعكس الضروب السابقة أهمية التماسك بين فصول القصيدة، وي طرح القرطاجني من خلالها مسألة مهمة جدا هي: أن "التماسك هو الأصل"<sup>(1)</sup> في النصوص، ويركز على التماسك المعنوي، أو الحبك بالمفهوم النحو نصي.

من الأمور الجلية لتماسك الفصول أيضا: ما يسميه القرطاجني "بالمعاني الجزئية" و"المعاني الكلية" فالقصائد عنده منها ما يأتي بمعان كلية، ومنها ما يأتي بمعان جزئية، ومنها ما يجمع بينهما، وهي أحسنها موقعا في الكلام؛ يكون ذلك بأن تبدأ الفصول بمعان جزئية وتردف بمعان كلية قياسا على إتباع أمر خاص بأمر عام، أو الاستدلال على الشيء بما هو أعم منه<sup>(2)</sup>، بالتالي تضمن هذه المراوحة استمرارية معاني الفصول وتماسكها، ويطبق القرطاجني بعض هذه العلاقات على نص لأبي الطيب المتنبي حتى يوضح توجهه نحو وحدة، وشمولية نص القصيدة.

### ثالثا: تفعيل عملية تماسك النصوص:

حتى يضمن حازم ترابط القصيدة، وتماسكها، اشترط أن تكون خاتمة القصيدة مرتبطة بمطلعها وفحواها من فحواه، فقد "وجب الاعتناء بهذا الموضوع لأنه منقطع الكلام وخاتمته، فالإساءة فيه معفية على كثير من تأثير الإحسان المتقدم عليه في النفس ولا شيء أقبح من كدر بعد صفو وترמיד بعد إنضاج"<sup>(3)</sup>، وكمثال موضح قصيدة المتنبي<sup>(4)</sup> يمدح سيف الدولة تضع اتساق المطلع والمقطع في نمط واحد متجانس.

بَغَيْرِكَ رَاعِيًا عَبَثَ الذَّنَابُ      وَغَيْرِكَ صَارِمًا ثَلَمَ الضَّرَابُ

معنى هذا البيت يناسب معاني الأبيات اللاحقة، حيث تتضاعف خيوط نسيج القصيدة شيئا فشيئا مع زيادة أبياتها ومعانيها، فتقع باقي فصول القصيدة على استكمال مدح سيف الدولة بحسن

1 - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 158.

2 - ينظر: حازم القرطاجني، المنهاج، ص: 295.

3 - حازم القرطاجني، المصدر نفسه، ص: 285.

4 - المتنبي، الديوان، ص: 39.

قيادته وشجاعته في الوغى، فلا يفتأ الشاعر يصف سيف الدولة بهاتين الصفتين على استمرار فصول القصيدة، غير أن التفعيل الواضح لعملية التماسك يظهر في تحليل القرطاجني لقصيدة أخرى للمتنبى ومطلعها<sup>(1)</sup>:

أُغَالِبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْمَجْرِ وَالْوَصْلُ أَعْجَبُ

تضمّن هذا البيت من الفصل للقصيدة تعجيباً من المجر الذي لا يعقبه وصل، ثم جاء البيت الثاني مؤكداً لذلك التعجيب فهو تنمة للفصل الأول، وبداية للفصل الثاني تعجيب من وشك بينه، وسرعة سيره، ويقول فيه<sup>(2)</sup>:

وَلَيْلَةَ سَيْرِي مَا أَقَلَّ تَنِيَّةً عَشِيَّةَ شَرْقِيٍّ الْحَدَالِيَّ وَغَرْبُ

البداية مناسبة لما سبق في الفصل الأول من معاني التعجيب، وذكر الرحيل وأثر ذلك عليه وعلى حبيبه.

ثم يأتي الفصل الثالث مذكراً بالعهود وتعددتها.

وَكَمْ لِظْلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أَنَّ الْمَانَوِيَّةَ تَكْذِبُ<sup>(3)</sup>

يتصل معنى هذا البيت بمعنى بداية الفصل الثاني الذي ذكر فيه، موطن البين فتلا ذلك بتذكر موطن الوصل في هذا البيت، كما ذكر فيه محاذرة الرقبة، وجاءت افتتاحية الفصل الرابع وصفاً لذلك اليوم الذي حاذر فيه الرقبة، وشبهه بليل العاشقين الذين يحذرون فيه من المراقبة.

وَيَوْمٍ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ<sup>(4)</sup>

في هذه المرحلة من تحليل القصيدة، يشير القرطاجني إلى حسن اطراد الشاعر في الفصل الخامس:

لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مُنَاخاً لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلَمَّ فِيهَا مُعَذَّبُ

1 - المتنبي، الديوان، ص: 36.

2 - المتنبي، المصدر نفسه، ص: 36.

3 - المتنبي، نفسه، ص: 36.

4 - المتنبي، نفسه، ص: 37.

إذ تنقل من الحديث عن كل تلك الأشياء إلى ما يناسبها، وإلى ما هي منه بسبب أو تجمعها وإياه غرض ما، فجاء مرتبا ترتيبا حسنا<sup>(1)</sup>، وترتيب الخطاب من أهم عناصر الحيك في نحو النص، وقد اهتم به الجرجاني، وأشار إلى ذلك في حديثه عن النحو الذي تكون عليه المآخذ في استفتاحات الفصول فأسهب في الكلام عن الترتيب الداخلي للنص، ذلك ما يجعلنا نتمسك بفكرة وجود بوادر نحو نص عربي في التراث العربي، ولعل أقرب خطوة بعد خطوة عبد القاهر الجرجاني إلى نحو النص هي هذه الخطوة من حازم القرطاجني، الذي يمكن الانطلاق مما جاء به للتأسيس لأصول نحو النص في التراث العربي.

### 6- تمهي مفهوم التناص ومفهوم حسن الأخذ عند العسكري:

تميزت دراسة أبو هلال العسكري لمسألة السرقات الأدبية بالتحفظ من هذا المصطلح لما فيه من قدح، يقترب مفهوم العسكري بذلك من مفهوم التناص المتداول عند الغرب، فهو عندهم تعالق نصوص<sup>(2)</sup>، وتداخل لفظي أو معنوي بين النصوص، وعند العسكري هو اشتراك معاني النصوص مع تحسين سبكها "وقد أطبق المتقدمون، والمتأخرون على تداول المعاني بينهم، فليس من أحد فيه عيب إلا إذا أخذه بلفظه كله، أو أخذه فأفسده، وقصر فيه عن تقدمه"<sup>(3)</sup>.

البعد الذي يمنحه العسكري للتناص، يركز على إعادة المعاني وتداولها بين العقلاء، حتى أنه يقول إنه قال شعراً\* يصف فيه النساء، وكان ظنه أنه لم يُسبق إلى مثله، حتى وجدته عند بعض البغداديين، فسلم أن المعاني مشتركة قد يحدث تكرارها مع إضافة جمالية عليها، دون أن يسمى ذلك سرقة، الملاحظ أن العسكري يركز على ضرورة التغيير الحسن الجمل لما توارد من معاني، ومنه تولد معان جديدة، يلتقي مذهب العسكري مع ما ذهب إليه رولان بارت\*\*، وميشال

1 - ينظر: حازم القرطاجني، المنهاج، صص: 298 ، 299.

2 - ينظر: دي بوجراند، النص، الخطاب، والإجراء، ترجمة: تمام حسان، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، (د.ت)، ص: 104.

3 - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 218.

\* - يقصد قوله: سقرن بدوراً وانتقبن أهلةً

\*\* - ولد رولان بارت سنة 1915، نشأ في بايون وباريس، نال شهادة في الدراسات الكلاسيكية من جامعة السربون سنة 1939، وبعد الحرب العالمية درس في جامعتي بوخارست والإسكندرية، ودرس منذ 1960 في الكلية العلمية للدراسات



فوكو\* وغيرهما فيما يعرف بالنص التوليدي، النص الذي يهدم النص القديم، ويعيد بناءه من جديد، ثم يصبح البناء الجديد قديما وتتكرر العملية، فالنصوص لا تبدأ حسبها من فراغ، وإنما هي إعادة قراءة لنصوص سابقة<sup>(1)</sup>.

### أولا: أشكال التناص عند العسكري:

1. الأخذ اللفظي: وهو أخذ معان تعرف أنها مأخوذة عن معان سابقة بواسطة الجهاز اللغوي، المعجم مثلا: قول أبي نواس<sup>(2)</sup>:

يَيْكِي فَيُذْرِي الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بُعْنَابٍ

أخذه عنه بعض المتأخرين فقالوا:<sup>(3)</sup>

وَأَسْبَلَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ فَسَقَتْ وَرَدًا وَعَعْضَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

أخذ هؤلاء المتأخرين من بيت أبي نواس ألفاظا معجمية متطابقة 'النرجس والورد، والعناب'. قد يقع في هذا الباب ما يسميه العسكري بقدرح الأخذ وهو تكرار اللفظ كله أو أكثره<sup>(4)</sup>، من ذلك قول طرفة بن العبد<sup>(1)</sup>:

---

العليا في باريس، وفي سنة 1976 أصبح أستاذا في السيميولوجيا الأدبية في كوليج دي فرانس، من مؤلفاته: "الكتابة في الدرجة الصفر"، و"الذة النص". ينظر: جون ستروك، البنيوية و ما بعدها، من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، سنة: 1996، ص: 111.

\* - ولد ميشال فوكو سنة 1926، وانتقل سنة 1970 بعد أن درس الفلسفة في جامعة كلير مونت فراند إلى باريس، حيث اشتغل أستاذا لتاريخ النظم الفكرية في الكوليج دي فرانس، من مؤلفاته "نظام الأشياء". ينظر: جون ستروك، البنيوية و ما بعدها، ترجمة: محمد عصفور، ص: 157.

1 - ينظر: خليل موسى، جماليات الشعرية، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة: 2008، صص: 328، 329.

2 - الحسن بن هانئ، أبو نواس، الديوان، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة: 2005م، ص: 195.

3 - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 222. وينظر: ضياء الدين ابن الأثير، المتل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج/2، ص: 76.

4 - أبو هلال العسكري، المصدر السابق، ص: 249.

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ

وهو مأخوذ من قول امرئ القيس<sup>(2)</sup>:

وَقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ

يعد قول طرفة من الأخذ المعيب، غير أن العسكري لا يُعِمُّ هذا الحكم، فيبدو تنبيهه للدور الثقافي والاجتماعي في أخذ النصوص عن غيرها "فإذا كان القوم من قبيلة واحدة، وفي أرض واحدة فإن خواطرهم تقع متقاربة"<sup>(3)</sup>.

2. الأخذ المعنوي: وهو التعبير الذي يقع في بيتين فيكون معناهما واحداً ومنه قول البحتري<sup>(4)</sup>:

وَحَاوَلْنَ كَيْتَمَانَ التَّرْحُلِ بِالْدَجَى فَنَمَّ بِهِنَّ الْمِسْكُ حِينَ تَصَوَّعَا

وقال أيضاً<sup>(5)</sup>:

فَكَانَ الْعَبِيرُ بِهَا وَاشِيَاءُ وَجَرَسُ الْحُلِيِّ عَلَيْهَا رَقِيْبَا

كلها معاني تدل على صفات، تشير إلى حضور المرأة، يسترسل العسكري في ذكر العديد من أضرب الأخذ لا تختلف كثيراً عما ذكره إلا من حيث حسن الأخذ وسوءه، من زيادات على الألفاظ أو المعاني مما يجعل الشعر أجود أو أسوء، وفي هذا تُرتَّب مستويات الأخذ كالاتي:

السرق: وهو أخذ المعنى واللفظ، السلخ: أخذ المعنى ببعض لفظه، والتَمَلُّكُ وهو أخذ المعنى وإلباسه لفظاً جديداً<sup>(6)</sup>، وكلها متعلقة باللفظ، أما المعنى المجرد فهو متداول بين الناس، فلا يسرق ولا

1 - أحمد بن الأمين الشنقيطي، شرح المعلمات العشر وأخبار شعرائها، (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة: 2005، ص: 42.

2 - امرؤ القيس، الديوان، ص: 43.

3 - أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص: 250.

4 - البحتري الديوان، ج/2، ص: 288.

5 - البحتري، المصدر نفسه، ص، ج/2، ص: 90.

6 - أبو هلال العسكري، المصدر السابق، ص: 255.

يسلخ، ولا يملك. لذلك سيكون مفهوم التناص عند العسكري من البساطة بما كان، في مقابل دراسات عميقة لهذه القضية النصية عند الغرب.

في هذا الجزء من البحث يمكن رصد اهتمام البلاغة العربية و احتفائها بقضيتين من أهم قضايا نحو النص و هي الحبكة الذي يمكن رده إلى القسم الأول المتعلق بنظرية النظم إذ نلاحظ الاهتمام بكيفية تشكل المعاني، وطريقة ربطها للوصول إلى البنية الكبرى للنص، ما يظهر أيضا في مساهمة القرطاجي، أما قسم البديع فيصنف ضمن المسائل المتعلقة بسبك النص إذ ينظر فيه إلى السطح من النص، غير أننا نلاحظ تداخل المسألتين فلا يلبث الاهتمام بسبك النص يخدم حبه، فرصد الروابط الظاهرة في سطح النص تعمل على الربط الدلالي.

لا تنحصر مساهمة التراث العربي في التأسيس لنحو النص في القضايا المتعلقة ببنية النص فحسب، بل تظهر مساهمته أيضا في القضايا المتعلقة بالنص و علاقاته مع مستخدميه؛ وهو مبحث يدرسه مستوى مميزا لنحو النص هو المستوى التداولي والذي نجد له هو الآخر أصولا في التراث العربي.

# الفصل الثاني

## قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

1. أصول التداولية في الدرس البلاغي العربي
2. البعد التداولي للجهاز المفهوماتي للنظم
3. الأبعاد التداولية لمسألة الإسناد بين تصور شراح  
المفتاح وتصور فانديك
4. تمظهرات "أفعال الكلام" من خلال ظاهرة الخبر  
والإنشاء
5. تجليات أفعال الكلام في الأساليب العربية
6. تصور الأفعال الكلامية عند الأصوليين

#### 1- أصول التداولية في الدرس البلاغي العربي:

تختص التداولية بدراسة مقاصد المتكلم وأغراض خطابه ما يجعلها تشرح وضعية التواصل وسياقه، وكلها وسائل اهتمت بها البلاغة العربية، فهي علم للاتصال تتناول كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها إذ "تنظر إلى اللغة نظرة متكاملة، ولا يستقل فيها الشكل عن المضمون، ولا المعنى عن ظروف الاتصال، ومقاصد المتكلمين"<sup>(1)</sup>. يمكن تمثّل الأشكال التداولية في البلاغة العربية كمايلي:

#### أولاً: تداولية المتكلم/ المخاطب:

المتكلم هو المنوط بتحديد الدلالات ومقاصدها، وحاله هو المحدّد لمفهوم الخطاب، وهذا ما يسميه ابن جنّي\* "الأحوال الشاهدة بالقصود الخالفة على ما في النفوس، ألا ترى إلى قوله:

تَقُولُ وَقَدْ صَكَّتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا أَبْعَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعِسِ؟

فلو قال حاكيا عنها: (أبعلي...) من غير أن يذكر صكّ الوجه لأعلمنا بذلك أنّها متعجبة منكّرة، ولكنه لما حكى الحال، فقال: (وصكّت) عُلِمَ بذلك إنكارها وتعاضم الصورة لها"<sup>(2)</sup> فوصف حال هذه المرأة أوضح مفهوم البيت بشكل أدق، يدخل هذا ضمن وصف الملابس التي يرد فيها الخطاب، ومن شأنها تجلّيّة قصد المخاطب ومفهوم الخطاب.

1- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الطبعة الأولى، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة: 2009، ص: 157.

\* - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي صاحب التصانيف الفاتحة المتداولة في النحو واللغة، أقام ببغداد و درس بها العلم إلى أن توفي ليلة الجمعة 392هـ، من أهم تصانيفه "الخصائص" ينظر: أبو الفداء الحافظ ابن كثير، البداية و النهاية، الطبعة السادسة، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، سنة: 1980/1406، ج/11، ص: 331.

2- ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، (د.ط)، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين، سنة: 1418هـ، ج/1، ص: 117.

ومن القيم التداولية المنسوبة أيضا للمتكلم أنه مُنجز للفعل الكلامي؛ عندما عرّف بأنه "فاعل الكلام"<sup>(1)</sup>، وقد عدّ ابن سنان الخفاجي\* الكلام فعلا "فأهل، اللغة متى علموا أو اعتقدوا وقوع الكلام من أحدنا وصفوه بأنه متكلم، ومتى لم يعلموا بذلك أو يعتقدوه لم يصفوه"<sup>(2)</sup>.

ويجري مجرى ذلك حسب مجرى وصفهم لأحدنا بأنه ضاربٌ، ومُحرِّكٌ، ومُسكِّنٌ وما أشبه ذلك من الأفعال، ولعلّ هذه أوضح صورة ل طرح البلاغة العربية لمفهوم أفعال الكلام، وخاصة قسم الأفعال الانجازية؛ الذي تصوّره جون أوستين\*\*.

#### ثانيا: تداولية السامع/المخاطب:

المخاطب هو الآخر عنصر مهم في العملية الإبلاغية في الدرس البلاغي العربي، ولئن كان المتكلم هو مُنشئ الخطاب ومُنتجه، فإن السامع هو من يُنشأ له الخطاب، ومن أجله. لذلك على منتج الخطاب أن يراعي أحوال السامع في كل العملية الإبلاغية<sup>(3)</sup> و حضوره في الذهن، بل وبلغ الأمر أكثر من ذلك بضرورة حضوره المادي أحيانا "أولاّ تعلم أن الإنسان إذا عناه أمر، فأراد أن يخاطب به صاحبه، وينعم في تصويره له في نفسه استعطفه ليقبل عليه، فيقول له يا فلان أين أنت، أرنى وجهك أقبل عليّ أحدتك"<sup>(4)</sup>، في ذلك الحضور قيم تداولية تكمل العملية الإبلاغية.

لذلك فكل القضايا البلاغية مرتبطة بهذا السامع، وأحواله، فمثلا قضية الحذف في البلاغة العربية مرتبطة بشكل أساسي بالسامع ودرجة درايته بالخطاب ودواعيه، فالسامع هو الذي يكشف بواسطة

---

1- أبو هلال الحسن العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، منشورات دار الأفاق الجديدة، لبنان، سنة: 1997م، ص: 27.

\* - هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، شاعر و أديب، ولد سنة: 423هـ، بقلعة عزار من أعمال حلب، كان أبوه من أشرف المدينة، أخذ العلم عن الكثير من معاصريه منهم أبو العلاء المعري، أعلن عصيانه على الأمير محمد بن نصر فقتله، سنة: 446، ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص: 07.

2- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1982، ص: 44.

\*\* - أوستين: فيلسوف انجليزي ولد سنة 1970. رائد الفلسفة التحليلية وصاحب كتاب " How to do thing with words". ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، سنة: 2000، ص: 178.

3- ابن جني، الخصائص، ج/ 1، ص: 217.

4- ابن جني، المصدر نفسه، ج/ 1، ص: 217.

القرائن الواردة في الخطاب عملية الحذف و مغزاها، سيتم العرض لهذه القضية وتداعياتها التداولية لاحقاً.

إذا يحضر السامع في كل عملية إبلاغية، وحضوره ضرورة لاكتمال هذه العملية، وهو فاعل تداولي يسهم في تشكيل الجو التداولي كذلك عدّة علماء التداولية الغرب، ومن قبلُ البلاغيون العرب.

### ثالثاً: تداولية الخطاب:

الخطاب: هو الكلام المتداول بين المتكلم والسامع، وقد استعمل الدرس العربي بمختلف علومه مصطلح الخطاب كوصف للغة أثناء استعمالها، وهذا بعد تداولي لا يفصل بين البنى اللغوية وبين واقع استعمالها، فكذلك كان توجه علماء التداولية الغرب الذين وصفوا اللغة في استعمالها<sup>(1)</sup>، ويمكن حصر تصور العرب لتداولية الخطاب في مسألتين:

### 1. مسألة التداولية ومقتضى الحال:

ترتبط المفاهيم التداولية الحديثة مع فكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية، مشروعية ذلك الربط تكمن في أن فكرة مقتضى الحال، "تنتج في الشروط التي يكون بها الخطاب مطابقاً للحال التي يستخدم فيها بين المتكلم والسامع ومختلف الملابس التي تكتنف ذلك"<sup>(2)</sup>، كل ذلك ترصده التداولية، ولعل أول النصوص العربية التي اهتمت بمقتضى الحال، صحيفة بشر بن المعتمر\*، عند قوله: "إنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال"<sup>(3)</sup>، إذا مدار الشرف في المعنى مرتبط بما يقدمه من إفادة ومنفعة للمتلقي، ومرتبطة أيضاً بمدى موافقته لحال المخاطب، ومقامه وكلها أسس للتداولية أولى لها بالغ الاهتمام.

1- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ص: 192.

2- خليفة بوجادي، المرجع نفسه، ص: 193.

\* - بشر بن المعتمر: يكنى أبا سهل، انتهت إليه رئاسة المعتزلة، وانفرد في بعض المسائل عن أصحابه المعتزلة، وكان نخاساً في الرقيق، اشتهرت صحيفته في النقد، واستُنبطَ منها الكثير من القضايا النقدية، توفي سنة 210هـ، ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ج/01، هامش ص: 41.

3- الجاحظ، المصدر نفسه، ج/01، ص: 136.

ومن يربطون بين المقام والخطاب أيضا، السكاكي\*، يقول: "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنتة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجدّ في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"<sup>(1)</sup>، قد اهتم السكاكي في اتجاهه هذا بالظروف المحيطة بالخطاب، مراعيًا غرض المخاطب، وقصده ومقبولية المخاطب، وكلها عناصر تُعتمَدُ في المقاربة التداولية.

### 2. الأبعاد التداولية لمبحث الخبر، والإنشاء:

هو مبحث يعرض لإمكانية استيعاب مبحث الخبر والإنشاء في التراث العربي اللغوي، والبلاغي، والأصولي لنظرية أفعال الكلام\*\* التداولية، التي قدمها جون أوستين، وطورها جون سيرل\*\*\*، وسيتم التفصيل في مدى إمكانية هذا الاستيعاب فيما يلي من أجزاء هذا الفصل، بعد المرور على أبعاد تداولية لمفاهيم نظرية النظم الجرجانية.

### 2- البعد التداولي للجهاز المفهوماتي للنظم:

علمنا أن هدف التداولية فهم اللغة، ورصد خصائصها، وتفسير ظواهرها الخطابية والتواصلية، وقد كان هذا الهدف غير بعيد عن اجتهادات علماء التراث العربي، الذين تنبهوا للمقتضيات التداولية في معظم القضايا التي درسوها، نجد ذلك في الأساس الجوهري في تحليل الخطاب العربي، وهو نظرية النظم الجرجانية التي ارتكزت على البعدين: السياقي، والتداولي، اعتمادا -طبعًا- على آلياتها اللسانية

---

\*- يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي، من أهل خوارزم، ولد سنة: 554هـ، إمام في العربية المعاني و البيان، والأدب، و العروض، و الشعر، متكلم فقيه في علوم شتى، عمد إلى علوم العربية، ووضع مفتاح العلوم بعد اطلاعه على أعمال أسلافه، توفي سنة: 626هـ، ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، مقدمة المحقق، ص: و.

<sup>1</sup>- أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 168.

\*\* - هي نظرية من أهم نظريات التداولية، أتى بها الفيلسوف الإنجليزي، جون أوستين "وهو أول من قال أن اللغة نشاط وعمل يُنجز، أي أن المتكلم لا يخبر ويبلغ فقط بل أنه يفعل" وهذا هو المفهوم البسيط لهذه النظرية. ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص: 191.

\*\*\*- جون سيرل، فيلسوف أمريكي ولد سنة 1932 بالولايات المتحدة، درس الفلسفة بجامعة أكسفورد "هو تلميذ الفيلسوف أوستين".



## الفصل الثاني قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

(كالفصل، والوصل، والتقديم والتأخير... الخ)، كل هذه الأجهزة اللسانية للنظم ذات أبعاد تداولية كما هي ذات أبعاد تماسكية.

### أولاً: الوظيفة التداولية لتغير المواقع في الكلم:

**تداولية التغير:** يلجأ المخاطب إلى تغيير مواقع عناصر الخطاب لأغراض تداولية تفهم من سياق الخطاب، من هذه الأغراض جعلُ المخاطبِ خطابَه مستجيباً لحال مخاطبِه بمقصدية تحقيق التفاعل والانسجام، ففي تقديم المسند إليه مثلاً: يقصد المخاطب لتأكيد خطابِه، وأكثر ما يظهر هذا في معاني الوعد والضمان، فالمخاطب الموعود يحتاج إلى توكيد، لأنه قد يعتريه بعض الشكّ في تمام الوعد، فهو أحوج شيء إلى التأكيد، ومن ذلك أيضاً تقديم المسند إليه في أسلوب المدح، كقولهم: "أنت تعطي الجزيل، أنت تُقري في المحلّ، أنت تجود حين لا يوجد أحد، على المادح إذا منع السامعين من الشكّ، فيما يمدح، ويعد الشبهة عنهم"<sup>(1)</sup>، ولتقديم الضمير هنا غرض تداولي، هو الإفراط في مدح المخاطب، ومن الأغراض التداولية الأخرى التي يفيدها التقديم والتأخير أيضاً التخصيص، يقول عز وجل: (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ...)<sup>(2)</sup>، الوظيفة التداولية للتقديم في الآية هي تخصيص الله سبحانه وتعالى دون غيره ببسط الرزق للعباد.

كما يفيد هذا النوع في تخصيص الجنس فإذا قلت: "أجاءك رجل"، فأنت تريد أن تسأله هل كان مجيء من واحد من الرجال إليه، فإذا قدمت الاسم وقلت: "أرجل جاءك" فأنت تسأله عن جنس من جاءه، أرجل أم امرأة<sup>(3)</sup>، أما تقديم المسند فغرضه تخصيص "بالمسند إليه، فلا يتجاوزها إلى غيره، كأن يقال: "تيمي أنا" فيقصر المتكلم على التسمية فلا يتجاوزها إلى القيسية مثلاً"<sup>(4)</sup>، في حين يُمكنُ المخاطبُ الخبر في ذهن المخاطب بواسطة تقديم المسند إليه، وكلها ملامح تداولية يراعيها الجرجاني كأبعاد تداولية لآلية التقديم والتأخير.

1- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، صص: 134، 135.

2- سورة الرعد، الآية: 26.

3- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 142.

4- ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص: 60.

#### الإفادة؛ مبدأ تداولي لآلية التقديم والتأخير:

ما يراد بالإفادة هو "حصول الفائدة لدى المخاطب من الخطاب، ووصول الرسالة الإبلابية إليه على الوجه الذي يغلب على الظن أن يكون هو مراد المتكلم وقصده"<sup>(1)</sup>، أو هي ما يبغى المخاطب من الخطاب، وقد رأى الجرجاني أن الإفادة حاصلة في كل أنواع التقديم والتأخير، ومنها التقديم والتأخير مع الاستفهام، هذا النوع يحمل غرضاً إبلاغياً متعلقاً بالتحقق وعدمه، وله وظيفة تواصلية شديدة الأهمية تحوّل له تحقيق شرط الإفادة.

اهتم الجرجاني بتحليل هذا الجانب تداولياً، واهتم بالاستفهام بالهمزة خصوصاً، لأن ما يورثه هذا الاستفهام، تشكيك واستفهام على مايلي هذه الهمزة "فإذا قلت: "أفعلت؟" فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده، وإذا قلت "أنت فعلت؟" فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه"<sup>(2)</sup>، ومثال ذلك أنك تقول: "أبنييت الدار التي كنت على أن تبنيها"، "أقلت الشعر الذي كان في نفسك، أن تقوله؟"، يقع السؤال في الأمثلة السابقة عن الفعل نفسه، ويقع الشك فيه، لأن بداية السؤال كانت بالفعل، أما إذا كانت بدايته، بالاسم كقولك: "أأنت بنيت هذه الدار؟"، "أأنت قلت هذا الشعر" فالسؤال يقع عن الاسم أو الفاعل، أنت لم تشك في وقوع الفعل، بل شككت في الفاعل من هو"<sup>(3)</sup>.

ففي قوله تعالى: (...أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَا يَا إِبْرَاهِيمَ)<sup>(4)</sup>، اعتقد الجرجاني أن المتكلمين هنا لم يقصدوا معرفة أن كسر الأصنام قد كان. ولكن قصدوا معرفة أن الكسر كان منه، فالإفادة عندهم علمهم أن إبراهيم قد قام بالفعل، يظهر البعد التداولي هنا بواسطة معرفة قصد المخاطب طبعاً، من طرف المخاطب؛ إذ يعي المخاطب مقصدية مخاطبه من خلال شكل الخطاب وترتيبه، وهكذا تحصل الإفادة كبعد تداولي للتقديم والتأخير.

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، الطبعة الأولى، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة: 1429هـ/2008م، ص: 231.

2- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 111.

3- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 111.

4- سورة الأنبياء، الآية: 62.

ومن الأبعاد التداولية للتقديم والتأخير أيضا تمييز المعاني المختلفة التي تحقق الاتصال بين المنتج والمستقبل من ذلك.

### الاستفهام بالهمزة في التقديم والتأخير في الفعل الماضي والفعل المضارع:

أ- الماضي: فقولك: "أفعلت" يختلف عن قولك "أأنت فعلت" ذلك من حيث المعنى، بالتالي من حيث البعد التداولي، ففي قولك: "أفعلت" يقع الشك في الفاعل من هو؟ دون معرفة هل تحقق الفعل أم لا، أما في القول "أأنت فعلت" فهناك تأكيد على وقوع الفعل<sup>(1)</sup>، هذا يجعل للقول أطيافا دلالية أخرى غير الاستفهام، تؤدي وظائف تداولية جديدة، منها الإنكار، والنفى، والتوبيخ، وكلها أفعال كلامية قد تنتج عن الاستفهام.

ب- المضارع: الاستفهام في المضارع المؤخر يُظهر معانٍ جديدة من خلال إثارته لآثار تداولية، تفصيل ذلك فيما جاء به الجرجاني من انتقال معنى الاستفهام إلى معنى الإنكار، وهي وظيفة تداولية مستنبطة من الاستفهام الذي يفسره بالإنكار بغرض تنبيه "السامع حتى يرجع إلى نفسه، فيخجل ويرتدع، ويعي بالجابوب إماماً لأنه ادعى القدرة على ما لا يقدر عليه، فإذا أثبت على دعواه قيل له: "فافعل" فيفضحه ذلك، وإما لأنه هم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله، فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ، وإما لأنه جوّز وجود أمر لا يوجد مثله، فإذا ثبت على تجويزه قبح على نفسه وقيل له: فأرناه في موضع وفي حال وأقم شاهدا على أنه كان في وقت، ولو كان يكون للإنكار، وكان المعنى معنى فيه بدء الأمر لكان ينبغي أن لا يجيء فيما لا يقول عاقل أنه يكون حتى ينكر عليه، كقولهم "أتصعد إلى السماء"، أتستطيع أن تنقل الجبال"<sup>(2)</sup>، تظهر الآثار التداولية من منظور الجرجاني في<sup>(3)</sup>:

1. تجويز المستمع أمرا لا يوجد مثله "أأنت تصعد إلى السماء".
2. ادعاء المستمع على فعل لا يقدر عليه "أأنت تقول الشعر".
3. رغبة المستمع في فعل شيء لا يستصوب فعله "أأنت تفتري على الناس".

1- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 114.

2- عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 114.

3- ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، (د.ط)، إفريقيا الشرق، سنة: 2006م، ص: 76.

## الفصل الثاني      قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

وسّعت هذه الآثار التداولية المتعلقة بهدف المتلقي أثر الاستفهام وأضفت عليه معنى جديدا هو الإنكار.

### الجوانب التداولية لمواضع التقديم والتأخير في النفي:

لتخريج مواضع التقديم والتأخير في النفي إضافة إلى الأبعاد التماسكية أبعاد تداولية، فإذا قلت: "ما فعلت" تنفي عنك فعلا يثبت أنه مفعول وأنت تنفي أنك فعلته<sup>(1)</sup>، فمجرد التقديم للضمير يفعل فائدة في المعنى، بالتالي يترك أثرا تداوليا، يحصل ذلك أيضا في حال النفي مع تقديم الاسم، الأمر الذي يقتضي وجود فعل، من ذلك ما قاله المتنبي<sup>(2)</sup>:

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ      وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

المزية هنا ليست في إثبات أن السقم قد وقع، ولكن في كونه وقع بجلب المخاطب إيّاه، وجرّه على نفسه<sup>(3)</sup>، إذ المسألة متعلقة بمقصدية المخاطب وهذا هو البعد التداولي في فهم هذا الخطاب، بفهم المعاني المقصودة، واختلافاتها حسب اختلافات أنماط التقديم والتأخير؛ إذا يرتبط هذا النوع بغرض المتكلم وحال السامع، وهما من أهم عناصر التداولية.

في المثال: "ما ضربت زيدا" تقدم الفعل، وكان المعنى أنك لم تقم بفعل الضرب على زيد، أما قول: ما زيدا ضربت، بتقديم المفعول، يصير المعنى أنك قمت بفعل الضرب على إنسان ما، وظنّ أن ذلك الإنسان هو زيد، فقامت بنفي ذلك<sup>(4)</sup>، يلعب البعد التداولي في معرفة قصد المخاطب دورا هاما في فهم الخطاب، هذا الحكم سار أيضا على تقديم الجار والمجرور مع النفي.

فإذا قلت: "ما أمرتك بهذا"، يكون المعنى أنني لم أمرك بذلك ولم أمرك بشيء آخر، لكن إذا قلت "ما بهذا أمرتك" فإني لم أمرك بذلك الشيء وأمرتك بشيء آخر<sup>(5)</sup>.

1- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 124.

2- المتنبي، الديوان، ص: 151.

3- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 125.

4- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 126.

5- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 153.

### ثانياً:فاعلية الحذف في خلق أبعاد تداولية:

لاشك أنا باب الحذف يخلق أبعادا تداولية كثيرة في الخطاب لما فيه من قصد للمخاطب باختبار قدرة المخاطب على كشف مواضع الحذف، وكذا مدى تذوقه لجمالية هذا الحذف، فهو كما عبر الجرجاني أشبهه بالسحر، ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة<sup>(1)</sup>، ولعل أهم بعد تداولي يفعله الحذف هو زيادة الإفادة.

من بعض المعاني التداولية للحذف حذف المفعول: في مثال "ضرب زيد" أسند الفعل إلى الفاعل وحذف المفعول به، والغرض من ذلك إثبات وقوع الضرب فعلا لا الإفادة في وجوب الضرب في نفسه، وعلى الإطلاق أما إذا ذكر المفعول كقولك: "ضرب زيد عمرا" كان غرضك أن تفيد التباس الضرب الواقع من الأول بالثاني، ووقوعه عليه أي أن الفاعل قد ورد ليعلم التباس الضرب به، والمفعول ورد ليعلم التباس الضرب عليه<sup>(2)</sup>. لذلك يكون لحذف المفعول إضافة إلى إضفاء جمالية على النص معانٍ تداولية منها<sup>(3)</sup>:

1. إثبات معنى الفعل لا غير، "من ذلك قول الناس 'فلان يحلُ ويعتقدُ ويأمرُ، وينهي، ويضُرُّ، وينفعُ' وكقولهم: 'هو يعطي ويحزِل، ويُقرِّي ويضيِّف' الغرض في جميع ذلك هو إثبات المعنى في نفيه للشيء على الإطلاق وعلى الجملة"<sup>(4)</sup>، أي في الواقع الحقيقي وفي تلك الجملة، ولا اعتبارات سياقية، وتداولية يعلمهما المخاطب، والمخاطب، لا يتعرض المخاطب للمفعول.

2. حذف مفعول مقصود قصده معلوم إلا أنه يحذف من اللفظ لدليل الحال عليه، وهو قسمان:

جلي: لا صنعة فيه ومثاله: "أصغيت إليه وهم يريدون أذني" و"أغضيت عليه" والمعنى جفني

وخفي: كذكر الفعل، وحذف المفعول الذي يكون مكانه معلوما بدليل الحال، مثل: "أن يفعل فاعل" هذا يؤدي معنى فعل سابق أو لاحق أي أن يفعل فاعل ما قاله، أو ما يتبادر له من أفعال وذلك لأغراض تداولية معينة منها الإهمال، والتحدي، والتجاهل، ومن ذلك قولهم "كان منك ما يؤلم" أي

1- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 146.

2- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص: 153.

3- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص: 78.

4- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 154.

أن المفعول ليس مرتبطاً بالفاعل فقط، بل هو مرتبط على الإطلاق بجميع الناس، يرجع ذلك أيضاً إلى أسباب تداولية يحققها السياق الوارد في الخطاب<sup>(1)</sup>.

قد يكفينا في هذا الجزء (حذف المفعول) اعتبار أهمية التداولية عند الجرجاني قوله "اعلم أن أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية فهم يذكرونها تارة، ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين"<sup>(2)</sup>، وذلك لأغراض تداولية تخضع تظاهراتها لسياق معين في الخطاب، ولقصديّة المخاطب، وكذا مقبولة المخاطب.

### ثالثاً: الجانب التداولي في مسألة الفصل والوصل:

#### الدواعي التداولية للفصل والوصل:

سيتم إيراد مذهبين في هذا الجانب مذهب الجرجاني، ومذهب السكاكي، فكلاهما قد اتخذتا مبادئ تداولية لتبرير مسألة الفصل والوصل إلى جانب مبادئ أخرى، بالنسبة للجرجاني قد نظر إلى هذه المسألة من جهة تلقي الخطاب؛ أي من خلال علاقة المتلقي بالخطاب، هذا ما جعل مقبولة العطف عنده تتوقف على دواعٍ تداولية لا معنوية<sup>(3)</sup>. مثال "عمر قائم، وزيد قاعد" يوضح ذلك، فالشخصان في ذهن المتلقي لا يفترقان حتى أنه إذا عُرفَ حال أحدهما عناه معرفة حال الثاني<sup>(4)</sup>، ويكون ذلك مضموماً في نفس المتلقي، أي ذكر أحد النظيرين أو الأخوين، فحاله يضم إليه ذكر حال نظيره الثاني في ذهن المتلقي، يختلف ذلك من متلقٍ إلى آخر ما يجعل هذا التضام النفسي غير شامل، بل هو خاص بكل متلقٍ على حده، "في حين أن مبدأ التضام العقلي عام لأنه مرتبط بالوقائع"<sup>(5)</sup>، أو هو الربط بين المعاني في عقل المتلقي "فإنما قلت مثلاً: العلم حسن والجهل قبيح، لأن كون العلم حسن مضموم في العقول إلى كون الجهل قبيحاً"<sup>(6)</sup>.

1- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص-ص: 155 - 160، و ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل  
نغير، ص: 78.

2- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 154.

3- ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 103.

4- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 224.

5- محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 115.

6- عبد القاهر الجرجاني، المصدر السابق، ص: 226.

هنا تتسع دائرة التضام العقلي مقارنة بالتضام النفسي، فالعلم والجهل متضامان عند كل الناس، يتمثل المبرر الدلالي في مثل هذا العطف (العلم حسن والجهل قبيح) في كون الخير عن الثاني مضاد للخير عن الأول، أما المبرر التداولي فهو تضام الواقعتين في العقل بالنسبة لجميع الناس.

قد برر الجرجاني دلاليا وبرر تداوليا، مما يجعله يقترب أكثر من شروط التحليل في نحو النص الغربي، وغير بعيد عما ذهب إليه الجرجاني نجد السكاكي أيضا ينطلق من تبريرات تداولية لمسألة الفصل والوصل قد تكون أحيانا أشمل من تبريرات الجرجاني.

فبالنسبة للسكاكي وجود سؤال مقدر في الخطاب هو من دواعي فصل الكلام عن الكلام، وما يفسره لنا هو وجود جواب لذلك السؤال المقدر يأتي ظاهرا في الخطاب، وفي تقدير ذلك السؤال حسب السكاكي دواع تداولية، منها تنبيه السامع على موقعه، وإغناؤه عن السؤال، وإسكاته عن الكلام، وهي متعلقة بالسامع، أما الرابع فهو خاص بالمتكلم، وهو مدى قدرته على إثارة استفهامات السامع، أما الخامس فهو القصد إلى تكثير المعنى، بتقليل اللفظ وهو متعلق بالخطاب نفسه، حيث يُقلل التكرير في الخطاب حتى يتجنب الثقل<sup>(1)</sup>، الملاحظ أن الأبعاد التداولية السابقة متصلة بكل عناصر الخطاب، ما يسمح بتوسيع دائرة التأصيل للتداولية في البلاغة العربية من خلال توسيع نطاق اهتمامها بكل مكونات العملية التواصلية.

#### الأفعال الكلامية في الفصل والوصل:

**الفصل:** من دواعي فصل الجملتين حسب السكاكي، اختلافهما خبرا وطلبا، ذلك لامتناع عطف الطلب على الخبر أو العكس، مثل:

مَلَكْتُهُ حُبْلَى وَلَكِنَّهُ      أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي  
وَقَالَ: إِنِّي فِي الْهَوَى كَاذِبٌ      لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِ

في الشطر الأول من البيت الثاني خبر، وفي الشطر الثاني طلب "الدعاء" وهي من ضمن الأفعال الكلامية، هذا الاختلاف بين الأفعال الكلامية استوجب الفصل، وهناك من الأفعال ما تتماثل وتوجب فصلا، وهو يميز في هذا بين حالين:

1- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 110.

1. تكون في حديث ويقع في خاطرك بغتة حديث آخر، لا جامع بينه وبين ما أنت فيه بوجهه، كقولك: كان معي فلان فقراً، ثم خطر ببالك أن صاحب حديثك جوهرى و لك جوهرة لا تعرف قيمتها، فتعقب كلامك أن تقول: لي جوهرة لا أعرف قيمتها، هل أريكنها، فتفصل بذلك" (1).

2. أو بين الحديث الذي أنت فيه، والحديث الذي باغتك جامع غير ملتفت إليه لبعد مقامك عنه، ويدعوك إلى ذكره داع فتفصل؛ مثلاً: وجدت أهل مجلسك في ذكر خواتم لهم، يقول واحد منهم: خاتمي كذا، يصفه بحسن الصياغة وملاحة النقش، ويقول آخر: إن خاتمي هذا سيء الصياغة كرهه النقش (...).، وأنت كما قلت أن خاتمي ضيق تذكرت خفك وعناءك منه، فلا تقول فخفي ضيق لئبؤ مقامك عن الجمع بين ذكر الخاتم وذكر الخف، فتختار القطع، قائلاً: خفي ضيق، قولوا ماذا أعمل؟ (2)، إن ما أوجب الفصل هنا انقطاع الصلة بين موضوعي الخطاب، وهو داع تداولي فرضه سياق الخطاب، وطبيعة المخاطب، فالمواضيع الأصلية في الأمثلة السابقة تختلف عن المواضيع المقحمة عليها، في المثال الأول الموضوع الأصلي هو: قراءة فلان، وما دار من حديث هو سبب قراءته، والموضوع المقحم هو الرغبة في معرفة قيمة الجوهرة، فلا علاقة بين الموضوعين كما يبدو؛ وذلك ما أوجب الفصل، بالرغم من أن الأفعال الكلامية المكونة لهما من نوع واحد هو الخبر، أما الموضوع الثاني فقد أقحم موضوع الخف رغم اشتراك الخف والخاتم الذي هو موضوع الخطاب في صفة الضيق، إلا أن مقام الحديث عنهما مختلف وهذا داع تداولي أوجب الفصل في الخطاب.

### الوصل:

إن الجمل المحتوية على خبر يتم فصلها عن الجمل المحتوية على طلب إلا في حال اختلافهما "خبراً وطلباً أن يكون المقام مشتملاً على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب، أو الطلب معنى الخبر" (3)، من ذلك قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ

1- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم ، ص: 117.

2- السكاكي، المصدر نفسه، ص: 117.

3- السكاكي، المصدر نفسه، ص: 112.



إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا...<sup>(1)</sup>. قد وردت جملة "قولوا" معطوفة على ما قبلها رغم احتوائها معنى الطلب وما قبلها لم يتضمن معنى الطلب، ما يبرر ذلك العطف المقام الذي يجعلنا نؤول جملة "لا تعبدون" ب "لا تعبدوا" لأنها متضمنة معناه، وأيضا في الآية الكريمة: (...و لا تجزون إلّا ما كنتم تعملون إنّ أصحاب الجنة اليوم في شغلٍ فأكفونهم وأزواجهم في ظلالٍ على الأرائكٍ متكئون لهم فيها فأكفهم ولهم ما يدعون سلاماً قولاً من ربّ رحيمٍ وامتازوا اليوم أيّها المجرمون)<sup>(2)</sup>، قوله تعالى: ( وامتازوا اليوم) معطوف على (إن أصحاب الجنة اليوم) لأن المقام مشتمل على تضمينه معنى الطلب"<sup>(3)</sup>.

يقوم المقام إذا بدور هام في جعل الخطاب متصلاً أو منفصلاً، وهو عنصر تداولي يضاف إلى العناصر التداولية عند السكاكي.

يمكن القول إنّ الجرجاني قد لامس مفهوم التداولية في تخرجات الآليات التي قام عليها مفهوم النظم عنده، وإن لم يتعد ذلك مجرد الإشارة دون التوسع، فقد اكتفى اهتمامه بتوجيه معاني الأقوال والبحث في إمكانية تحقيقها وإنجازها، ما جعل إمكانية افتراض حيّازة هذه الآليات على أبعاد تداولية أكثر تحقّقاً، من بعد الجرجاني حاول السكاكي أثناء تقنيته للبلاغة العربية التوسع أكثر في رصد تلك الأبعاد، وكنموذج آخر نأخذه عينة للمقارنة بين التداولية العربية والغربية، الأبعاد التداولية لمسألة الإسناد، عند السكاكي و شراح مفتاحه.

### 3- الأبعاد التداولية لمسألة الإسناد بين تصور شراح المفتاح وتصور فاندليك:

**مفهوم الإسناد:** هو العلاقة بين عنصري الجملة الأساسيين، المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، والفعل والفاعل في الجملة الفعلية، يعرفه السكاكي على أنه "الحكم بثبوت مفهوم لمفهوم أو انتفائه عنه"<sup>(4)</sup>، كما يعرفه السعد التفتزاني: "هو ضمُّ كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى بحيث يفيد الحكم

1- سورة البقرة، الآية:83.

2- سورة يس، الآية: 53 - 59.

3- السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 112.

4- شروح التلخيص، حاشية الدسوقي، ج/02، ص: 192، : نقلا عن صابر حباشة، محاولات في تحليل الخطاب، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، سنة: 2009م، ص: 143.

## الفصل الثاني قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

بأن مفهوم إحداهما ثابت بمفهوم الأخرى أو منفي<sup>(1)</sup>، بذلك يختلف مفهوم السكاكي للإسناد عن مفهوم الشراح، إذ يعدّه السكاكي 'حكماً' واقعا على صفات المعاني، يصف به الألفاظ الدالة على تلك المعاني تبعا، إذاً هو عنده اعتبار ذهني يجمع بين مفهومين يتبعه جمعٌ للفظي ذينك المفهومين، أما تعريف الشراح فعكس ذلك إذ يعتمد على الجمع بين الألفاظ، وليس المفاهيم لأن المسند والمسند إليه في عرفهم من أوصاف الألفاظ، ولأن الألفاظ تدل على المعاني التحق الإسناد بالألفاظ، وعبر هذه الألفاظ التحق بالمعاني أيضا<sup>(2)</sup>.

يمكن توضيح الفرق بين حدّ الإسناد عند السكاكي و الشراح، كمايلي<sup>(3)</sup>:

الإسناد عند السكاكي	الإسناد عن الشراح
مسند إليه _____ مسند	مسند إليه _____ مسند
[مفهوم] - [حكم] [مفهوم]	[لفظ] [ضم] [لفظ]

في المثال: زيد قائم، الإسناد هو نسبة مفهوم القيام إلى مفهوم زيد، وعند الشراح: الإسناد هو نسبة كلمة القيام إلى كلمة زيد، رغم ذلك لا يعتبر الباحثون في هذا المجال هذا الاختلاف تناقضا، بل هو تعاكس بين الحدين في كون حدّ السكاكي مجردا، بينما حدّ الشراح بنوي ينظر إلى الجانب المادي؛ فهم يطلقون الإسناد على الألفاظ ومنها على المعاني التي تدل عليها، مما طبع توجههم بالمادية، أما السكاكي فيطلق الإسناد على المفاهيم من ثمة الألفاظ، بالتالي ينجح إلى التحريد كما هو معروف عن المفاهيم. الاختلاف إذا يقع في إقرار الأولوية لأحد الجانبين اللفظ أو المعنى.

أولا: المسند والمسند إليه عند فاندريك:

يحدد فاندريك مفهوم المسند والمسند إليه تحديدا دلاليا\* و تداوليا للمعلومات داخل الجملة، وترتيبها المتعارف أو المؤول، وعباراتها الصرفية ويجعل فكرة التمييز بين المسند والمسند إليه تكمن في

1- شروح التلخيص، ج/01، ص: 190. نقلا عن: صابر حباشة، محاولات في تحليل الخطاب، ص: 143.

2- ينظر: صابر حباشة، محاولات في تحليل الخطاب، ص: 144.

3- ينظر: صابر حباشة، المرجع نفسه، ص: 144.

\*- يستعمل فاندريك، مصطلح سيمانطيقا بدل مصطلح دلالة، ينظر: كتابه النص والسياق.

## الفصل الثاني

### قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

التمييز في الجملة بين ما حُكِمَ عليه (كالتقرير، والإيجاب، والسؤال، والوعد...)، وبين ما حُكِمَ به، كما يعتقد فاندريك أن هذا التمييز يوازي الفرق الكلاسيكي بين الموضوع (المبتدأ) والمحمول (الخبر)<sup>(1)</sup>، فحسب كل ذلك يتحدد موقع المسند، وموقع المسند إليه، وقد يكون تحديد المسند إليه بسيطاً نحو:

جون هو مريض. سيكون (جون) هنا موضوعاً، مسنداً إليه، لأنه يشير إلى شيء نسبنا إليه، وحكّمنا عليه بشيء ما، ويكون (هو مريض) المسند، المحكوم به المنصوص عليه في الجملة، أي المحمول على جون.

أو معقداً: كما في:

ورث جون أموالاً عظيمة عن عمّه الذي كان يقيم في استراليا. لفظ (جون) هنا يؤدي وظيفة الموضوع، المسند إليه، وسائر الجملة تؤدي دور المسند<sup>(2)</sup>، ويحدد فاندريك ضروب المسند إليه بأنها "تلك العناصر من الجملة مما تنقيد بنص سابق وسياقه"<sup>(3)</sup>، إذا هو يرجع إمكانية تحديد المسند والمسند إليه باعتبار بنية التناص في الجملة، ويذهب أيضاً إلى ضرورة الإشارة إلى ملاحظات حول الأساس المعرفي لكيفية معالجة المعلومات في اللسانيات التواصلية، حتى يفهم تفصيل تلفظ المسند والمسند إليه، وتعلق تناصها، ويسترسل في تحليل هذه الفكرة قائلاً: "فان الجمل، وضروب الخطاب، يتلفظ بها وفقاً لمجموعة قواعد أفعال وآثارها التواصلية، إذ من أغراض الحكم على قضية ما هو أن السامع ينبغي أن يُلقى إليه الخبر في أمور معينة، ثم إنّ فائدة هذا الخبر هو توسيع مجموع مداركه ومعتقداته بسبب ما يحدثه فيه فهم المعنى المدرك من التلفظ... والنقطة الأساسية هي أن كل (خبر جديد) عادة ما يدمج فيما كان قد تمت معرفته"<sup>(4)</sup>.

هو يوضح آلية تحديد المسند والمسند إليه المتحققة بدمج الأخبار الجديدة فيما سبق معرفته باستعمال أبعاد معرفية، وهي حسب الأساس المعرفي لكيفية معالجة المعلومات في اللسانيات التواصلية، يقدم مثلاً يوضح ذلك قولي: "إن بيتر مريض" يقتضي أن يدل على تواصل الكلامي، ومشاركتي

1- ينظر: فاندريك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، (د.ط)، إفريقيا الشرق، سنة: 2000، ص: 163.

2- ينظر: فاندريك، المرجع نفسه، ص: 163.

3- فاندريك، المرجع نفسه، ص: 167.

4- فاندريك، نفسه، ص: 167.

على معرفتي بالسيد بيتر؛ أي يدل ذلك على أنني أعلم أن بيتر موجود، وأني أعرف أهم صفاته، وفي هذه الحالة فإن علمي الخاص والعام بالسيد بيتر قد يعطني بمضمون الحكم، وفي هذه القضية [أن كونه مريضاً (الآن)]، وهو حكم يجب أن يسند إلى تعقيد تصور بيتر الذي تكون معرفته حاصلة لدى السامع<sup>(1)</sup>، فمعرفة المخاطب، وإحاطته بأجزاء الخطاب، وكذلك الأمر بالنسبة للمخاطب أمر مهم ليتم تحديد المسند والمسند إليه، ومنه يقع التواصل المنشود من العملية الخطابية.

### ثانياً: بين تصور الشراح للإسناد وتصور فانديك:

إذا أردنا مقارنة تصور الشراح للإسناد وتصور فانديك، نجد أن الشراح قاموا بتحديد المسند والمسند إليه في مستوى نظري و بنوي، بينما فانديك حدده باعتبار ثلاثة مستويات ، تركيبية، ودلالية، وتداولية، نجده يطرح أسئلة مهمة في تحديد أبعاد تعيين المسند والمسند إليه، يقول: "هل تميز المسند إليه والمسند ينبغي أن يعرف ويتحدد من جهة التركيب أو السيمانطيقا، أو التداولية، أعني هل هذه العبارات تختص بأقسام أو وظائف البنيات التركيبية للحمل والمعنى القضايا أو مرجعها الاحالي، أم هل تختص بالتراكيب السياقية لأفعال الكلام ومعرفة المعلومات ونقلها"<sup>(2)</sup>، ثم يتساءل أيضاً، هل يمكن لبنية المسند والمسند إليه أن تتحقق وهي مستقلة عن النص، أو عن استعماله في ضروب السياق التواصلية.

لم يجب فانديك عن كل تلك التساؤلات، لكنه أوضح مذهبه فيما بعدها بأن سكت عن كل ما لا يدخل اختصاصه، واستبقى ما يتصل بالقدرة على التمييز بين المسند إليه والمسند باعتبار اتساق الخطاب<sup>(3)</sup>، وهو مجال دراسته الحقيقي الذي اهتم به في مؤلفه النص والسياق، في حين اقتصر تمييز الشراح بين المسند والمسند إليه على البعد التركيبي، ولم يتعداه إلى الدلالة أو التداولية، فجاء حُدُهم للمسند والمسند إليه منطقي لساني، ينظر إلى البنية بمعزل عن سياقها، ولم يراع الشراح عند تصورهم للحدّ مسائل موافقته لشروط الاستعمال، أو ظروف التلفظ، أو عناصر التخاطب، و إدخال عناصر مقارنة متغيرة مثل (المخاطب، السياق) على ذلك الحدّ يخلّ بشروطه<sup>(4)</sup>.

1- فانديك، النص والسياق، ص: 167.

2- فانديك، المرجع نفسه، ص: 164.

3- ينظر: أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء، سنة: 1985م، ص: 122.

4- ينظر: صابر حباشة، محاولات في تحليل الخطاب، ص: 154.

## الفصل الثاني قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

ذلك كله حسب الدكتور صابر الحباشة في تخرجه لأولويات تحديد الإسناد عند الشراح، غير أنّ الحد اللفظي للإسناد لا يعبر دائما عن المفهوم المطبق سواء عند السكاكي أو عند الشراح؛ فعملية تحديد المسند والمسند إليه ليست بنوية بحتة، ولعناصر الخطاب دورا في تحديدها، وإن لم تتم الإشارة إلى ذلك في الحدّ المخصص للإسناد، إلا أنّ التطبيقات توضح ذلك وتجليه، ولعل ذلك يظهر خلال دراسة مسألة ليست بعيدة عن تحديد المسند والمسند إليه في الجملة، وهي تقدّم مبحث الإسناد على مبحث المسند والمسند إليه، إذ يُقدّم الشراح مبحث الإسناد باعتباره ذاتُ طرفي العملية الاسنادية (أي ذات المسند، والمسند إليه) فيعرفه الدسوقي في حاشيته على أنه النسبة التامة واستعمل في إطلاق النسبة سواء كانت النسبة تامة كالإسنادية، أو غير تامة كالإضافية والإيقاعية<sup>(1)</sup>، النسبة التامة، هي العلاقة الاسنادية ذاتها، والنسبة غير التامة تنقسم إلى: النسبة الإيقاعية، والنسبة الإضافية، وهي المتعلقة بالزمان أو المكان، مثال: فلان نهاره صائم.

النهر جار.

هذه الجمل تحتاج إلى تأويل لأنها ليست على حقيقتها الاسنادية بل هي في إطار مجازي، ويمكن تعريب الجاز بالقول: فلان نهاره صائم—فلان صائم في نهاره.  
النهر جار \_\_\_\_\_ الماء جار في النهر<sup>(2)</sup>.

هذا التأويل سيوضح موقع المسند وموقع المسند إليه، ويوضح العملية الاسنادية، يمكننا الانطلاق من هذا البيان لإثبات إدخال الشراح عناصر أخرى غير بنوية في تحديد الإسناد، فالتأويل خاضع لقصد المتكلم، بالتالي سيلحق بعملية التحديد عنصر من عناصر الخطاب، أيضا تلقي السامع لذلك الخطاب وتأويله مجازه لمعرفة حقيقته هي عنصر من عناصر الخطاب المعتمد عليها في تعيين المسند والمسند إليه، ذلك ما يوضح اعتماد أبعاد تداولية في عملية التحديد من طرف علماء التراث العربي. تمكين هذا الغرض بشكل أوسع يمكن أن يتحقق مع إثبات فاعلية ظاهرة الخبر والإنشاء في التراث العربي والتي تمتلك أدوات منهجية تعتبر صالحة لدراسة ظاهرة "الأفعال الكلامية".

1- شروح التلخيص (حاشية الدسوقي)، ص: 240، نقلا عن: صابر حباشة، محاولات في تحليل الخطاب، ص: 160.

2- ينظر: شروح التلخيص (حاشية الدسوقي)، ص: 240، نقلا عن: صابر حباشة، محاولات في تحليل الخطاب، ص:

### 4- تظاهرات "أفعال الكلام" من خلال ظاهرة الخبر والإنشاء:

#### أولاً: إستراتيجية استيعاب الخبر والإنشاء لظاهرة أفعال الكلام:

تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي ضمن مباحث علم المعاني، وموضوعها متمثل في "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها في الاستحسان... ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ من تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"<sup>(1)</sup>، الملاحظ هنا التركيز على التراكيب ذات الدلالة والفائدة دون غيرها، تندرج هذه الظاهرة بالتحديد ضمن ظاهرة "الخبر والإنشاء" وما يتعلق بهما من قضايا وفروع وتطبيقات<sup>(2)</sup>.

وقد مرت الظاهرة بعدد من مراحل النشوء حتى اكتملت قسماتها، فمصطلح الإنشاء مثلاً لم يظهر إلا متأخراً، فلا نجد له ذكراً عند الجرجاني، ولا عند السكاكي، ولا عند الفلاسفة الذين ميزوا بين الخبر والإنشاء، إلا أنهم اصطَلحوا مصطلحات أخرى كمصطلح "الطلب"<sup>(3)</sup>، وحتى بعد الإجماع على المصطلح في مرحلة لاحقة لم يحظ بمفهوم واحد.

ف نجد الرضى الأستربادي يذهب إلى أن الجملة غير الخبرية "إما إنشائية نحو: بعث، وطلقت، أو طلبية كالأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني"<sup>(4)</sup>، هو هنا يساوي بين الإنشاء والطلب، أما كتب المعاني فعَدَّت كل ما لم يكن خبراً من الجمل المفيدة تحت إطار 'الإنشاء'، بعد ذلك ظهرت معايير واضحة للتمييز بين الخبر والإنشاء منها ما هو منطقي ومنها ما هو تداولي، أول تلك المعايير:

### 1. مسألة الصدق والكذب:<sup>(5)</sup>

هذه المسألة أساسية في التمييز بين الخبر والإنشاء، فالخبر هو ما يحتمل الصدق أو الكذب، أما الإنشاء فهو مخالف لذلك، بهذا سيكون الخبر كلام تام مفيد يقبل الصدق أو الكذب، أما الإنشاء

1- السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 161.

2- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 74.

3- ينظر: السكاكي، المصدر السابق، ص: 164.

4- رضى الدين الأستربادي، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، تحقيق: رحاب عكاوي، (د.ط)، دار الفكر العربي، بيروت، سنة: 2000، ص: 24.

5- ينظر: مسعود صحراوي، المرجع السابق، ص: 84.

## الفصل الثاني قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

فهو: أيضا كلام تام مفيد، غير أنه لا يحتمل الصدق أو الكذب، ظهر هذا الأساس عند الفلاسفة خاصة والبلاغة المصطبغين بصيغة منطقية عامة.

### 2. مسألة مقصدية المتكلم:<sup>(1)</sup>

قد يحدد قصد المتكلم نوع الكلام خيرا أو إنشاء، فإن كان غرضه الإخبار مع موافقة اللفظ، فهو "خبر" وإن كان غرضه غير الإخبار، فالكلام إنشاء، يكون القصد بهذا معيارا هاما في تحديد نوع الخطاب.

### ثانيا: تقسيمات العلماء العرب للخبر والإنشاء، تقاطع مع مفاهيم تداولية:

صنف الفارابي\* العبارات الكلامية الصادرة من الإنسان إلى صنفين، "عبارات القول" و"عبارات الفعل"، يتماهى انطلاقه هذا مع انطلاق الفيلسوف جون أوستين الذي اعتبر المخاطبات نوعين أقوالا، وأفعالا تتم بالأقوال، تتم الأقوال بمجرد تحريك الشفتين، بغرض التواصل مع الآخرين، أما الأفعال التي تتم بالأقوال فهي أقوال تحمل المخاطب على فعل شيء ما بعد التلفظ بالقول، أو كما يصرح الفارابي "والقول الذي يقتضي به شيء ما فمنه نداء، ومنه تضرع، وطلبه وإذن، ومنع، ومنه حث، وكف، وأمر، ونهي"<sup>(2)</sup>، فالنطق بالقول عنده يقتضي فعلا ما، يكون بهذا قد تطرق إلى مفهوم "الملفوظ الانجازي" الذي اصطلح عليه مصطلح "القوة"؛ وهو من المفاهيم التداولية المتداولة عند أوستين وسيرل؛ إذ يقرر أن قوة النداء مثلا تعادل قوة السؤال عن الشيء<sup>(3)</sup>، أي أن هذا النوع من الكلام أيضا مقتضى لجواب "فكل مخاطبة يقتضي بها شيء ما فلها جواب، فجواب النداء إقبال أو إعراض،

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 105.

\*- وُلِدَ أَبُو النَّصْرِ مُحَمَّدُ ابْنُ مُحَمَّدِ ابْنِ طَرْخَانَ ابْنِ أَوْزَلْغَ فِي مَدِينَةِ فَارَابِ فِي إِقْلِيمِ خُرَّاسَانَ التُّرْكِي، أَكْبَأَ عَلَى الدَّرْسِ فِي بَلَدِيَّتِهِ وَكَانَ يُجِيدُ الْفَارَسِيَّةَ وَالتُّرْكِيَّةَ وَالكُرْدِيَّةَ، أَتَقَنَّ الْعَرَبِيَّةَ فِي بَغْدَادَ، وَتَتَلَمَّذَ عَلَى يَدِ أَبِي بَشَرَ بْنِ مَتَّى (المتوفى عام 328هـ)، وَدَرَسَ عَنْهُ الْمُنْطِقَ، فَكَانَ أَكْبَرَ الْفَلَسَفَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، أَخَذَ عَنْهُ ابْنُ سِينَا وَابْنُ رَشْدٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ فِلَاسَفَةِ الْعَرَبِ. مِنْ مَوْلَفَاتِهِ: «مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ»، «الْجَمْعُ بَيْنَ رَأْيِ الْحَكَمِيِّينَ»، وَ «قَوَانِينُ فِي صِنَاعَةِ الشُّعْرَاءِ». تُوُفِيَ الْفَارَابِيُّ سَنَةَ 339 هـ. ينظر: ابن خلكان أحمد ابن محمد: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق الدكتور إحسان عباس: دار الثقافة: بيروت، لبنان، سنة: 1970م، ج/2، ص: 100

2- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تحقيق، محسن مهدي، الطبعة الأولى، دار المشرق، بيروت، سنة: 1970، ص: 162.

3- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، ص: 163.

وجواب التضرّع والطلبه بذل أو منع، وجواب الأمر والنهي، وما شاكلة طاعة أو معصية، وجواب السؤال عن الشيء إيجاب أو سلب...<sup>(1)</sup>، هذا ما يجعله متفقا مرة أخرى مع أوستين الذي تصور للأفعال الكلامية نوعا هو "الفعل الناتج عن القول، أو الفعل التأثيري، وهو نفسه ما ذهب إليه الفارابي من جزم بوجود أفعال لكل أقوال، وسماها القوة الانجازية، ما يجعل رؤيته جد واضحة وناضجة ومؤسّسة لما تطور فيما بعد وعرف بأفعال الكلام.

إضافة إلى هذا البيان بتنبه العلماء العرب بمقتضيات المبادئ التداولية بيان آخر، وهو انطلاقهم في تقسيماتهم للخبر والإنشاء من اعتبارات تداولية كمقصدية المخاطب - كما تمت الإشارة - ومراده من المخاطب، إضافة إلى القوة الانجازية، إذا أصول هذه النظرية موجودة في تقسيمات العلماء العرب للخبر والإنشاء<sup>(2)</sup>، إضافة إلى اعتبار النحو العربي أن لفظة "فعل" قسيم الاسم من أقسام الكلام، اعتبرها لفظة لا ترجع في معناها اللغوي إلى مجال اللغة والكلام، بل ترجع إلى حقل دلالي آخر يجمع بين مختلف ما يأتيه الإنسان من عمل، فعمل الإنسان هو فعله وفعله هو عمله، هذا التقارب الدلالي بين الفعل والعمل حفز النحاة العرب لرؤية الصيغة اللغوية فعلا يقوم به المتكلم، وعملا يزجيه به، من ذلك اشتراطوا قيام العديد من الأساليب - التي أصبحت تعرف بأفعال الكلام - كالأمر، والنهي، والنداء، والمدح، والذم، والتخصيص، اشتراطوا قيامها على الفعل<sup>(3)</sup>، وهي أفعال موجودة ضمن أفعال الكلام عند أوستين و سيرل.

### ثالثا: تصور الصيغة اللغوية والعمل المنجز بها:

المساواة بين المعنى والفعل الكلامي: ميّز النحاة العرب بين الصيغة اللغوية والعمل المنجز بها، فالصيغة اللغوية أو اللفظ، مجرد آلة يتلفظ بها المتكلم، وما ينتج عن ذلك اللفظ هو فعل الكلام قد ميّز العرب بينهما في أسلوب التحذير مثلا "سمي اللفظ المحذّر به نحو "إياك والأسد"، ونحو: "الأسد الأسد" تحذيرا' مع أنه ليس بتحذير بل هو آلة التحذير"<sup>(4)</sup>، في هذا الكلام إشارة واضحة إلى قصور فعل الكلام، فلفظة "الأسد الأسد" ما هي إلا آلة حذّر بها المخاطب المخاطب. أما التحذير فهو الفعل

1- أبو نصر الفارابي، المصدر نفسه، ص: 163.

2- ينظر: جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، ص: 466.

3- ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج/2، ص: 842.

4- الرضي الأستربادي، شرح الكافية، ص: 279.



## الفصل الثاني قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

الذي يُنتج عن هذه اللفظة، هذا ينطبق على باقي الأبواب، كالاستفهام، والتعجب والأمر... الخ ليكون كل باب منها ذو آلات وأفعال كالآتي<sup>(1)</sup>:

الصيغة اللغوية (الآلة)	العمل اللغوي المنجز بها	المثال
صيغة الخبر	إخبار	ضرب زيد عمرا.
صيغة الاستفهام	استخبار	من ضرب عمرا؟
صيغة النداء	نداء / تنبيه	يا زيد.
صيغة التعجب	تعجب	ما أجمل زيدا!

فكل صيغة من الصيغ السابقة منوطة بتحقيق المعنى المراد منها، بالتالي ترجمته إلى فعل ما يوسع دائرة فرض تجلي الأفعال الكلامية في الأساليب العربية.

### 5- تجليات أفعال الكلام في الأساليب العربية:

إن اهتمام العلماء العرب بالبحث في معاني الأساليب وأغراضها التواصلية، يفتح المجال لافتراض اتخاذ دراساتهم مناحٍ تداولية، إذ بحث العرب في الإفادات والمقاصد الإبلغية المترتبة عن الأساليب العربية، أخذ هذا المذهب أبرز ملامحه في اجتهاد الإمام عبد القاهر الجرجاني، فقد اهتم بمسألة الأغراض والمقاصد، أثناء تحليلاته التداولية للآليات اللسانية المكونة لجهازه -النظم- كما كان لكثير من النحاة التوجه نفسه، فاتخذوه أساسا معرفيا في تحليلهم النحوي، بدأ ذلك مع الخليل\* وسيبويه\*\* وصولا إلى الجرجاني والأستربادي<sup>(2)</sup>. تجلّى هذا التوجه التداولي بشكل أوضح في الأساليب النحوية، التأكيد و القسم، والإغراء، والتحذير، والدعاء، و الاستغاثة، والندبة، والوعيد.

1- ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج/2، ص: 846.

\*- هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأردني اليمامي، أبو عبد الرحمن، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذ من الموسيقى وكان عارفا بها، وهو أستاذ سيبويه النحوي، ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرا صابرا، له كتاب "العين في اللغة" و"معاني الحروف"، ينظر: نياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج/3، ص: 30.

\*\* -أبو بشر بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، لقب بسبويه لجماله و حمرة وجنتيه حتى كانتا كالتفاحتين، وهو شيخ النحاة أخذ العلم عن الخليل بن أحمد و أخذ أيضا عن عيسى بن عمرو، و يونس بن حبيب، ألف الكتاب و هو عمدة في علم النحو، توفي سنة 174هـ. ينظر: ابن كثير، البداية و النهاية، ج/11، صص: 69، 70.

2- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 253.

#### أولاً: التأكيد:

هو عند التداوليين المعاصرين فعل كلامي يندرج ضمن صنف التقريرات Assertifs والغرض المتضمن في القول منه هو "إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به"<sup>(1)</sup>. بالتالي إبعاد الشبهات عن خطابه، وتفهم المستمع لذلك، و معيار الاختلاف بين التوكيد و الخبر العادي حسبهم هو درجة الشدة للغرض المتضمن في القول التي ترتفع في التوكيد مقارنة بالخبر العادي.

أما من المنظور العربي فالتوكيد هو أسلوب تواصل يستخدم لتثبيت الشيء في نفس المخاطب، وإزالة "ما علق بها من شكوك، وإماطة ما خالجه من شبهات"<sup>(2)</sup>، وقد حدد الغرض منه في ثلاث أمور، "أحدها أن يمنع المتكلم غفلة السامع عنه، وثانيها أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط، فإذا قصد المتكلم أحد هذين الأمرين، فلا بد أن يكرر اللفظ الذي ظنّ غفلة السامع عنه، أو ظنّ أن السامع ظنّ به الغلط فيه، والثالث: أن يدفع عن نفسه ظنّ السامع به تجوزاً"<sup>(3)</sup>، وكلها كما يبدو أغراض تداولية.

لهذا سيكون التأكيد Affirmation من الوجهة التداولية هو: فعل كلامي يوجد بقوة في التواصل اليومي ما يؤهله لتعدّد مجرد كونه وظيفة نحوية، ويجعله منجزاً بالفعل الكلامي التأكيد، ومن أشكال التأكيد، التأكيد بـ "إن" و "أن" والتأكيد بـ "القسم" والتأكيد "بتقديم المسند إليه على المسند الفعلي"<sup>(4)</sup>، وكلها أشكال تراعي حال المستمع، وترفع درجة تقبله للخطاب، ذلك ما يجعل أسلوب التأكيد ومقتضياته ذو أطياف تداولية ومن أقسامه التي تجلو فيها تلك الأطياف القسم.

1 -John, Searle, sens et expression, étude de théorie des actes de langage- traduction française de joelle proust-minuit-1982.

نقلا عن : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص:255.

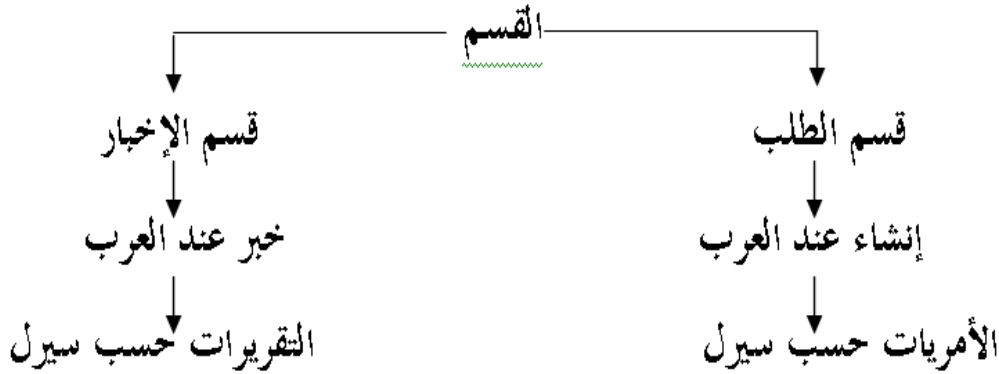
2- مهدي المخزومي، في النحو العربي "نقد وتوجيه"، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، سنة: 1964م، ص: 234.

3- الرضي الأستربادي، شرح الكافية، تحقيق: رحاب عكاوي، صص: 377 ، 378.

4- السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 189.

## الفصل الثاني قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

اختلف النحاة حول خبرية أو إنشائية القسم، منهم من صنفه ضمن قسم السؤال أو الطلب<sup>(1)</sup>، وهو ما احتوى جوابه على طلب مثل "بالله لتفعلن كذا". يحمل المخاطب على فعل أو ترك، أو ضمن قسم الإخبار، وهو ما قصد به توكيد جوابه مثل: "والله ما فعلت كذا" و"والله إني لصادق"<sup>(2)</sup>، فيه يخبر المخاطب عن أمر قد وقع، وانقضى. إذا قمنا بإخضاع القسم لمعايير سيرل سندرج ضمن درجة الشدة للغرض المتضمن في القول، ذلك يثبت انتمائه للتوكيد، وهنا يلتقي سيرل والنحاة في اعتبار القسم من التأكيد، فالحلف توكيد حسبهم، والقسم أيضا توكيد للكلام<sup>(3)</sup>، حتى أن سيرل أيضا يفرق بين قسم الطلب وقسم الإخبار؛ يندرج الأول ضمن قسم "الأمريات"، أما الثاني فضمن قسم التقريرات، وذلك ما يتضح في الخطاطة<sup>(4)</sup>:



ما يلاحظ أن الاختلاف واقع فقط على المستوى الاصطلاحي، أما المفاهيم فهي متطابقة، ما يجعلنا نلمس اعتبار النحاة العرب غرض القسم غرضا تواصليا ذو أبعاد تداولية، منها جعل المخاطب يثق بكلام المخاطب، هكذا يكون القسم "نوعا من الأنواع الكلامية التي يشملها التأكيد، مؤدأ بصيغ وأشكال لغوية متعددة كلها تصب في بجره وتخدم أغراضه التداولية"<sup>(5)</sup>.

1- ينظر: أبو بشر عمر بن قنبر، سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ج/03، ص: 107.

2- الرضي الأستربادي، شرح الكافية، ص: 217.

3- ينظر: سيبويه، المصدر السابق، ج/03، ص: 104.

4- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 257.

5- مسعود صحراوي، المرجع نفسه، ص: 258.

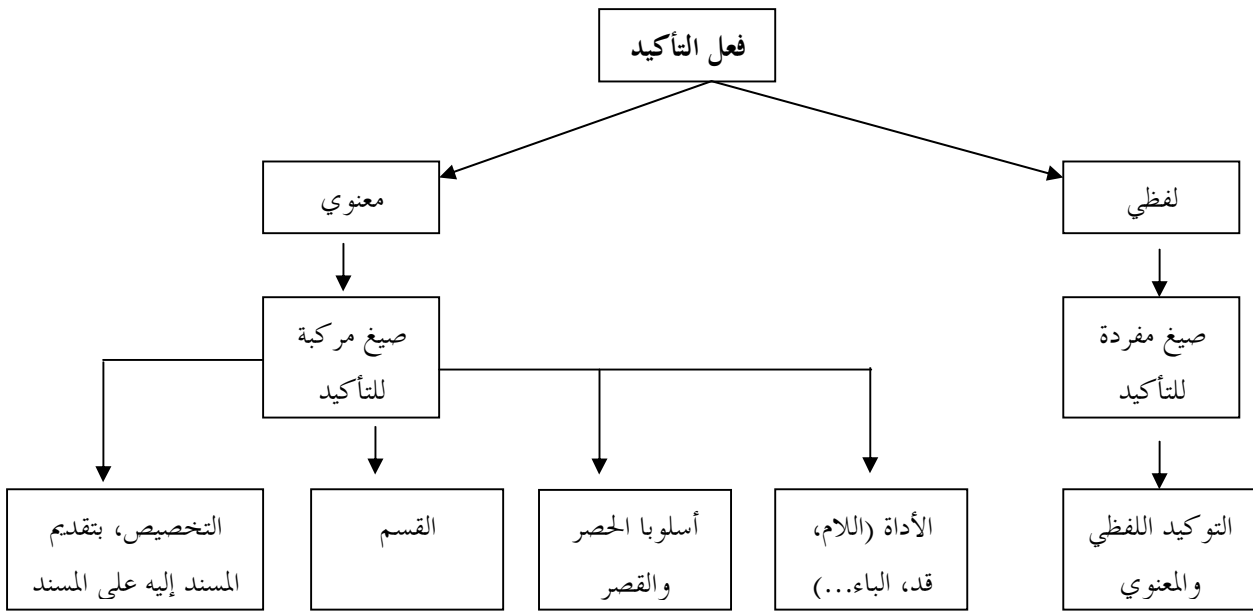
## الفصل الثاني

### قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

يمكن تصنيف تلك الصيغ و الأشكال إلى:

1. صيغ مفردة للتأكيد: هي من الصيغ التركيبية التي تعرف "بالتوكيد" و الذي يقسمه النحاة إلى "لفظي" و "معنوي" اللفظي منها يؤدي بتكرار اللفظ نفسه، أما المعنوي فأيراد كلمات تؤدي وظيفة المؤكّد.

2. صيغ مركبة للتأكيد: تتكون من تركيب لغوي، تؤديه كلمات متعددة، تتضافر على إنجاز معنى "التأكيد" مثل أسلوب القسم، والتأكيد بـ "إن" و "أنّ"، وما تدخلان عليه، والتأكيد بـ "اللام"، و "الباء" و "من" و "ما"، وما تدخل عليه، وكذلك التأكيد بالتحصيص، ذلك بتقديم المسند إليه الاسمي على المسند الفعلي، تُوضّح بنية الفعل الكلامي للتأكيد في الخطاطة<sup>(1)</sup>:



من خلال هذا التقسيم يندرج القسم كفعل كلامي جزئي ضمن الفعل الكلامي الكلّي، وهو "فعل التأكيد" الذي يتكون من عدة أفعال كلامية جزئية تشكل كيانه الكلّي.

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 260.

## الفصل الثاني قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

ثانيا: التحذير والإغراء:

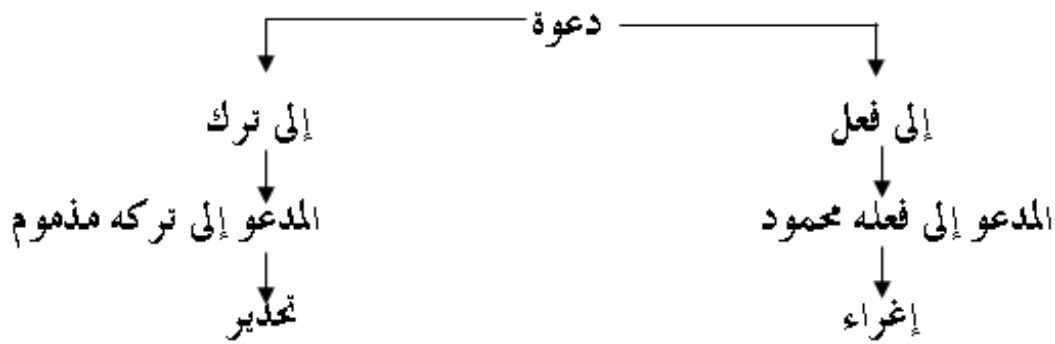
**التحذير:** هو "تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليحْتَنِبَهُ"<sup>(1)</sup>، فهو إذا دعوة لاجتناب فعل قد يُلحق بالمخاطب ضرراً، ومن أمثلته في القرآن الكريم، قوله تعالى: (... نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)<sup>(2)</sup>، فالمعنى المقدّر من الآية، احذروا ناقة الله وسقياها، فالتحذير هنا فعل كلامي متضمّن معنى التحذير، والوعيد للمخاطبين إذ هم أذوا هذه الناقة.

**الإغراء:** جعل المخاطب يُغرى بفعل أمر، أو تنبيهه على أمر محمود ليلزمه، أو ليفعله<sup>(3)</sup>، ومن ذلك قول الشاعر:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَأَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بَغَيْرِ سِلَاحٍ

أي إلزم أخاك، وفي ذلك ترغيب للزوم الأخ لأخيه.

بما أن كلاً من التحذير والإغراء يهدفان إلى التأثير في المخاطب وجعله يؤدي فعلاً ما، سيندرجان ضمن الأفعال الكلامية في الأساليب العربية، يمكن تصور الفرق بينهما كمايلي<sup>(4)</sup>:



على أن الجامع بينهما هو رغبة المخاطب من المخاطب لفعل أمر ما، قد يكون لزوم أو ترك أمر ما، ففي كل منهما دعوة.

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، (د.ط)، مكتبة الخانجي، مصر، سنة:1979م، ص: 152.

2- سورة الشمس، الآية: 13.

3- ينظر: جمال الدين الأنصاري، شرح شذور الذهب، تحقيق: محي عبد الحميد، (د.ط)، المكتبة العصرية، بيروت، سنة: 1995م، ص: 246.

4- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 263.

#### ثالثا: الدعاء:

تفيد فيه عبارات مثل "سلام عليك، ولبيك، وخير بين يديك، وويل لك..."<sup>(1)</sup>، وكلها تتضمن أفعالا كلامية تفيد الدعاء.

**رابعا: الندبة:** هي نوع من أنواع النداء "فالمندوب مدعو، ولكنه مُتَفَجَّعٌ عليه"<sup>(2)</sup>، وهو مثل المدعو تماما، إلا في التفجع عليه، وهذا هو معناه الزائد عن النداء.

ويمكن تسمية فعله الكلامي ندبة، أو استغاثة، إذ يستغاث بالمدعو بإضافة ألف الندبة في آخر الاسم، ما يجعله مختلفا عن النداء الذي لا تلحقه هذه الألف.

**خامسا: الوعيد:** من التراكيب النحوية، معناه يهدف إلى إلحاق الضرر بالمخاطب مثل قوله تعالى: (وَيْلٌ لِّيَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ)<sup>(3)</sup>، وقوله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ)<sup>(4)</sup>، فهي من وعيد الله عز وجل لعباده المكذبين والمطففين، وتدخل ضمن أفعال كلام الوعيد.

الملاحظ أن الأساليب النحوية السابقة: التأكيد، والتحذير، والإغراء، والدعاء، والندبة، والوعيد كلها أفعال كلامية، وإن لم يتعرض النحاة بشكل مُرَكِّزٍ لمعانيها الانجازية، إلا أن تحريجاتهم لها حملت بعض الملامح التداولية، مكنت الباحثين من اعتبار وجود أفعال كلامية لهذه الأساليب.

#### 6- تصور الأفعال الكلامية عند الأصوليين:

كغيره من العلوم اللغوية العربية استثمر علم أصول الفقه معاني الخبر والإنشاء واستغله ليوسّع مجاله هو الآخر ليكون له منحى تداولي، لذلك قام علماء الأصول بالبحث في بعض المسائل التداولية كمسائل ضمن نظرية الخبر والإنشاء، وقد كان غرضهم البحث "عن الدلالات وعن الطرق التي يتخذها النص لإفادة معنى، أو لصناعة أفعال دينية فردية كانت أو اجتماعية، وكيفية تعاطيهم مع الأساليب اللغوية والأغراض الإبلاغية التواصلية المنبثقة عنها"<sup>(5)</sup>، وما قد يعتبر إضافة جديدة لنظرية

1- سيبويه، الكتاب، ج/01، ص: 230.

2- سيبويه، المصدر نفسه، ج/1، ص: 230.

3- سورة المرسلات، الآية: 15.

4- سورة المطففين، الآية: 15.

5- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 167.

أفعال الكلام، هو اكتشاف علماء الأصول لأفعال كلامية جديدة منبثقة عن الأصلية المعروفة في الدراسات التداولية، ولعلّ ما جعلهم يتفوقون "فهمهم لطرق تأليف الكلام، وأوجه استعمالته، وإدراك مقاصده، وأغراضه، وما يطرأ عليه من تغيير ليؤدي معاني متعددة ... ومراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي وتحكيمه في الدلالات"<sup>(1)</sup>. كل ذلك فرضته طبيعة الدراسة الأصولية التي تتسم بالدقة في تحديد الأغراض والمقاصد بكل حيثياتها، فالمسألة عندهم من الحساسية بما كان؛ إذ تمس جوانب عقائدية.

### أولاً: أفعال الكلام المنبثقة عن الأسلوب الخبري:

إن ما جعل تصوّر تميّز الأصوليين في طرحهم لمسألة أفعال الكلام مؤكّداً هو ربطهم للخبر مع غيره من أغراض اكتشافها في مجال بحثهم الخاص، ما أنتج أفعالاً لغوية حديثة جراء هذا المزج، من تلك الأفعال "الشهادة خبر، والرواية خبر، والدعوى خبر، والإقرار خبر، والمقدمة خبر، والنتيجة خبر"<sup>(2)</sup>، وكلها أفعال تنتسب إلى علم الأصول طُبّق عليها قوانين الخبر كما هو موجود في علم المعاني، غير أن الأصوليين قد قسموه تقسيمات جديدة منطلقين من اعتبارات تداولية، كتقسيم الأمدي\* للأخبار المتعلقة بالآثار النبوية الشريفة.

القسمة الأولى: الخبر الصادق وهو المطابق للواقع، والكاذب غير مطابق.

القسمة الثانية: ما يعلم صدقه وما يعلم كذبه، وما لا يعلم صدقه ولا يعلم كذبه.

القسمة الثالثة: الخبر المتواتر، وخبر الآحاد<sup>(3)</sup>.

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 167.

2- أحمد بن محمد، شهاب الدين، القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق: محمد أحمد سراج، وعلي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة: 2001، نقلاً عن: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 169.

\* - سيف الدين أبو الحسن بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، ولد سنة: 551هـ، أُعجِبَ علماء عصره بحسن كلامه وقوة حجته في الجدل والمناظرة، ترك عدة مصنفات منها "مناجح القرائح" و"رموز الكنوز" و"الإحكام في أصول الأحكام"، توفي سنة 631هـ، بدمشق، ينظر: أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان و أنباء أنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ص: 294.

3- ينظر: سيف الدين الأمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عجمي، (د.ط)، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة: 1981م، ج/2، ص: 10.

تتأثر الأقسام السابقة الذكر باعتبارات منطقية، وتداولية كمرعاة العلاقة بين الكلام والواقع الخارجي (مطابقة الخبر للواقع) بالإضافة إلى الأفعال الكلامية التي تنبثق عن 'الخبر'، ما يجعله محاطا بالمبادئ التداولية في آليات اشتغاله، ويمكن جمع تلك الأفعال المنبثقة في:

### الشهادة والرواية مطبق عليهما قوانين الخبر:

عدّ بعض علماء الأصول 'الشهادة' و'الرواية' أخبارا ولكن ميّزوا بينهما تداوليا من جهتين:

**1. جهة نوع المخبر عنه:** فإذا كان أمراً عاما لا يختص بمعيّن فهو 'رواية' وإن كان المخبر عنه معيّنا خاصا فهو 'شهادة'<sup>(1)</sup>، بمعنى إذا كان الخبر عاما يفيد الجميع وليس خاصا بأحدهم فقط، فهو رواية، أما إذا كان خاصا بأحدهم وواردا لأجله فهو شهادة، وهذه مسألة تداولية تحيط اهتماما بنوع الرسالة في الخطاب.

**2. جهة السياق الاجتماعي العام "الرسمي" أو "غير الرسمي":** إن كان في مقام غير رسمي فهو رواية، وإذا كان في مقام رسمي كأن يكون أمام القاضي فهو "شهادة"<sup>(2)</sup>، وهذا جانب تداولي آخر يولي السياق الاجتماعي أهمية في تحديد نوع الخبر الذي يحقق أفعالا كلامية تتلخص في:

**1. رواية محضة كالأحاديث النبوية، ولا يمكن لها أن تكون غير ذلك، إذ يروى ما سمع وأوثر عن النبي صلى الله عليه وسلم، و يتناقله الرواة حتى يصل إلى المدوّن له.**

**2. شهادة محضة كإخبار الشهود عن الحقوق على المعيّنين عند الحاكم، وهو ما يحصل في كل المحاكمات عند القاضي مثلا، فيكون الخبر بغرض الشهادة فقط، وهو الفعل الكلامي الذي يتضمّن ذلك الخبر.**

**3. مركب من الشهادة والرواية، منه الإخبار عن رؤية هلال رمضان، فقد يكون الخبر بهذا رواية يتناقلها المخاطبون والمخاطبون، وقد يكون شهادة يشهد بها أحدهم، لذلك سيكون الأساس**

1- ينظر: شهاب الدين القرافي، كتاب الفروق، ج/2، ص: 74. نقلا عن: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 171.

2- ينظر: شهاب الدين القرافي، المصدر نفسه، ج/2، ص: 74. نقلا عن: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 171.



## الفصل الثاني

### قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

التمييزي بين الأنواع السابقة هو الآثار المترتبة على الخبر، والمتعلقة بالمخبر عنه<sup>(1)</sup>، ككون الخبر خاصا، أو عاما، وما يتبع ذلك من خصوصية أو عموم النتائج المترتبة عن ذلك الخبر، وهذا أساس تداولي.

يتقابل ذلك مع ما سماه سيرل "نمط الإنجاز" 'Mode of achievement' ويعني: توافر شروط إنجازيه معينة تغير من هوية الفعل الكلامي وتكثفه بطابع خاص، من أمثله: شخصان يرويان خبرا، لكن أحدهما يرويّه بوصفه شاهدا في المحكمة، والآخر يقدمه على أنه خبر عادي<sup>(2)</sup>، لذلك لن ينطبق التصور العربي الممثل هنا بمذهب القرافي، والتصوير الغربي الممثل بمذهب سيرل لن ينطبقا انطباقا تاما، وإنما سيلاحظ بعض الاختلاف، منه أن القرافي يوسّع حركة الفعل الكلامي المنبثق عن الخبر بإضافته الآثار المتعلقة بالخبر، أما سيرل فيضيف تلك الحركة ومجالها، عندما يربط مفهوم "الفعل الكلامي" بكيفية أداء الشهادة، أو طريقة نقل الخبر فلا يتعدّ النظر إلى أفعال أخرى قد تصدر عن الخبر، مثلما فعل القرافي.

إضافة إلى ذلك، يميّز اجتهاد القرافي باستحداث مصطلحات مناسبة لكل فعل كلامي، حسب تصنيفه: الشهادة للخبر الخاص، والرواية للعام، بينما سيرل اكتفى بتسمية الخبر الخاص بالشهادة، وأهمّل تسمية الخبر العام، واكتفى بالإشارة إليه أنه خبر عادي فقط<sup>(3)</sup>. وهي أفعال كلامية منبثقة عن الخبر متمثلة كما سبقت الإشارة في "فعل الشهادة" و"فعل الرواية"، ومن الأفعال الكلامية الأخرى المنبثقة عن الأصلية أيضا، أفعال منبثقة عن أصلية من جراء تطبيق قوانين ظاهرة الخبر عند الأصوليين هي 'النفي'.

### النفي:

لأنه قسيم الإثبات في الخبر، اعتبره علماء الأصول "شطر الكلام كله"<sup>(4)</sup>، لذلك يتبوأ دورا جوهريا في إرساء المبادئ التداولية، وقد استثمر علماء الأصول نظرية النظم الجرجانية لإثبات ذلك،

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 172.

2- ينظر: مسعود صحراوي، المرجع نفسه، ص: 171.

3- ينظر: مسعود صحراوي، المرجع نفسه، ص: 172.

4- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط)، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ج/2، ص: 377.

## الفصل الثاني

### قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

ف نجد بدر الزركشي\* يصرح مستثمرا نظرية النظم أن "المنفي هو ما ولى أداة النفي"<sup>(1)</sup>، فقولك: "ما ضربت زيدا، تكون قد نفيت الفعل، وهو ضربك إياه، أما إذا قلت: 'ما أنا ضربت زيدا'، فإنك تنفي فاعليتك للضرب"<sup>(2)</sup>، وهو نفس تحليل الجرجاني الذي أوضح تغير الأفعال الكلامية للمنفي حسب تغير الصيغة التي يرد بها.

#### أفعال منبثقة من خلال تغير صيغتها:

من ضمن الأفعال المنبثقة عن الخبر، أفعال تحقق تصورهما بالانتقال من صيغة الخبر إلى الإنشاء، فالصيغة اللغوية لا تكون دائما وفي كل السياقات معيارا للتمييز بين الإنشاء والخبر، بحكم اختلاف الصيغة حتى بين الأخبار نفسها فيما بينها من جهة، وبين الإنشاءات نفسها من جهة أخرى<sup>(3)</sup>.

فقد يصبح التلفظ بلفظ البيع إنشاء للبيع، يحدث ذلك بصيغة لغوية مخصوصة، ونفس الشيء بالنسبة للتلفظ بلفظ الطلاق، ولفظ الشهادة بصيغ مخصوصة، فتصبح على التوالي: إنشاء الطلاق، وإنشاء الشهادة، وتصبح من أفعال العقود التي يصنفها الأصوليون من منظور تداولي أنها متقلبة بين الخبر، والإنشاء غير الطلبي، فلا شك أن صيغ العقود نحو 'بعث' و'اشترت' و'طلقت' و'أعتقت' أنها في اللغة أخبار، وكذلك عند الأصوليين هي أخبار "إنما التزاع فيها إذا قصد بها حدوث الحكم وإيجاده... أنها إنشاء لصدق حد الإنشاء عليها، لأنها تدل على الحكم بنسبة خارجية، فإن 'بعث' لا يدل على بيع آخر غير البيع الذي يقع به، ولا يوجد فيه احتمال الصدق والكذب"<sup>(4)</sup>، تلك الرؤية تولد خلطا بين الإنشاء والخبر على مستوى الصيغة اللغوية، وهو نوع من أنواع المشترك اللفظي، لذلك تكون الجملة الواردة بصيغة العقود وإن أظهرت إخبارية بصيغتها ذات قوة إنشائية أصالة<sup>(5)</sup>.

\*- بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: أحد العلماء الأثبات في الفقه والحديث و التفسير، ولد في القاهرة سنة 745هـ، توفي سنة 794هـ، من مؤلفاته "إعلام الساجد بأحكام المساجد"، "البرهان في علوم القرآن". ينظر: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صص: 05-07.

1- بدر الدين الزركشي، المصدر نفسه، ج/2، ص: 377.

2- ينظر: بدر الدين الزركشي، المصدر نفسه، ج/02، صص: 377، 378.

3- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، صص: 177، 178.

4- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ج/02، ص: 877.

5- ينظر: محمد الشاوش، المرجع نفسه، ج/2، 878.

ومنها تنبثق أفعال كلامية جديدة خاصة بالأصوليين، ودراساتهم نذكر من تلك الأفعال البيع والطلاق.

### الجوانب التداولية لألفاظ وصيغ الطلاق:

قام الفقهاء والأصوليون بدراسة الصيغ التي يتم بها إنشاء الفعل الكلامي الذي ينجز الطلاق ويوقعه، واكتشفوا اعتبارات تداولية كانت خلفية لإنجاز هذا الفعل الكلامي، وكمثال يثبت ذلك عبارات ابن رشد\* عند تحليله للطلاق، عندما اعتمد مبدأين أساسيين هما:

**1. القصد والنية في فعل "الطلاق":** هو من شروط وقوع الطلاق حسب جمهور الفقهاء، فإذا نطق الزوج بصيغة "أنت طالق"، ونوى ذلك وقع الفعل الكلامي "الطلاق"، أما إذا لم ينوي، وادعى أنه "أراد شيئاً آخر كأن يطلقها من وثاق هي فيه"<sup>(1)</sup>، فالفعل الكلامي "الطلاق" عند عدم النية لا ينجز، بذلك تكون مسألة المقصدية قد أخذت اهتماماً بالغاً ضمن المسائل التداولية الداخلية في المكوّن الكلي لنحو النص.

**2. الصراحة والكناية في لفظ الطلاق:** بحث الفقهاء في الألفاظ الصريحة للطلاق ومكّنات الطلاق، واعتبروا الألفاظ الصريحة "كأنتِ طالق، طلقتك وسرحتك"؛ أما الكناية عن الطلاق فهي كقولك "حبُّك على غاربك، الحقي بأهلك، تقنعي... إلخ، وكلها منجزة لأفعال كلامية"<sup>(2)</sup>. وإن كان مذهب الفقهاء يختلف، فإن صيغة الطلاق شرط لوقوع الفعل الكلامي "الطلاق" وحصوله، وهي الصيغة المعروفة "أنت طالق"، أما مظاهر الكناية فلا يقع بها الطلاق عند جلّ الفقهاء، غير أنها قد تؤدي أفعالاً كلامية أخرى كذهاب الزوجة إلى أهلها، وهذا لا يعني وقوع فعل الطلاق، ما يهم أنها تعدّ أفعالاً كلامية تلحق فعلاً وسلوكاً معيناً في المجتمع.

\*- أبو الوليد أحمد، بن محمد بن رشد، ولد بقرطبة سنة 520هـ، تفقّه في العلوم الإسلامية، وأحكم المنطق، اشتهر بفيلسوف قرطبة، وبالشارح الأكبر، توفي بمراكش سنة 595هـ، و بها دفن، أشهر مؤلفاته "تهافت التهافت"، بداية المقتصد، و"جوامع الخطابة والشعر". ينظر: ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن الحسن القسنطيني، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الرابعة، دار الأفاق، الجديدة، بيروت، سنة: 1983، ص: 235.

1- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الطبعة السادسة، دار المعرفة بيروت، سنة: 1983م، ج/2، ص: 74.

2- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 209.

#### الخلفية التداولية لصيغ البيع:

لا يصحّ "الفعل البيعي" إلا بألفاظ خاصة تؤدي هذا الفعل الكلامي، وقد وُصفت هذه الألفاظ بأنها تلك الألفاظ التي "صيغتها ماضية" مثل أن يقول البائع قد بعتك هذا الشيء<sup>(1)</sup>، هذا التعبير لا يفيد أن الفعل وقع في الماضي بل عكس ذلك؛ فصيغة الماضي في هذا الحال تعبر عن الحال؛ أي أنها تفيد الحال الراهن رغم صيغتها المعبرة عن الماضي، فعملية البيع لا تتم حتى يقول المشتري "قد اشتريت منك". وهو ما يعرف "بالإيجاب والقبول". الإيجاب هو: قول البائع: قد بعتك، والقبول قول المشتري قد اشتريت<sup>(2)</sup>. بهذا ينجز العمل اللغوي من هذه الصيغ.

#### ثانياً: تصور الأفعال الكلامية المنبثقة عن الأسلوب الإنشائي:

استفاد علماء الأصول من ظاهرة الإنشاء في استخراج أفعال كلامية منبثقة ذلك من خلال "البحث في المقاصد والأغراض التي يؤوّل على أساسها كل من "الأمر"، و"النهي" وغيرهما من الأساليب الإنشائية... وبحثوا فيما ينجز عن مفهوم "الإذن" من أفعال كلامية "كالإباحة" والأمر وغيرها"<sup>(3)</sup>، استطلاع ما ذهب إليه علماء الأصول في هذا الاتجاه، يحطّنا أمام شدة وعيهم بظاهرة الأفعال الكلامية.

البداية مع الفعل الكلامي "الأمر" عرفه الشيرازي "باستدعاء الفعل بالقول"<sup>(4)</sup> في مقابلة النهي وهو "استدعاء الترك بالقول"<sup>(5)</sup>، يحمل كل "من التعريفين السابقين معان تداولية، تعبر عن تضمّن الأمر والنهي لأفعال كلامية بالقول، وهو الأمر الذي تحدث عنه أوستين وسماه "الفعل بالقول Acte illocutionnaire"، غير أنه ليس بتلك الصورة المتطابقة مع مذهب الأصوليين، بل هناك اختلاف جوهري بين المذهبين فاصطلاح العرب "الفعل بالقول" قد يشمل المتضمن بالقول، ويستدعي أنواعاً

1- ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج/2، ص: 170.

2- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 211.

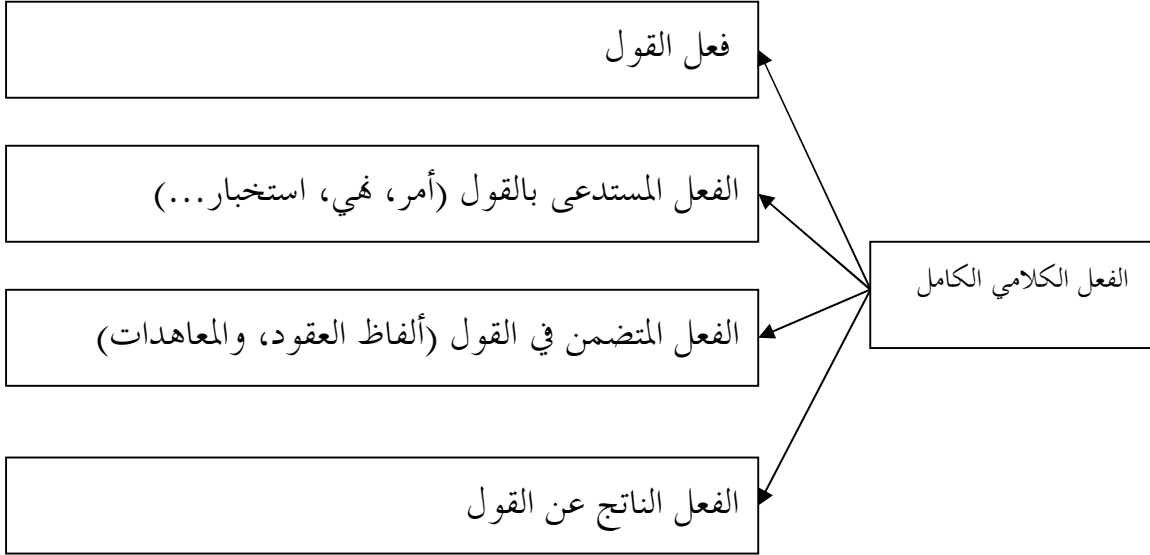
3- مسعود صحراوي، المرجع نفسه، ص: 185.

4- إبراهيم الشيرازي، شرح اللمع في أصول الفقه، تحقيق: عبد المجيد تركي، (د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة: 1988م، ص: 191.

5- إبراهيم الشيرازي، المصدر نفسه، ص: 293.

## الفصل الثاني قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

أخرى هي المعتبرة في هذا المقام أفعالا منبثقة، كالفعل المتعدي بالقول، والفعل الناتج عن القول، وعليه يكون للفعل الكلامي الكامل أقساما هي<sup>(1)</sup>.



الفعل المستدعي بالقول منها، كقولك: اهض، ينجز الفعل هنا بعد سماع المخاطب للصيغة (اهض).

أما المتضمن في القول، فهو في مثل تنفيذ وانجاز بنود لمعاهدات تحمل أقوالا عندما تُنجز تصبح أفعالا.

وأما الأفعال الناتجة عن الأقوال، فهي ما تتركه تلك الأقوال من آثار كالدموع عند التأثر، أو الابتسامة... إلخ.

### الأفعال الكلامية المنبثقة عن الأوامر والنواهي:

على اعتبار أن الأوامر والنواهي الشرعية هي عماد تصور الأصوليين لأسلوب الإنشاء، ستؤدي تطبيقات هذا الأسلوب إلى انبثاق أفعال كلامية جديدة، إضافة إلى الأفعال الأصلية الأمر، والنهي، يمكن تلخيص تصور علماء الأصول لتلك الأفعال المنبثقة كالآتي:

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 187.

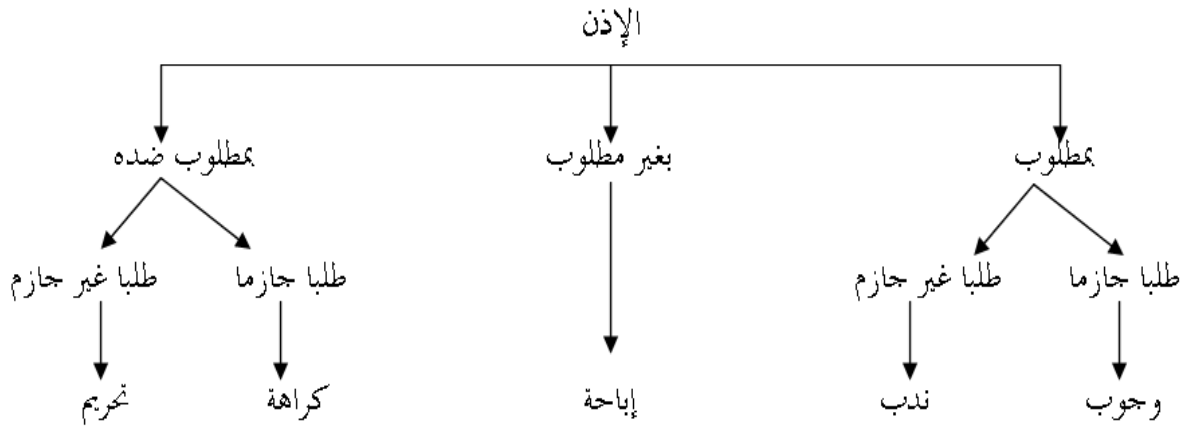
## الفصل الثاني

### قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

**الإباحة:** هي من الأغراض التي قد تستعمل فيها بعض صيغ الطلب مثل صيغة الأمر، مع أن بعض علماء الأصول اتفقوا على أنها ليست طلبا، وقد ربط بعض المناطقة والبلاغيين بين الأمر و"الإباحة" لأنهما يشتركان في أهمهما إذن، فالأمر بالشيء "إذن"، وإباحة الشيء "إذن"، ما يفرقهما أن الأمر إذن ومعه طلب، والإباحة إذن لا طلب معه<sup>(1)</sup>.

مثال قوله تعالى: **(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى...)**<sup>(2)</sup>، هذه الآية تحمل فعلا كلاميا هو "الأمر" وهو إذن للمؤمنين بتأدية الصلاة، هو طلب للمحافظة على الصلاة، والتركيز على الصلاة الوسطى، أما قوله تعالى: **(...فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ...)**<sup>(3)</sup>، يختلف الفعل الكلامي هنا بأنه فعل "الإباحة" إذن الله سبحانه وتعالى بنكاح النساء مثنى وثلاث ورباع، ولا يحتوي الفعل على طلب.

**الإذن:** هو فعل كلامي ناتج عن الإباحة، وهو الآخر تنتج عنه أفعال كلامية تتلخص في الخطاطة<sup>(4)</sup>:



1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 189.

2- سورة البقرة، الآية: 238.

3- سورة النساء، الآية: 03.

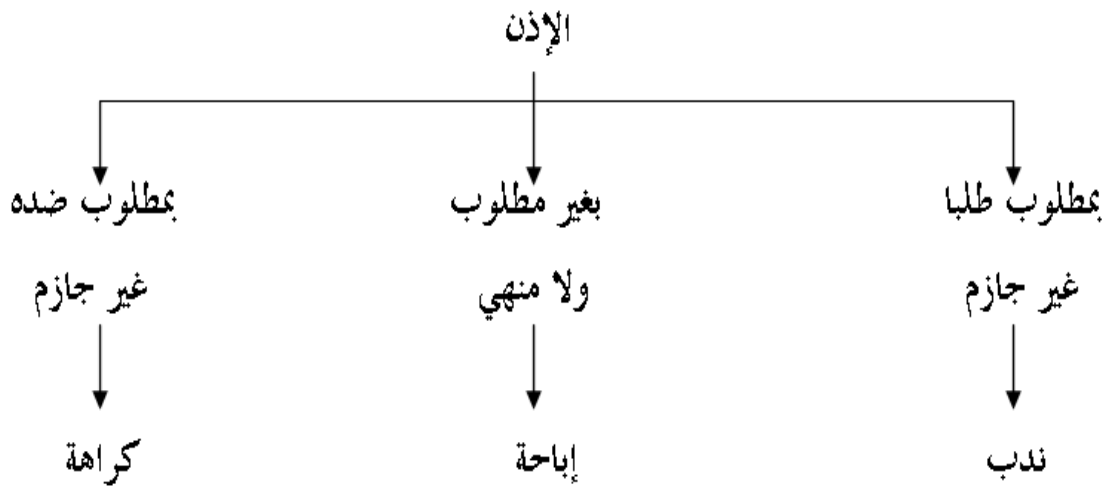
4- طالب سيد هاشم، الطببائي، نظرية الأفعال الكلامية، بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، منشورات جامعة الكويت، سنة: 1994، نقلا عن: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 191.

## الفصل الثاني

### قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

المطلوب منه طلبا جازما يتساوى والأمر كأداء الفرائض، أما المطلوب طلبا غير جازم وهو المندوب، كالنوافل في الفرائض مثلا. وغير المطلوب من الإذن يتساوى مع الإباحة التي تقوم على الإذن أصلا، ومنه أكل الطيبات وغيرها من المباحات للمسلم، أما الإذن الحاصل بمطلوب ضده فعدم طلبه مأذون فيه، وهو الآخر صنفان، طلب غير جازم من ومنه الفعل الكلامي "الكرهية" كفعل الطلاق في الشريعة، وطلب جازم، وهو الفعل الكلامي "التحريم" ومنه شرب الخمر، وانتهاك الحرمات، وهي أمور محرمة.

قد عدّل هذا الاقتراح\* تعديلا لا يمسّ الجوهر، ولكنه يبعد عنه الوجوب والتحريم، لأنّ ذلك موضوع مأمور فيه وليس مأذون فيه، فأصبح تصوّر الفعل الكلامي "الإذن" و ما ينبثق عنه من أفعال كالآتي<sup>(1)</sup>:



بذلك ينحصر فعل الإذن في الندب، والإباحة، والكرهية، أما الأمر، والنهي فهي مخالفة للإذن، وتنتمي إلى أفعال كلامية أخرى.

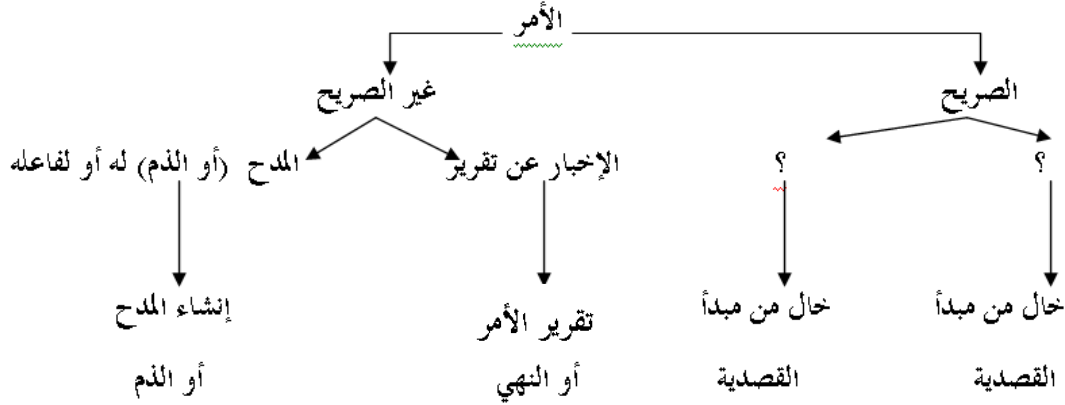
\* - عثله الدكتور مسعود صحراوي، في مؤلفه، التداولية عند العلماء العرب.

1 - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 192.

## الفصل الثاني قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي

الأفعال الكلامية المنبثقة عن الأمر:

يقسم الشاطبي\* الأمر إلى صريح، وغير صريح حسب الخطاطة<sup>(1)</sup>:



الصريح من نوعي الأمر كما يظهر في الخطاطة نوعان نوع مجرد لا يعتبر فيه علة مقصدية، ومثله قوله تعالى: (... وَذَرُوا الْبَيْعَ ...) <sup>(2)</sup>، وهو جارٍ مجرى التوكيد والنهي عن ملابسة الشغل يوم الجمعة.

ونوع يعتبر فيه علة المقصدية، فينظر إلى قصده الشرعي، ومثله قوله تعالى: (... فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...) <sup>(3)</sup>، القصد من الآية الحث على إقامة صلاة الجمعة وعدم التفريط فيها.

أما الأمر غير الصريح، فهو ما جاء مجيء الإخبار عن تقرير الحكم مثل قوله تعالى: (... وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ...) <sup>(4)</sup>.

\* - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي، صاحب كتاب "الموافقات في أصول الشريعة" وهو الذي رام بمصنّفه هذا إعادة تأسيس علم الأصول بالقول بالكليات في الشريعة الإسلامية، توفي سنة: 790هـ، ينظر: فرحات الأخضرى، نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، سنة: 2004/2005. ص: 31.

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 195.

2- سورة الجمعة، الآية: 09.

3- سورة الجمعة، الآية: 09.

4- سورة البقرة، الآية: 233.



وما جاء مدحا له أو لفاعله، وما يتوقف عليه المطلوب كون المطلوب مأمورا به<sup>(1)</sup>.

ولعل تطبيق مبدأ القصدية من الاعتبارات التداولية في تحديد ضروب الأمر، إضافة إلى الأفعال الكلامية المنبثقة عنه، وهي كما أوضح الشاطبي التقرير الأمر أو النهي، إنشاء المدح، إنشاء الذم. نلاحظ مما سبق ذكره، توفر التراث العربي على بعض أدوات التداولية، إذ تتمظهر بعض مقولاتها ومفاهيمها الأساسية في أجزاء من هذا التراث، فقد اهتم بالسياق، و مقصدية المتكلم، ومقبولية السامع، والعلاقة بينهم، و لا يحتاج التراث إلا إلى إعادة قراءة لتكشف أدوات أخرى متوفرة فيه، هي من مقولات هذا البعد في التحليل النصي. وقد كان لزاما على البحث مقارنة قضايا نحو النص في شكلها النظري الغربي لتتسنى الموازنة بين الفهمين العربي والغربي.

---

1- ينظر: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، سنة: 1994م، ج/2، صص: 133، 136، 137.

# الفصل الثالث

## مقاربة تنظيرية

### لقضايا نحو النص

1. مفهوم نحو النص وأسباب التوجه نحوه
  2. قضية السبك ضمن قضايا نحو النص
  3. الحبكة Cohérence: تمكين الدلالة
  4. القضايا التداولية في نحو النص
- قضية التناص

في مفهوم نحو النص وأسباب التوجه نحوه:

النص الأدبي ومنذ القدم مجال خصب للدراسة مازالت تتجاذبه أطراف عدة، بيد أن كل الدراسات التي اعتنت به كانت الجملة فيها هي المسؤولة عن وصف الظواهر اللغوية التركيبية والدلالية، وقد بدت هذه الدراسات المعتمدة على الجملة مضطربة يمسها من الفطور ما يجعلها تفقد قوامتها، لذا ظهرت أصوات مطالبة بمجاوزتها و نقل القوامه إلى مستوى أعلى هو التتابعات الكبرى التي تتصل بكلية النص وبنائه العام.

تمخض عن تلك المطالبات ظهور علم جديد استطاع تجاوز ذلك الخلل من خلال ضمّه لمقولات تتخطى في تحديدها نُحوم الجملة وهو علم لغة النص أو نحو النص أو لسانيات النص؛ الذي ظهر في أواخر الستينات و استوى فرعا من فروع الدراسة اللسانية، الأمر الذي شهد عليه تاريخ نشر الأعمال المؤسسة لهذا العلم بين سنة 1960 وسنة 1970 قبل أن يصبح النص مشغلا تُخصّص له المؤلفات والأعمال الجماعية الضخمة في السبعينات بالخصوص<sup>(1)</sup>. كلها دعت إلى تجاوز المنوال السابقة التي غاب عنها النص.

### مفهوم النص:

الملاحظ أن اللسانيات قد شكلت زحما معرفيا كثيفا أمسى الرافد المرجعي لجلّ الباحثين على اختلاف ميولاتهم واتجاهاتهم المعرفية، وما لبثت هذه اللسانيات أن تطورت تطورا سريعا فانتقلت من دراسة الجملة كمنجز بالإمكان إلى دراسة العبارة كمنجز بالفعل، ثم انتقلت من دائرة التركيب في النحو إلى دائرة التركيب في بناء النص<sup>(2)</sup>، وظلّت ميادينها تتسع حتى لامست علوما أخرى قد تبدو بعيدة عن ميدانها، من بين تمظهرات هذه التطورات اللاحقة باللسانيات ظهور علم جديد هو نحو النص، ينتمي إلى فروع علم اللغة لكنه لا يشبهها من ناحية نشأته وتطوره لأنه علم "لا ينتمي إلى بلد

\* - مشكلة المصطلح هي أكبر المشكلات في هذا العلم، للتعرف على أهم مصطلحاته. ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، الطبعة الأولى، مكتبة الزهراء، القاهرة، سنة: 2001م، ص: 31.

1 - ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"، ج/1، ص: 79.

2 - ينظر: منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الطبعة الثانية، مركز الإنماء الحضاري، سنة: 2002م، ص: 09.

أو يرتبط باتجاه أو عالم معين، هذا التنوع في مشارب هذا العلم أدى إلى عدم الإجماع على موضوعه وقواعده، لعلّ أساس هذا العنت راجع إلى تعدّد تعاريف النص\*، وتعدّد معاييره ومداخله ومنطلقاته، وتعدّد الأشكال والمواقع والغايات التي تتوافر فيه، ومن بعده نحو النص ذلك أنه علم متصل بالنص ويلحقه ما يلحق بالنص.

لن يكون التطرق لتعاريف وحدود النص كلها-طبعاً- لأنها متعددة بتعدد الدراسات التي أقيمت له، لكننا سنعرض لبعض التعاريف التي تتناسب وموضوع البحث، يمكننا البداية بمن يعرف النص من خلال مكوناته على ثلاثة أوجه ملفوظي، دلالي، نحوي<sup>(1)</sup>، أي هو مكوّن لغوي يشكل تتابعا متماسكا من خلال التماسك الدلالي والترابط النحوي والانسجام المعجمي إذا هو "بنية شاملة لمجموعة من البنى الداخلية"<sup>(2)</sup>، وقد عرفه هاليدي ورقية حسن\*\*، أنه "يشير إلى أية فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شرط أن تكون وحدة متكاملة"<sup>(3)</sup>. يعرفه العالم اللغوي كلاوس برينكر\*\*\* تعريفا مأخوذاً من ثلاث اتجاهات:

تعريف على أساس النظام النحوي، يظهر النص كتتابع متماسك من الجمل، يعتمد في هذا التعريف على علم اللغة البنوي والنحو التوليدي والتحويلي.

---

\* - أهم تعاريف النص، جمعها الدكتور حسن سعيد البحيري، في مؤلفه علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 101 إلى 118.

1 - ينظر: فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، سنة: 2003، ص: 38.

2 - عبد الله الغدامي، الخطبة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، سنة: 1985م، ص: 90.

\*\* - من رواد نحو النص ومؤسسيه، ألفا معا عدة مؤلفات في المجال منها "الانسجام في اللغة الانجليزية"، و"اللغة والسياق والنص"، وغيرهما. وقد اشتهر هاليدي اللساني البريطاني بما يعرف بعلم اللغة النظامي، ينظر: إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ص: 122.

3 - M.AK. Halliday and ruqaiya Hasan, cohesion in English, Longman, London, p: 01.

\*\*\* - علم من أعلام البحث في نحو النص، أسهم منذ السبعينات بعدد كبير من البحوث الرائدة في هذا العلم، ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، توطئة المترجم، ص: 11.

الاتجاه الثاني، يقوم على أساس نظرية التواصل يكون فيه النص فعل "لغوي" معقد ينشئ به المتكلم علاقة تواصلية مع السامع.

أما الاتجاه الثالث فهو تعريف مدمج يرى فيه كلاوس برينكر أن النص وحدة لغوية وتواصلية في الوقت نفسه<sup>(1)</sup>. ما يمكن اعتباره تعريفاً جامعاً للنص في إطار نحو النص، هو تعريف دي بوجراند ودرسلر إذ يذهباً أن النص "حدث تواصلية يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية، يزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير: 1. السبك (Cohesion) أو الربط النحوي، 2. الحبك (Coherence) أو التماسك الدلالي، 3. القصد (intentionality)، 4. القبول (Acceptability) وتعلق بموقف المتلقي من قبول النص، 5. الإخبارية أو الإعلام (Informativity)، توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه، 6. المقامية (Situationality)، تتعلق بمناسبة النص للموقف، 7. التناص (Intertextuality)"<sup>(2)</sup>، هذا التعريف هو الأنسب لمفهوم نحو النص لأنه يراعي كل قضاياها وخاصة مسألة الاتصال التي اعتبرت الجديد في الدراسات اللغوية والمميّز البارز لها. ستكون مفاهيم نحو النص مبنية على مبادئ هذا المفهوم للنص.

### مفهوم نحو النص:

نحو النص هو أحدث المناهج اللغوية، هدفه الوصول إلى ماهية النص وعوامل تشكيله، وهو ليس منهج لغوي فحسب بل هو ضام "لإجراءات تحليلية لغوية تنتمي إلى مناهج أخرى، وذلك للوصول إلى رؤية أكثر موضوعية؛ من هنا سيكون نحو النص المنهج الأكثر إفادة من المقولات السابقة عليه"<sup>(3)</sup>. أما مفهومه الرحب فهو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما

---

1 - ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية و المناهج، ترجمة: سعيد حسن البحيري، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة: 2005، صص: 22 - 29.  
2 - دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، صص: 103 - 104.  
3 - ينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، سنة: 2008، ص: 16.

وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة"<sup>(1)</sup>، ويقصد هنا بما وراء الجملة العلاقة بين الجمل ثم الفقرات وصولاً إلى النص وهو مطلب نحو النص.

وهذه بعض المفاهيم التي أمدها علماء نحو النص لهذا المصطلح:

ايزنبرج H. Isenberg: نظرية لبنية النص، على أساس قواعده تناص توليدية، ومعلومات إحالية يمكن أن يكون لأجزائها في حقيقة الأمر وظائف اتصالية.

فندرليش D. Winderlich: نظرية لأشكال نصية ممكنة ذات قواعد جزئية تداولية قوية.

يانوس بتوفي J.S. Petafi: نظرية تنصّ على وصف جوانب كلية للنصوص موضع الدرس اللغوي، ثم وضع حدود لنظريات ضمنية جزئية منفصلة انطلاقاً من الجوانب الكلية للنصوص<sup>(2)</sup>. الملاحظ أن كل التعاريف والمفاهيم السابقة تعتمد على صفة الكلية والشمولية في وصف الظواهر اللغوية إضافة إلى سمة الوظائف الاتصالية التي تعد أهم مميزات هذا التوجه الجديد في علم اللغة "الذي يضع مهمة للنص قد تتجاوز مهمته التقليدية، فلم تعد مهمته رصد المستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، بل صارت إضافة إلى ما سبق الاهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه وقواعده وخواصه وأثاره... بهذا يكون الغرض من تحليل النص قد اختلف حسب الحد الجديد للنص؛ إذ يذهب علماء نحو النص أنه حدث اتصالي"<sup>(3)</sup>.

ولعل هذا أهم مميزات هذا العلم التي تجعله مختلفاً عن علم اللغة التقليدي؛ إذ يصف نحو النص النصوص في مواقف اتصالية أو شبكات من العلاقات المتضافرة بالتالي سيدخل عناصر غير لغوية، الأمر الذي يجعله علماً شديداً السعة، فهو متعدد المناهج من ذلك اعتماده على البحوث التجريبية

1 - سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن الكتاب التذكاري لجامعة الكويت المقدم إلى الدكتور عبد السلام هارون، سنة: 1990م، ص: 407.

2 - ينظر: سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 77.

3 - سعيد حسن البحيري، المرجع نفسه، ص: 162.

والمنجزات النظرية لعلم النفس وميدان الذكاء الاصطناعي<sup>(1)</sup>. يمكن إدراج هذه العناصر غير اللغوية ضمن مبادئ البعد المميز لنحو النص وهو البعد التداولي.

يمكن القول إنَّ نحو النص عني بدراسة ظواهر نحو الجملة، غير أنه أضاف عليه تميّزا بدراسة ظواهر نصية مختلفة كعلاقات التماسك النحوي النصي وأبنية التطابق والتفاعل، والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف والجمل المفسرة والتحويل إلى الضمير والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها<sup>(2)</sup>، كل هذه الظواهر متعلقة بالنص ككل متكامل بما يحتويه من تناص، وقصد المتكلم في تعبيره عن الهدف، ومن قبول المتلقي والمقام الذي يقدم فيه النص، والإعلامية المتعلقة بتوقع معلومات معينة وهذه كلها معايير للنصية كما سبقت الإشارة، هذا الكلام لا يجعلنا نلغي نحو الجملة فهو مازال يقوم بدوره من خلال الحفاظ على المعنى الجملي الذي هو أساس للمعنى النصي، فلكل من النحويين حدود معينة وليس لأحدهما أن يلغي الآخر فهما فرعان لعلم واحد هو النحو<sup>(3)</sup>.

كنتيجة لكل ما قيل يمكننا اعتبار نحو النص علم حديث يضمّ في إطاره العديد من الإجراءات المنهجية اللغوية الأدبية، كعلم اللغة الوصفي بأقسامه المختلفة، المعجمية والصوتية والدلالية، وكذلك إجراءات نظرية السياق وتحليل الخطاب ونظريات التلقي والنظرية الإعلامية "فالحواص التركيبية والدلالية والاتصالية للنصوص هي المشكلة لصلب البحث النصي فلا يخرج منها البحث إلا ليعود إليها"<sup>(4)</sup>، كل ذلك يستفيد منه هذا العلم للوصول إلى هوية النص، تحديده، وإنتاجه، وتأويله، ودلالته، وتداوله أي سياقه، وظروفه، وفضاءاته أو معانيه البعدية والقبلية مع مراعاة ظروف المتلقي وثقافته<sup>(5)</sup>.

وحتى نزيد التعمق في مقولات نحو النص علينا تتبع بواكير وملايسات نشأته، فمن الأعمال التي يمكن عدّها أول بواكير نحو النص عمل العالم اللغوي (1887) H. Weil، الذي قام بوصف تعليق

1 - ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 248.

2 - ينظر: حسن سعيد البحيري، المرجع السابق، ص: 135.

3 - ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: 133.

4 - سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 05.

5 - ينظر: محمد مفتاح، دينامية النص، "تنظير وإنجاز"، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، سنة: 1990، ص: 30.

تتابع الألفاظ على تتابع الأفكار، غير أنه فصل هذا التتابع عن النحو\*، وهناك من يرجع ميلاد البحث في النص إلى رسالة الباحثة L/nye وهي باحثة أمريكية قدمت أطروحتها للدكتوراه سنة 1912م، حوى فصل من رسالتها التعلق والربط بين الجمل، تعرضت الباحثة فيه إلى العديد من المسائل بناءً على أسس نصية وحاولت اكتشاف كُنه العلاقات بين الجمل<sup>(1)</sup>، بيد أن الكثير من الباحثين يذهبون إلى أن البداية الحقيقية لنحو النص كانت منتصف القرن الماضي عندما قام العالم اللغوي (Z.Harris)، زيلخ هاريس بتقديم بحثه بعنوان "تحليل الخطاب" سنة 1952 اهتم فيه بالروابط بين النص وسياقه الاجتماعي<sup>(2)</sup>. من هنا بدأ التوجه نحو تحليل الخطاب وقد قدم هاريس منهجاً لتحليل الخطاب في حالته الكتابة والنطق محاولاً الوصول إلى بنية النص، بغرض تحقيق ذلك رأى هاريس أنه لا بد من تجاوز أمرين في الدراسات اللغوية:

**الأول:** قصر الدراسة على الجمل، **والثاني:** الفصل بين اللغة والموقف الاجتماعي<sup>(3)</sup>، غير أن عمل هاريس لم يكن يقصد الإخبار عن هذا العلم، بل كان عمله مجرد إكمال لأسس نظريته التوزيعية، وكانت تلك الإضافة إرهاباً لظهور علم نحو النص، والحقيقة أن أول من أسس هذا العلم ووضع أصوله هو الهولندي فانديك (Van dijk) الذي حاول "إقامة تصور متكامل حول نحو النص منذ سنة (1972) عندما ظهر كتابه (بعض مظاهر أنحاء النص)، وظل مستمراً إلى (1977) مع كتابه (النص والسياق) وحتى كتاباته الأخيرة، حيث بدأ ينطلق من تحليل سيكولساني للخطاب والنص رابطاً بين الدلالة والتداولية"<sup>(4)</sup>، وقد انطلق فانديك من النص نفسه لاستخراج القوانين التي تحدد معناه الكلي متجاوزاً المعاني الجزئية، بعد أن عرفت حقائق كثيرة لم يكن من الممكن أن توصف

\* - هذا التتابع كان نواة أساسية في فكر الجرجاني غير أنه لم يفصله عن النحو كما فعل Weil، وهو أساس معاني النحو عنده.

- 1 - ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص: 76، و سعيد حسن البحيري، المرجع السابق، ص: 18.
- 2 - ينظر: جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، ص: 19.
- 3 - ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص: 65.
- 4 - سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، (د.ت.)، ص: 14.



أو تفسّر بشكل مناسب في إطار نحو الجملة، وانطلاقاً من أن اللغة تردُّ أساساً في شكل نصوص متضمّنة في مواقف اتصال محددة<sup>(1)</sup>. من هنا بدأت انطلاقة فانديك لوضع ما يسمى بنحو النص.

#### أسباب التوجه نحو نحو النص:

يمكننا تقسيم الأسباب إلى قسمين، الأول متعلق بأهمية النص وأولويته بالدراسة، والثاني متعلق ببداية الإحساس بأهمية الوظيفة الاجتماعية.

#### أ- المتعلقة بأولوية النص:

1. ضيق مجال الدراسة اللسانية حيث أصبحت هناك رغبة في الخروج من حيز الجملة الضيق إلى فضاء النص الرحب، فبعدما كانت الدراسات اللسانية تقف عند حدود الجملة مقصية الدلالة والمعنى والسياق، أصبحت متوجهة أكثر إلى "إقحام الخطاب والنص وبعض المعطيات التداولية وربط الصلة بين ميادين وعلوم أخرى لها صلة بالمؤسسة اللغوية كالتاريخ، وعلم النفس، وعلم الاجتماع والنقد الأدبي"<sup>(2)</sup>. فالكثير من الظواهر لم تفسّر في إطار الجملة تفسيراً كافياً، لذا ظهرت الضرورة إلى الحكم عن الظواهر في إطار وحدة أكبر من الجملة هي النص الذي يعتمد في تحليله على قواعد جديدة منطقية ودلالية وتركيبية وتصورات لمعايير التماسك والترابط والانسجام<sup>(3)</sup>.

2. ظهور مذاهب نقدية جديدة تركز على النص كبنية كليّة في ظل الأزمة التي تعرضت لها هذه المذاهب، التي تعتبر اللغة غاية الأدب ووسيلته، ولأن عماد النقد والأدب النصوص لا الجمل وفنون الكلام لا الأشكال النظرية المجردة لزم على النقاد وأهل الأدب توسيع الدراسة اللغوية لتشمل النص والخطاب، وتففز على حدود الجملة وهذا كان سبباً لتزاوج اللغة والأدب، إذ بارك نحو النص

1 - ينظر: سعيد حسن البحيري، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة: 2008، ص: 262.

2 - محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب، ص: 80.

3 - سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص: 495.

هذا التزاوج، لأن منظري الأدب طمحووا إلى بناء نظرية للأدب وعلم الأدب واعتمدوا على المنوات اللغوية، وكان لزاما عليهم اعتماد النصوص لا الجمل<sup>(1)</sup>.

3. محاولة إيجاد الملائمة بين البناء النظري وتحققه في الواقع، ومن شروط هذه الملائمة، الاعتماد على التأويل الدلالي المناسب وهو ما أهمله نحو الجملة، أدت تلك المحاولة إلى الاهتمام بالنص "وبعد الاستدلال على شرعية نحو النص لتفادي ما ساد في النظريات اللسانية في أواسط الستينات من الترة إلى الحصر والإقصاء، فإنهم قد اعتنوا بمختلف القضايا التي يفضي إليها اعتبار النص موضوع علم مستقل أو جزءا من موضوع الدراسة اللسانية كالحديث عن الأسباب الداعية للاهتمام بهذا الموضوع وتحديد هوية النص وضبط طبيعته وتكوّنه وخصائصه"<sup>(2)</sup>.

### ب- الأسباب المتعلقة بالإحساس بضرورة الوظيفة الاجتماعية:

تعلق هذا الإحساس أيضا بالضرورة إلى الدور التواصلية الذي يمثل جوهر العمليات الاجتماعية، إذ أدرك علماء اللسان أن اجترأ الجمل وإبعادها عن سياقها الاجتماعي يجعلها جافة جامدة، فجاء نحو النص ليحتضن الوظيفة الاجتماعية والدور التواصلية من خلال ربط النص بسياقه التواصلية<sup>(3)</sup>، ولعل أهم من اهتم بالسياق ودوره مدرسة لندن التي "عرفت بما يسمى المنهج السياقي contextual approach أو المنهج العلمي Operational approach"

وكان زعيم هذا الاتجاه (Firth)، فيرث الذي وضع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة"<sup>(4)</sup>، جاء بعد ذلك نحو النص متبنيًا هذا المذهب ومؤكدا عليه، ومن أسباب التوجه إلى نحو النص أيضا المعية أهدافه التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

أهداف نحو النص: سُنظر إلى وظائف نحو النص من منظورين:

1 - ينظر: محمد الشاوش، المرجع السابق، ص: 82.

2 - محمد الشاوش، المرجع السابق، ص: 82.

3 - ينظر: احمد عفيفي، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: 40.

4 - أحمد مختار عمر، (د.ط)، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، (د.ت.)، ص: 68.

أ- الوصف النصي T/ Description<sup>(1)</sup> وهو وصف الشروط والقواعد العامة لتكوين النص وصفا منظما، وتوضيح أهمية هذه القواعد لتلقي النص<sup>(2)</sup>، وكذلك وصف كيفية ارتباط أول النص بآخره؛ أي البحث عن الخيط الذي يربط بين كلماته وجملته وفقراته في كل لا يتجزأ<sup>(3)</sup>، والبحث عن "أوجه التماسك بين وحداته والكشف عن علاقات الربط النحوي، والترابط الدلالي والعلاقات الإحالية و الإشارية وغيرها من العلاقات"<sup>(4)</sup>، كالعلاقات التي تحكم حركة الانتقال من المستوى العام إلى مستويات خاصة وكذا العلاقة العكسية، ويكون الوصف لجوانب لغوية نسقيه وعناصر في محيط النص أي نحو النص، و مورفولوجيا النص\*، وفونولوجيا النص\*\* وصوتياته، إذا هذه الوظيفة خاصة بوصف كل العمليات داخل النص، من وصف لشكل النص وموضوعاته، ووصف لأدواته وروابطه، ولا يمكننا المرور إلى الوظيفة الثانية لنحو النص وهدفه الأساس وهي التحليل النصي دون المرور على هذه الوظيفة.

ب- التحليل النصي T. Analysis<sup>(5)</sup>، وهي وظيفة تحليل النص داخل التفاعل الاجتماعي والتواصلية بمراعاة ظروف الكاتب والمتلقي معا<sup>(6)</sup>، هذا الهدف لنحو النص يضطلع بالكشف عن فاعلية ما قام به الهدف السابق بوصفه؛ أي وصف كل العمليات والإجراءات داخل النص لتحقيق تماسكه، فيقوم التحليل بإيضاح ورصد كل الروابط مع الاهتمام بالسياق والتواصل، وقد قام الباحثان هاليدي ورفيقه حسن بتقديم تقسيم لمستويات التحليل إلى<sup>(7)</sup>:

1 - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج/1، ص: 55.

2 - كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص، ترجمة: سعيد حسن البحيري، ص: 13.

3 - ينظر: أحمد عفيفي، المرجع السابق، ص: 97.

4 - سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص: 85.

\* - مورفولوجيا النص: هي رصد قضايا تغيرات المورفيمات.

\*\* - فونولوجيا النص، تهتم بمسائل التماسك الفونولوجي للنص ووسائله كالفافية والوزن والتنغيم. ينظر: سعيد حسن

البحيري، علم لغة النص، ص: 149.

5 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي، بين النظرية والتطبيق، ص: 55.

6 - ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: 51.

دلالي (The semantic (Meaning)،

ومعجمي/النحوي المعجمي (الأشكال) (The lexicogrammatical (forms)

والصوتي: the phonological.

وتدخل تحت هذه المستويات عدة قضايا، كالإحالة، والحذف، والتكرار وغيرها من قضايا يتم التعرض لها لاحقا.

ما يمكن ملاحظته على عمل الباحثين أنهما لم يتطرقا إلى المستوى التداولي الذي يميّز البحث النصي، وقصرا التحليل على مستوى بنية النص فقط، كما أهملوا الدور الاتصالي أيضا. ففي علم لغة النص لا يمكن دراسة النص وتحليله من خلال وصفه بأنه وحدات كبرى أو جمل متتالية إلا إذا وجدت خاصيته الأولى وهي كونه واردا في الاتصال<sup>(1)</sup>.

إن الحاجة ملحة إلى توضيح مفاهيم نحو النص ورسم حدوده حتى يكون علما قائما بذاته، وذلك برصد مصطلحاته ومعرفة كل أدواته الإجرائية وحصرها في قضايا معينة، تميّزه عن نحو الجملة الذي اهتم بالأبنية اللغوية وأهمل الجوانب الدلالية والمقامية وهذه القضايا "لا يمكن أن توصف إلا في إطار لسانيات النص"<sup>(2)</sup>، فما يجب على هذا العلم دراسته هو علاقات معقدة بين مكونات الصياغة اللغوية النصية من شكل ومضمون وامتداد حتى إلى ما وراء اللغة أيضا، إذ تركز البحوث اللغوية النصية في السنوات الأخيرة على كشف الشروط النحوية التركيبية لتماسك النصوص بوجه خاص، وعلى وصف علاقات دلالية في النص على أساس سلاسل أو تتابعات بعناصر معجمية متكافئة دلاليا، وعلى شروط منطقية دلالية بوجه عام لتماسك النص أيضا.

ويمثل تناولا آخر لوصف النصوص اللغوية تلك الأعمال التي تربط النص عضويا بالمقصد التواصلية للمتكلم وكذلك بالشروط الموقفية للنشاط اللغوي التواصلية<sup>(3)</sup>، وبذلك سيكون تحديد

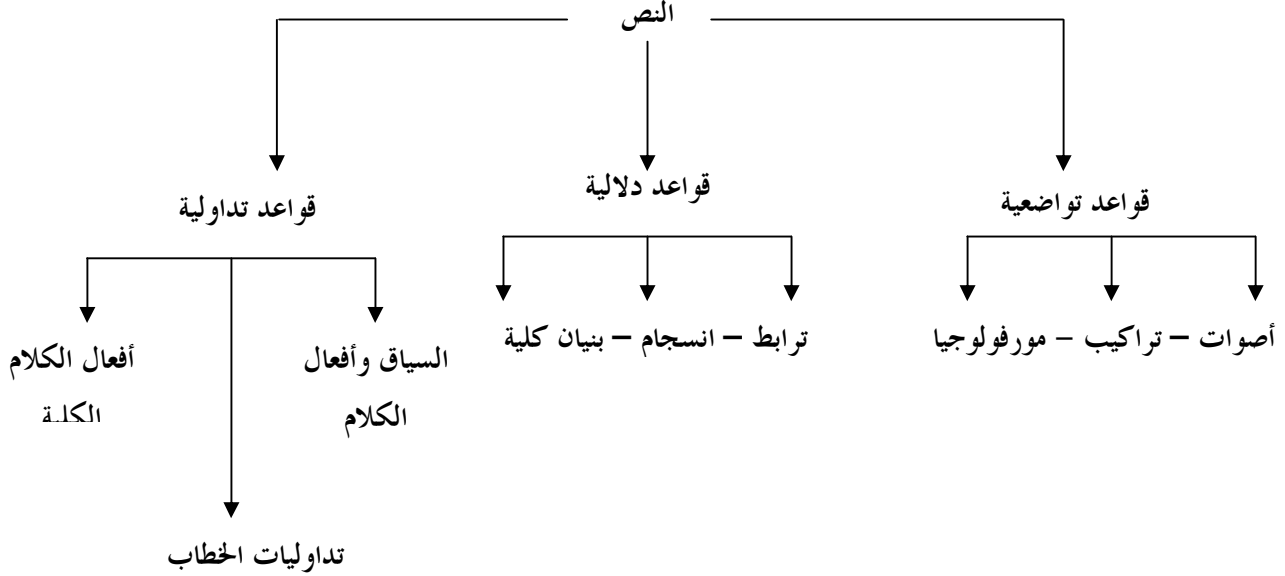
1 - ينظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، صص: 35، 36.

2 - رياض مسيس، لسانيات النص، حول بعض المفاهيم، المرجعيات والأبعاد، مجلة المبرز، تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة، كلية الآداب بوزريعة، الجزائر، سنة: 2002م، ص: 161.

3 - ينظر: سعيد حسن البحيري، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ص: 264.

قضايا نحو النص حسب ثلاثة فروع: قضايا تركيبية، وقضايا دلالية، وقضايا تداولية تواصلية، ذلك استجابة للمعايير السبعة للنصية التي اقترحها دي بوجراندي ودرسلر، تعتمد تلك المعايير على عوامل لغوية و نفسية و اجتماعية

الخطاطة التالية<sup>(1)</sup>: تسجلي التوجه الحقيقي لنحو النص:



تجمع الخطاطة قضايا نحو النص الهامة، غير أن الباحثة ستستعمل مصطلح سبك بدل قواعد دلالية، وستكون البداية من القضايا التركيبية لدراسات نحو النص وهي السبك.

### قضية السبك ضمن قضايا نحو النص:

يتعامل نحو النص مع النص بصفته بنية كلية، لذلك سيكون تحليل النصوص منطلقا من تحليل الخواص التي تؤدي إلى التماسك النصي، من هنا تظهر الوظيفة الأساسية للسبك النصي وهو ما يتعلق بالطرق التي تتربط بها المكونات في سطح النص، فالنص وحدة دلالية ترتبط أجزاءها معا بواسطة أدوات ربط صريحة وظاهرة تبين كيفية تماسك أجزائه، وهي أدوات نحوية، ومعجمية، تجعل من السبك من أهم المعايير النصية التي تضمن وضوح دلالة النص، وتضمن استمرارية الوقائع داخله؛

عندما يربط مثلا الجملة بما يسبقها أو ما يلحقها "بذلك سيكون للسبك دورا خاصا في خلق النص"<sup>(1)</sup>. ولعل أهم من تعرض لمسائل السبك بشكل واضح هاليدي ورقية حسن في مؤلفهما الانسجام في الانجليزية.

لم ينفرد هاليدي وحسن بدراسة وسائل السبك ولكن دراستهما كانت الأوضح في هذا المجال. وأدوات السبك حسبهما خمسة وهي: الإحالة Réference، الاستبدال: Substitution، الحذف: Ellipsis، العطف/الوصل: Conjunction، والتماسك المعجمي: Textical cohesion<sup>(2)</sup>.

### أولا: الإحالة:

وهي وجود عناصر لا تكفي بذاتها في التأويل بل تعود إلى ما تشير إليه من أجل إكمال التأويل، وتسمى عناصر محيلة تتمثل في الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة و"التماسك عن طريق الإحالة يقع عند استرجاع المعنى أو إدخال الشيء في الخطاب مرة ثانية"<sup>(3)</sup>، والإحالة أنواع:

### 1-إحالة خارج النص Escophora: تحيل عنصر النص إلى شيء خارج النص وتسمى

مقاميه.

### 2-إحالة داخل النص Endophora: وتسمى نصية وهي الأخرى نوعان:

- قبلية: يشير فيها العنصر إلى عنصر آخر مقدم عليه.

- بعدية: يشير فيها العنصر إلى عنصر آخر يلحقه<sup>(4)</sup>.

### فاعلية الإحالة في تحقيق سبك النص:

الإحالة من أهم الوسائل المحققة للنصية، إذ تختص بالإشارة إلى ما سبق والتعويض عنه بوسائل أخرى تحسبا للتكرار، بذلك تكون محققة للاقتصاد اللغوي عندما تختصر هذه الوسائل الإحالية العناصر الإشارية، وتجنب مستعملها إعادتها، الأمر الذي تيسره "وظيفة الذاكرة البشرية التي يمكنها أن

1 - Halliday and, Hasan, cohesion in English, p:299..

2 - Ibid, p:40.

3 - Ibid, p: 31.

4 - Halliday and, Hasan, cohesion in English, p: 31.

تخترق آثار الألفاظ السابقة وتقرن بينها وبين العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها، فتحللها بنجاح دون ضمير بالتواصل"<sup>(1)</sup>. ذلك يقيم شبكة من العلاقات بين العناصر النص المتباعدة في فضاء النص وشبكة أخرى في ذهن المتلقي، و من أهم عناصر الإحالة المشيرة إلى الخارج ضمير المتكلم، وضمير المخاطب، والاسم العلم؛ حيث يعود ضمير المتكلم في الغالب إلى المرسل أما ضمير المخاطب فيعود إلى المستقبل وقد يعود الاسم العلم إلى المخاطب أو إلى مرجع إحالي آخر يفهم من السياق. أما العناصر الإشارية فقد تشير إلى المقام وقد تشير إلى داخل النص"<sup>(2)</sup>، وبذلك تسهم الإحالة في تماسك النص وسبكه، ولا يكفي التماسك الداخلي فالسياق ضروري أيضا، والإحالة المقامية عنصر رابط في غاية الأهمية بين السياق والنص.

ومن بين الوسائل التي تساهم بها الإحالة في سبك النص الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة.

تنقسم الضمائر إلى: وجودية مثل أنا، أنت، نحن، هم، هن، هو... إلخ، في الإنجليزية (They, we, you, he, I)

وضمائر ملكية: كتابك، كتابهم، كتابهن... إلخ. وفي الإنجليزية (There, ours, mine, yours)

إحالة خارجية عامة: من أدواتها (نحن، أنت، هم، هي) في الإنجليزية (THEY, YOU, WE) (SHE) تستخدم كإحالة خارجية عامة عندما يكون المرجع متصلا بسياق الموقف مثل: كيف حالنا اليوم؟ من الطبيب إلى المريض<sup>(3)</sup>.

أما مساهمة الإحالة في السبك بأسماء الإشارة فبعناصر دالة على القرب (This, These) وعناصر دالة على البعد (That, Those).

وعناصر دالة على مفرد (This That) و عناصر دالة على الجمع (These, those).

1 - Ibid, p:37.

وعزة الشبل، علم لغة النص، ص: 120.

2 - جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، ص: 350.

3- Halliday and Hasan, cohesion in English p,p:52,53.

وعناصر دالة على مكان (here, there) و عناصر دالة على زمان (Now, then)<sup>(1)</sup>.

نصل إلى أدوات المقارنة: يفرق هاليدي بين نوعين من المقارنة:

مقارنة عامة: تقع بين محوري التشابه والاختلاف.

مثال1: أنها نفس القطة التي رأيناها أمس.

مثال2: أنها قطة مشابهة لـ (مختلفة عن) تلك التي رأيناها أمس.

مقارنة خاصة: هي تعبير عن قابلية المقارنة بين شيئين في صفة معينة سواء من حيث الكم أو الكيف.

مثال: إن الكلب الصغير ينبح بطريقة مزعجة مثل ذلك الكلب الكبير<sup>(2)</sup>.

بهذا ستكون الإحالة من أهم عناصر السبك النصي بكل أنواعها، تحتل مواقع مضيئة في كل نص مهما كانت لغته ومهما كان نوعه. يمكننا تركيب ما قيل حول فاعلية الإحالة في كونها تسهم في إتمام وحدة النص وقد ضرب المؤلفان مثالا وهو أشهر الأمثلة لديهما.

Wash and core six cooking apples put them into a fire proof dish<sup>(3)</sup>

اغسل وانزع نوى ست تفاحات، ضعها في صحن مقاوم للحرارة.

الضمير "ها" في الشق الثاني من الجملة السابقة يحيل قبلها إلى (الست تفاحات) في الشق الأول من الجملة، أدت الهاء وظيفية إحالية بالتالي حققت اتساقا بين الجملتين، أي حققت شرطا نصيا، ولتحقيق هذا الشرط يجب توفر عنصرين محيل ومحال إليه، لا يتحقق الشرط بغياب أحدهما<sup>(4)</sup>.

ثانيا: الاستبدال:

1- Ibid, p.p: 57-60.

2- Ibid ,p:p: 78 – 82.

3- Ibid, p: 02.



عملية تتم داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر<sup>(1)</sup>، وهو من أبرز وسائل السبك حسب هالدي وحسن التي تتم على المستوى النحوي المعجمي بخلاف الإحالة التي تتم في المستوى الدلالي، ويكون الاستبدال في معظم حالاته قبلها أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم<sup>(2)</sup>، وذلك يورثه دورا هاما في خلق سبك النص.

ينقسم الاستبدال إلى:

**1- استبدال اسمي:** يتم باستعمال عناصر مثل (آخر، آخرين، نفس) مثال: My axe is too blunt I must get it a sharper one.<sup>(3)</sup> فأسي جد مثلومة عليّ اقتناء أخرى حادة. تم استبدال كلمة فأس بعنصر (أخرى).

**2- استبدال فعلي:** يمثله استعمال الفعل (يفعل) في الإنجليزية (to do) مثال: هل تظن الطالب المكافح ينال حقه؟ أظنه يفعل<sup>(4)</sup>. تم استبدال جملة (ينال حقه) بالفعل (يفعل).

**3- استبدال قولي:** تستعمل فيه أدوات مثل (كذلك، أيضا، لا، نعم). مثال: حضر محمد الدرس باكرا وعبد الله كذلك. نابت كلمة (كذلك) عن (حضر محمد)<sup>(5)</sup>.

### فاعلية الاستبدال في سبك النص:

قيمة الاستبدال في الربط بين أجزاء النص تكمن "في العلاقة بين العنصرين المستبدل والمستبدل منه؛ وهي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص، وبين عنصر لاحق فيه؛ من ثم يمكن الحديث عن

1- Halliday and Hasan, cohesion in English, p: 88.

2 - ينظر: محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 14.

3- Ibid, p: 89.

4 - أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: 124.

5 - جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، ص: 354.

الاستمرارية (أي وجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة) في مثال "My axe is too blunt, I must get a sharper one".

إذا أخذنا العنصر (One) كمستبدل للعنصر "فأس" سنجد أن الفأس مستمرة في (One) وإن كانت مختلفة عن الأولى، كون الأولى جد مثلومة بينما الثانية حادة، وهذا ما يسميه الباحثان "الاستمرار في محيط التقابل"<sup>(1)</sup>.

ومن المؤكدات لفاعلية الاستبدال في خلق السبك، استحالة فهم ما يعنيه العناصر (One, do, ) (So) كعناصر مستبدلة إلا بالعود إلى ما هي متعلقة به قبلها؛ هذا ما يسميه هاليدي وحسن معنى الاستبدال؛ إذ ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق، أي المعلومات التي تُمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي والتي توجد في مكان آخر في النص.

### ثالثا: الحذف:

هو "عدول المتكلم عن ذكر عنصر أو أكثر من الكلام اختصارا"<sup>(2)</sup>، أو حذف جزء من الجملة الثانية يدل عليه دليل من الجملة الأولى كقولك: أين رأيت السيارة؟ في الشارع. وهو مفهوم شامل يُظهر اتساع خاصية الحذف، حذف هنا (رأيتها)<sup>(3)</sup>. ويعرفه دي بوجراند أنه "استبعاد العبارة السطحية لمحتواها المفهومي، أن يقوم في الذهن أو أن يوسّع أو أن يعدّل بواسطة العبارة الناقصة"<sup>(4)</sup>.

ما نلاحظه هو أن علاقة الحذف علاقة قبلية لوجود العنصر المقترض من النص السابق، أي ما يحذف يكون قبلها، وما نلاحظه أيضا أن الحذف لا يختلف عن الاستبدال؛ فالحذف ما هو إلا استبدال بالصفرة؛ أي أن علاقة الاستبدال تترك أثرا وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال وظهوره، أما

1 - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 20.

2 - رفيق حمودة، الوصفية "مفهومها في النظريات اللسانية"، الطبعة الأولى، دار محمد علي للنشر، صفاقس، سنة: 2004، ص: 647.

3 - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج/2، ص: 191.

4 - دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 301.

الحذف فلا يُخلف أثرا. لأنّ المستبدل فيه يترك إشارة تدل المتلقي إلى العنصر المُقترَض، الأمر الذي يُمكنه من ملء الفراغ الذي يخلقه الاستبدال، أما الحذف فلا يحلّ محلّ المحذوف أيّ شيء.

يقسم هاليدي ورقية حسن الحذف إلى:

**حذف اسمي:** حذف اسم داخل المركب الاسمي مثال: Which hat will you wear? This is the best، أيّ قبعة تلبس؟ هذه هي الأحسن، هنا حذف الاسم (قبعة).

**حذف فعلي:** حذف يقع داخل المركب الفعلي، مثال: Have you swimming? yes I have. هل كنت تسبح؟ نعم فعلت.

**حذف داخل شبه الجملة:** مثال: How much does it cost? Five pounds، كم ثمنه؟ خمسة جنيهات<sup>(1)</sup>.

### فاعلية الحذف في إحداث السبك النصي:

يلجأ المتكلم إلى الحذف ليخلق جماليات في النص، بشرط أن يكون لهذا الحذف "دليل على المحذوف"<sup>(2)</sup>، يتمظهر في شكل قرينة حالية أو عقلية، وعدم وجود هذه القرينة سيُعرضُ المعنى إلى اللبس والغموض، في حين يضمن وجودها استمرارية النص بالتالي حسن سبكه. ويقوم التماسك في تراكيب الحذف على أساسين المرجعية والتكرار<sup>(3)</sup>، المرجعية: وهي علاقة بين المذكور والمحذوف الدال عليه، أما التكرار: فهو دليل على المحذوف مقاليا؛ أي تكرار اللفظ أو المعنى للإشارة على علاقة المحذوف بالمذكور.

كما يسهم الحذف في إعمال ذهن المتلقي؛ وذلك ما يقصده دي بوجراند في قوله "...أن يقوم في الذهن..."<sup>(4)</sup>، حيث يستعمل المتلقي ذاكرته ومعارفه السابقة للتعرف على علاقة المذكور

1 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 22.

2 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج/02، ص: 207.

3 - عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 116.

4 - دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 301.

بالحذف. يعتمد نحو النص على هذا العنصر و يدخل السياق والمقام في أساسياته ؛ حيث تكون الجمل المحذوفة أساسا للربط بين أجزاء النص وإكمال محتواه الدلالي.

#### رابعا: الوصل:

تختلف هذه الوسيلة من وسائل السبك عما سبقها من وسائل، فلا تشير إلى عنصر سابق، ولا لاحق، ولا إلى محذوف، بل هي "تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"<sup>(1)</sup> فالنص يحتاج إلى روابط تصل أجزاءه حتى يكون كلا شاملا لذلك يتفرع الوصل أو الربط\* إلى: إضافي، وعكسي، وسيبي، وزمني؛ يتم الوصل الإضافي بواسطة الأداة (and) و (or) أما العكسي فيتم بواسطة أدوات مثل (But, yet) وغيرهما مثل تعابير (Nerverthelles, however). أما الوصل السبي فهو الجامع لجمليتين أو أكثر يعبر عنه بعناصر مثل (Therefore, hence, this, so) ويأتي ضمن علاقات كالنتيجة، والسبب، والشرط، أما الوصل الزمني فهو علاقة بين أطروحتي جمليتين متباعديتين زمنيا<sup>(2)</sup>.

#### فاعلية الوصل:

لئن ظهرت أنواع الوصل السابقة متساوية الوظائف وهي الربط بين المتواليات المشكلة للنص، فإن معانيها داخل النص تكون مختلفة؛ فالوصل يعني معلومات مضافة إلى معلومات سابقة، أو نتيجة لمعلومات سابقة المهم أن "وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة"<sup>(3)</sup>، ذلك ما يجعله عنصراً سبكاً واتساقاً أساسياً داخل النص، إذ نجده وهو إضافي يربط الأشياء التي لها نفس الحالة في النص، وذلك يكون بواسطة أدوات (الواو، أيضا، كذلك، أم) ويكون

1 - Halliday and Hassan, cohesion in English, p:227.

\* - يستعمل مصطلح الربط كترديد للوصل، هذا ما درجت عليه معظم بحوث نحو النص، ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 23، وينظر: عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 111.

2 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، صص: 23 ، 24.

3 - محمد خطابي، المرجع نفسه، ص: 24.

اختيار الكاتب أو المتكلم لإحدى هذه الوسائل متوقف على اختيار بلاغي؛ فالواو تفيد معنى الاشتراك (أو) تفيد معنى البديل<sup>(1)</sup>.

أما الربط الزمني ففيه تربط العلاقة الزمنية بين الأحداث من خلال علاقة التابع الزمني؛ أي التابع في محتوى ما قيل باستعمال الأدوات (ثم، بعد) وعبارات مثل (وبعد ذلك، على نحو تال، في ذات الوقت، حالا) كل هذه الأدوات تشكل البعد الزمني في عملية الاتصال<sup>(2)</sup>. أما الوصل السببي، فأدواته (لهذا، بهذا، لذلك، لأن) و تعابيره (نتيجة لـ. سببا لـ).

مثال: هي لم تكن أبدا سعيدة، لذلك رحلت<sup>(3)</sup>.

ساهم هذا الوصل بتوضيح سبب الرحيل. وهكذا يسهم الوصل في سبك النص.

### خامسا: الاتساق المعجمي:

هذا النوع من أنواع السبك يتم بواسطة المفردات المعجمية التي تكون في النص إما متكررة أو متضامة، على عكس ما سبق من الأنواع التي تتم بواسطة النحو بأدوات أو بطريقة نحوية/معجمية حذفاً أو استبدالاً، أو بطريقة دلالية كإحالة، أما الاتساق المعجمي فما هو إلا ربط إحالي يتم على مستوى المعجم<sup>(4)</sup>، يحدث هذا الربط بواسطة استمرارية المعنى مما يعطي النص صفة النصية<sup>(5)</sup>. ويتحقق بواسطة وسيلتين هما التكرار والتضام.

**التكرار:** شكل من أشكال الاتساق، وهو إعادة الكلمة أو الكلمات مرة أخرى داخل النص نفسه؛ ما يمثل ربطاً دلالياً، وهو أسلوب يحقق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص، ويشترط لتحقيق هذه الوظيفة شرط "أساسي هو أن يكون للعنصر المكرر نسبة ورود عالية في النص، تميزه عن نظائره"<sup>(6)</sup>، نجد للتكرار أنواعاً:

1- Ibid, p: 246.

2 - ينظر: عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 112.

3 - Halliday and Hassan, cohesion in English, p: 246.

4- Ibid, p. 318.

5-,Ibid, p: 320.

6 - ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج/02، ص: 22.

**أولاً: الترادف:** هو وجود كلمتين لهما نفس المعنى تقريبا، ما يميّزه عن التكرار ابتعاده عن الرتابة مع إضافته تنوعا على المحتوى<sup>(1)</sup>، يلجأ الكاتب إليه لتأكيد فكرة ما أو إثباتها أو الحثّ عليها<sup>(2)</sup>، وهو نوع يختص بإعادة المعنى مع تغير اللفظ ذلك يضيفي جمالية مميزة للنص، بإظهار قدرة الكاتب على رصف الكلمات التي لها نفس المعنى.

**ثانياً: الاسم العام:** و "هو مجموعة من الكلمات لها إحالة عامة"<sup>(3)</sup>، يقسمه هاليدي وحسن إلى: اسم دال على إنسان (الناس، الشخص، الرجل، المرأة)، واسم دال على مكان (مكان، موضع، ناحية، اتجاه)، واسم دال على حقيقة، مثل (سؤال، فكرة، شيء، أمر، موضوع)<sup>(4)</sup>، وكلها أسماء ذات معنى عام جدا.

**ثالثاً: الكلمة الشاملة:** ويقصد بها أن إحدى الكلمات تشير إلى فئة، والكلمة الأخرى تشير إلى عنصر في هذه الفئة مثل (لحم، لحم بقرة) (البرازيل، دولة)، حيث أن البرازيل مثال محدد لكلمة أكبر عمقا هي (الدولة) وهي الكلمة الشاملة<sup>(5)</sup>.

**2. التضام:** هو علاقة معجمية تقوم على التلازم بين الكلمات في سياق ما<sup>(6)</sup>، أي توارد كلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك<sup>(7)</sup>. وله هو الآخر أنواعا تسهم في سبك النص هي:

1 - ينظر: أحمد حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 109.

2 - ينظر: زتيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمة: سعيد حسن البحيري، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة: 2003، ص: 138.

3 - عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 108.

4 - Halliday and Hassan, cohesion in English, p, p: 275- 276 .

5 - ينظر: عزة الشبل، المرجع السابق، ص: 108.

6 - ينظر: جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، ص: 366.

7 - ينظر: عزة الشبل، المرجع السابق، ص: 108.

أولاً: التضاد: "معنى هذا العنصر قريب من النقيض عند المناطقة، ويتفق مع قولهم أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان"<sup>(1)</sup>، سواءً كان هذا التضاد كامل مثل: ولد/بنت أو كان بينهما تخالف أو تناقض مثل: أحب/أكره، أو كان بينهما تعاكس مثل: أمر/أطاع<sup>(2)</sup>.

ثانياً: علاقة الجزء بالكل: كعلاقة اليد بالجسم، أو علاقة غطاء الصندوق بالصندوق.

ثالثاً: علاقة الجزء بالجزء: مثل الفم والذقن، والأنف والعين<sup>(3)</sup>.

رابعاً: الارتباط بموضوع معين: يربط هذا العنصر بين عناصر معجمية نتيجة للظهور في سياقات متشابهة مثل (ماركس، التغيير الاجتماعي، صراع الطبقة الاقتصادية)، أو (الطبيب، المريض)، فكل عنصرين ينتميان إلى كلمة شاملة لهما. مثل: (منضدة، كرسي)؛ كلمتان تشتمل عليهما كلمة أثاث<sup>(4)</sup>.

#### فاعلية الاتساق المعجمي في إحداث السبك النصي:

هذا النوع من الروابط المهمة في تحقيق سبك النص؛ ذلك بإحداثه هو الآخر استمرارية في المعنى، الذي يعطي النص صفة النصية، عندما تتضافر العناصر المعجمية على نحو يجعلها مفسرة لبعضها بواسطة الطرق التي سبق ذكرها؛ ذلك ما يسهم في الفهم المتواصل للنص عند سماعه أو قراءته<sup>(5)</sup>، فالتكرار مثلاً زيادة على أدائه وظيفة دلالية معينة يؤدي إلى تحقيق السبك النصي وذلك عن طريق امتداد عنصر من بداية النص حتى آخره؛ هذا الامتداد يربط بين عناصر النص بمساعدة عوامل أخرى للسبك<sup>(6)</sup>، وفاعلية التكرار تظهر كيف لا كما؛ فكلما كانت العناصر متناسبة أكثر كان إحداثه (التكرار) لتماسك النص وجوده سبكه أكبر، إضافة إلى إسهامه في تماسك دلالة النص عندما يؤكد

1 - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: 102.

2 - ينظر: جمعان عبد الكريم، المرجع السابق، ص: 366. وأحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص: 103.

3 - ينظر: عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 109. ومحمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 25.

4 - ينظر: محمد خطابي، المرجع نفسه، ص: 05.

5 - Halliday and Hassan, cohesion in English, p: 285.

6 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج/02، ص: 22.

على "محتوى معين أو تكرار الكلمات المفاتيح"<sup>(1)</sup>، فإنه يحدد بذلك القضية الأساسية للنص مما يسهل فهمه، مثال:

كان هناك عش، عش الغراب Mushroom، كبير بالقرب منها، وفي نفس حجمها، حيث نظرت تحت، ظنت أنها ترى أعلاه، وقفت على أطراف أصابعها لطول حافة عش الغراب Mushroom<sup>(2)</sup>. تكررت لفظة Mushroom بغرض إحداث سبك في النص، ومما يحدثه الترادف من سبك، مثل:

قام السيد بينفري بسرعة وركض، وكان يتخطى الحواجز، وأحواض الورد بكل رشاقة أمسك بالسيف ولوح به وألقاه، فبرق البتار العظيم في ضوء القمر<sup>(3)</sup>.

البتار والسيف مترادفان أورتا النص نمطا عذبا من السبك النصي.

تلك هي أهمّ وسائل الاتساق التي تجعل النصوص مسبوكة من وجهة نظر الباحثين هاليدي ورقية حسن، ما يؤخذ عليهما هو السكوت عن دور المتلقي، فكل الوسائل المذكورة جلية في النص، ويؤخذ عليهما أيضا اهتمامهما بأدوات التماسك الشكلي فقط؛ عندما ركزا على البنى السطحية في تعريفهما للتماسك، ولم يصفيا البنية الدلالية للنص، لذلك جاء العالم الهولندي "فاندايك" مهتما بدراسة هذه البنية للنصوص، ووسائل ترابطهما وهذا ما يعرف بالحبك.

### الحبك \* Cohérence: تمكين الدلالة

تتم هذه القضية بالاستمرار الدلالي في النص، وتعمل على إيجاد الترابط المفهومي<sup>(4)</sup>، فبنية النص ليست مجرد تتابع للعلامات لكنها تنظيم خاص ورؤية دلالية متماسكة لذلك "يجب المحافظة على

1 - عزة الشبل، المرجع السابق، ص: 105.

2 - Halliday and Hassan, cohesion in English, p: 278.

3 - Ibid, p: 278.

\* - ترجم مصطلح Cohérence: إلى الحبك والترابط المفهومي عند تمام حسان، وإلى التماسك المعنوي عند عزة الشبل، وإلى الانسجام عند محمد خطابي غير أننا سنستعمل مصطلح الحبك في هذا العمل.

4 - ينظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص: 103.



التتابع الظاهر على سطح النص في مقابل التتابع الباطن في عمق النص<sup>(1)</sup>، حتى يتصف بالنصية "فوحدة النص لا يمكن أن توحد بشكل كافٍ إلا بمراعاة بناء قاعدته الدلالية"<sup>(2)</sup>، بالتالي إعطاء الأهمية للنسيج الداخلي للنص، وهذا ما كان غائبا عن الدراسات السابقة، هذه النظرية "وجدت صداها لدى عالم اللسان فاندايك الذي اعترض عن النحو التقليدي في كتابه 'جوانب من علم نحو النص'؛ من حيث أنه لا يلي المطالب التي تقتضيها دراسة النص الأدبي والشعري، و دعا إلى إتباع طرق جديدة في تحليل المستويات الصوتية والتركيبة والدلالية للنص"<sup>(3)</sup>، تتمثل تلك الطرق في تصورات جديدة لتناول الظواهر الأدبية، بتأمل البنية الكبرى بدل الصغرى، وبتتبع الأفكار الرئيسية والعامية للنصوص، كل ذلك وغيره يؤدي إلى حيك النص، ومما يعنيه هذا الحيك في مفهومه السيكلوجي "مجموعة من العلاقات المفهومية يستخدمها القراء والكتّاب في تعاملهم مع النص"<sup>(4)</sup>، ذلك يجعل للحيك بعدا برجماتيا عندما يهتم بتكوين النص وتلقيه أيضا.

تتلخص وسائل الحيك - وأكثرها مقترحة من طرف العالم اللغوي فانديك - في:

#### أولا: الترابط:

هو علاقة خاصة بين الجمل<sup>(5)</sup> ولما كانت الجمل عبارة عن تركيب والترابط عبارة عن علاقة دلالية، استعمل فانديك العلاقة بين قضايا هذه الجمل بدل العلاقة بين الجمل أو دلائل الجمل، قد يتقابل ذلك مع ما ذهب إليه الجرجاني من اهتمام بمعاني النحو، إلا أن الجرجاني لم يستعمل قضايا الجمل بل جعل المزية في توحي المعنى أثناء توحي القاعدة النحوية، وكذلك فانديك اهتم بالمعنى وصنفه إلى قضايا صغرى وكبرى، وقد أخذ مفهوم القضية من مجال الفلسفة والمنطق، واستعمله في مجال دراسات الخطاب كإشارة إلى الوحدة الأدنى للمعنى، تتكون هذه القضايا من خبر Predicate

1 - حسن سعيد البحيري، علم لغة النص، ص: 196.

2 - فولفجانج هاينيه وديتر فيهفجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، (د.ط)، جامعة الملك سعود، سنة: 1996م، ص: 37.

3 - إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ص: 139.

4 - ينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، ص: 127.

5 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 31.

هو نواة النص، وموضوع Subject هو مرتبط بتلك النواة، مفهوم الربط هنا متعلق بالبحث عن العلاقات بين تلك القضايا، حيث يكشف بين الجمل عن الطريقة التي تدرك بها العلاقات الدلالية التحتية في الخطاب "هذه العلاقات يجب أن تتم في إطار تنظيمي وفي ظل وجود مجموعة من أعراف القراءة تكون مرشداً أميناً للقارئ وفي نفس الوقت فإن ذلك الإطار التنظيمي يحكمه قصد الكاتب"<sup>(1)</sup>، إذن الحيك ظاهرة مرتبطة بالنص منتجة وقارئة معا.

كما أن طريقة ترتيب وقائع الخطاب تكون حسب الهدف الذي سيق من أجله الخطاب، ونكون بهذا قد ولجنا مجال التداولية وافترضنا أن طبيعة العلاقة بين القضايا دلالية وتداولية أيضاً، إذا "الربط الدلالي نفسه يحمل بين جوانبه أبعاداً براهمية فالعلاقة بين الجمل (القضايا) ليست ذات طبيعة دلالية فحسب، وهكذا لا يتعلق الأمر بتغيرات الربط بين وقائع النص فقط، بل بين الأفعال الكلامية وهذه الوظيفة المزدوجة تبينها الروابط ذاتها"<sup>(2)</sup>، لأن السامع لا يمكنه ربط القضايا بعضها ببعض قصد فهم النص، إلا إذا كانت الوقائع التي عُيِّنت لها القضايا في التفسير مرتبطة بعضها ببعض عندها فقط يمكن للمتلقي تمثل الربط المعقول لقضايا الخطاب<sup>(3)</sup>. إذا لا يتحقق حيك النص من خلال البنى النحوية المناسبة فقط ولكن أيضاً من خلال "التفاعل مع التغيرات السياقية التي يندرج تحتها قصد المتكلم والكاتب، ومعرفة الجمهور وتوقعاتهم، ووظيفة النص والمعلومات المقدمة، والزمان والمكان"<sup>(4)</sup>.

قد أورد فانديك أمثلة توضيحية لمفهوم الترابط عنده، بمراعاة المسائل السابقة:

جون أعزب، فهو إذن غير متزوج.

جون أعزب، إذن فقد اشترى كثيراً من الأسطوانات.

ج . جون أعزب، وإذن فأمستردام هي عاصمة هولندا.

1 - حسام أحمد فرج، المرجع السابق، ص: 131.

2 - فان دايك، علم النص "مدخل متعدد الاختصاصات"، ترجمة: سعيد حسن البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، سنة: 2001م، ص: 144.

3 - ينظر: فولفجانج هاينيه وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص: 144.

4 - عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 187.

هذه الأمثلة منها ما هو مقبول، ومنها ما هو أقل مقبولة، ومنها ما هو غير مقبول تماما، فـ(أ) مقبولة، و(ب) أقل مقبولة، و(ج) غير مقبولة.

الملاحظ أن الجمل صحيحة من حيث التركيب، لكن هناك ما يجعلها تتفاوت في المقبولية الدلالية، ذلك يجعلنا نتأكد أن الترابط عند فاندريك لا يتوقف على الروابط، فالمثال (ج) يحتوي على رابط لكنه غير مقبول بينما المثال:

أمستردام عاصمة هولندا سكانها ثمانمائة ألف. فهو مثال مقبول رغم خلوه من الروابط<sup>(1)</sup>

إذا من شروط الترابط وجود العلاقة بين معاني الكلمات، وبين معاني الجمل في المثال: (أ) جون أعزب، فهو إذن غير متزوج، يتضمّن مفهوم (أعزب) مفهوم (غير متزوج)، غير أن هذا وحده لا يكفي لأنّ يكون شرطا محكما للترابط فلو جاء في المثال(د): جون أعزب، وإذن فيتر غير متزوج، سيكون المثال غير مقبول لأنه يحتاج إلى شرط آخر هو "التطابق الاحالي"<sup>(2)</sup>، ويتوسع الربط الاحالي عند فاندريك إلى أبعد من ذلك عندما يفترض وجود علاقات إحالية بين منطوقات اللغة والوحدات في الواقع الخارجي و"لذلك فمعرفة مستخدمي اللغة بالعالم هامة في وصف عملية تفسير النص"<sup>(3)</sup>، إذ يستخدمون معارفهم بواسطة الإحالة بينها وبين ما هو موجود في النص من وقائع، فيصلوا إلى التفسير المراد للنص. وقد اعتبر فاندريك الربط الاحالي، شرطا أساسيا لربط القضايا، حيث ترتبط القضايا مع بعضها عندما ترتبط معانيها الإحالية، فتكون الوقائع التي تشير إليها القضايا في تفسير النص مرتبطة بعضها ببعض<sup>(4)</sup>، أو كما عبر عنها الدكتور محمد خطابي "تعالق الوقائع التي تشير إلى القضايا"<sup>(5)</sup>، ذلك ما يخلق انسجاما بين مكونات النص لنجد أنفسنا أمام وسيلة أخرى من وسائل الحبكة وهي الانسجام.

### ثانيا: الانسجام:

- 1 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 31.
- 2 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 32.
- 3 - فاندريك، علم النص، مدخل متعدد الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن البحيري، ص: 44.
- 4 - فاندريك، علم النص، المرجع نفسه، ص: 53.
- 5 - محمد خطابي، المرجع السابق، ص: 32.

يقتضي الانسجام تأويل الجمل بالعودة إلى الجمل السابقة عليها، يسوق فانديك أمثلة توضيحية من مقاطع من قصة بوليسية، تبرز علاقات الانسجام.

1. أ. دخلت كلاير راسل إلى المكتب من الصباح التالي، يملأها الإحساس بالتعب، والكآبة، ذهبت مباشرة إلى غرفة عملها، نزعت قبعتها، لمست وجهها بالمدرة، ثم جلست إلى منضدتها، كان يريدتها مشتتا، ومنشفتها ناصعة البياض، ومحبرتها مليئة بالمداد، لكنها لم تكن ترغب بالعمل.

1. ب. دفعت البريد جانبا وحدقت من النافذة، كانت الشمس حارة والشوارع مغبرة، كانت فيرفيو في حاجة ماسة إلى المطر، وكان منظر المدينة الصغيرة المتناثرة محترقا.

1. ج. وهي جالسة هناك، فكرت في هاري ديوك، كانت تفكر فيه معظم الليل، هاري ديوك وبيتر، بيتر وهاري ديوك، كانت تتقلب في السرير الضيق محدقة في الظلام متذكرة كل التفاصيل الصغيرة، لما كان قد حدث، إنها ترى هاري ديوك بشكل جلي، إنها ترى كتفيه القويتين، ورأسه الفاحم الصغير، وشاربه القلم القصير، إنها تحس بقوته، كان عليه فقط أن يمدّ يده لتضع فيها يدها بسرور. إنها تعرف أنه يعلم ذلك وقد أخافها ذلك (...)<sup>(1)</sup>.

يتجلى الانسجام حسب فاندايك في المقطع الأول بواسطة العلاقات الأساسية وهي:

أولاً: علاقة التطابق الذاتي: كالتطابق بين (كلاير راسل) وبين الضمير المستتر في الأفعال (ذهبت، نزعت) وهو تطابق واضح بين الاسم والضمير المحيل إليه.

ثانياً: علاقة التضمّن والعضوية: كعلاقة الجزء بالكل، فغرفة العمل جزء من المكتب، وعلاقة الملكية تتجلى في كون القبعة و بالمدرة مثلاً ملكاً لراسل<sup>(2)</sup>. إضافة إلى ما سبق من تمظهرات لانسجام الخطاب يضيف فانديك شيئاً آخر هو "الحالة العادية المفترضة للعوامل التي يشتمل عليها الخطاب وهو شرط معرفي، أي أن "توقعاتنا حول البنيات الدلالية للخطاب تحددها معرفتنا حول بنية العوامل عموماً، والحالات الخاصة للأمر أو مجرى الأحداث، غير أن معرفتنا وحدها لا تكفي، بل

1 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، صص: 34، 35.

2 - ينظر: محمد خطابي، المرجع نفسه، ص: 35.

يجب توفر الخطاب على مؤشرات تعيننا، من المثال السابق مثلا: تشير (لكن) إلى انعدام رغبة العمل عند كلايير راسل، رغم مساعدة الظروف (توافر المداد). اكتشفنا لذلك حصل من خلال تلك العناصر (لكن، وتوافر المداد)<sup>(1)</sup>.

أما المقطع الثاني فيظهر انسجامه أولا في: ورود الضمير "هي" المحيل إلى كلايير راسل، أي وجود تطابق إحصائي بواسطة الضمير "هي"، في المقطع أيضا علاقة تكرير؛ إذ وردت كلمة بريد في المقطع الأول وتكررت في الثاني، وهنا تظهر لتعالق محمولات النص، نجد المحمول (حدقت خارج النافذة) متعلق مع المحمول (كانت في المكتب) ومع المحمول، (لم ترغب في العمل)، وإن بدا في الجزء الثاني من المقطع الأول محمولات لا تمت بصلة إلى محمولات المقطع الأول، يرى فانديك تبريرا لذلك أنه قد وقع تغير في موضوع الخطاب، فيرى أن المتلقي سيستنتج علاقة الموضوعين بواسطة المحمول (حدقت خارج النافذة) وهذا يستلزم أنها رأيت شيئا ما خارجا، أثناء التحديق، فعلاقة النظر إلى الخارج تبرر الحديث عن ذوات جديدة.

ويتم التعالق بين المقطعين الأول والثاني والثالث بواسطة الإشارة (هناك)، وهي إشارة إلى الموضوع الأول (جلوس المرأة في المكتب) ومن الملاحظ أن المقطع الأخير موضوعه جديد يجسده المحمول "خلق العالم" "التفكير" وهو المحمول الذي سمح بإدراج ذوات جديدة غير موجودة واقعيًا في العالم الفعلي للخطاب، تم إدراج هذا الموضوع الجديد بواسطة علاقة التذكير والاسترجاع<sup>(2)</sup>.

### ثالثا: موضوع الخطاب:

هو إخبار دلالي عن المتتاليات النصية أو هو بنية دلالية بواسطتها يوصف انسجام الخطاب، إذا هو الأداة التي تقارب البنية الكلية للخطاب، يعتبر فانديك أول من اقترح هذا المفهوم، انطلاقا من أن النص يتكون من قضايا متتابعة صغرى، ويمكن تكوين قضية شاملة كبرى "يمكن تكوينين هذه القضية الشمولية للمعنى عنده عبر تطبيق مجموعة من القواعد هي: (الحذف، والإخبار، والتعميم والتركيب أو

1 - ينظر: محمد خطابي، المرجع نفسه، ص: 35.

2 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، صص: 36 ، 37.

الدمج)، ثم يتم أخيرا استنباط القضية الكبرى للنص الكامل موضوع النص<sup>(1)</sup>، وتسمى تلك القواعد بالقواعد الكبرى<sup>(2)</sup> Macro rules.

أولاً: قاعدة الحذف: هي طرح جزء من المادة<sup>(3)</sup>، أو هي حذف كل معلومة غير هامة، أو غير جوهرية أو ثانوية بالنسبة للمعنى أو زائدة، أو ليست شرطا لتفسير تتابع القضايا<sup>(4)</sup>.

ثانياً: الاختيار: هي طرح جزء من المادة وإبقاء بعضها الآخر<sup>(5)</sup>، فهي قاعدة تختص باختيار القضايا الضرورية لتفسير قضايا أخرى.

ثالثاً: قاعدة التعميم: تختص بحذف معلومات أساسية لتصور ما، وتحل محلها قضية تتضمن مفهوماً القضايا القديمة، أو هي تحويل المادة إلى شكل أو تصور أكثر عمومية<sup>(6)</sup>.

رابعاً: قاعدة التركيب: تختص ببناء قضية كبرى؛ بدمج مجموعة من القضايا<sup>(7)</sup>.

القواعد السابقة هي قطب رحى البنية الكبرى للنص، أو موضوع الخطاب فهما مترادفان\* حسب الدكتور محمد خطابي<sup>(8)</sup>. إذا حاول فاندريك رصد موضوع الخطاب وتماسكه وحيكته من خلال مفهوم البنية الكبرى للنص.

### رابعاً: ترتيب الخطاب:

1 - فولفجانج هاينيه وديتر فيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، صص: 48 ، 49.

2 - فاندريك، علم النص، مدخل متعدد الاختصاصات، ص: 77.

3 - سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، ص: 83.

4 - عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 196.

5 - سعيد حسن البحيري، المرجع السابق، ص: 83.

6 - ينظر: سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، ص: 83.

7 - ينظر: عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 197.

\* - بيد أن المساواة بينهما مذهب قوبل بالرفض من طرف الباحثين، براون و بول، إذ قالوا إنه يوجد اختلاف بين المفهومين فالموضوع طريقة يستسيغها حدسنا اللغوي وتمكننا من وصف ذلك المبدأ الجامع الذي يجعل من كل مقطع خطابي ما حديثنا عن شيء ما آخر، أما القضية الكبرى عند فاندريك فهي قضية معقدة ناجمة منطقياً عن اجتماع مجموع القضايا التي تم التعبير عنها من خلال سلسلة الجمل في النص، ينظر: حسام أحمد فرح، نظرية علم النص، ص: 154.

8 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ص: 46.

وهو الترتيب العادي للوقائع في الخطاب إذ "تنظم المعلومات المقدمة في النص بطريقة معينة، حيث تتلاءم مع غرض اتصالي معين"<sup>(1)</sup>، ويحدث ذلك الانتظام حسب معرفة المتلقي بالعالم، هذه المعرفة قد تخضع لخاصية تنظيم المعلومات في الذاكرة، فعملية فهم الخطاب هي أساسا عملية استرجاع المعلومات المخزنة في الذاكرة، وعلى المتلقي فقط ربطها بالخطاب الذي يكون بصدد التعامل معه لهذا تميّز نحو النص بإدخال دراسات الذكاء الاصطناعي، وعلم النفس؛ الذي يبحث في كيفية تخزين المعلومات في الذاكرة، وعملية تنشيطها لاستعادة هذه المعلومات، وكلها معارف أدخلها نحو النص ضمن مناهجه.

يسوق فاندريك مثالا يوضح من خلاله حيك الخطاب بواسطة الترتيب العادي له، "دخلت كلايير راسل إلى المكتب (...) ذهبت مباشرة إلى غرفة عملها نزعته قبعتها، لمست وجهها بالمدركة، ثم جلست إلى منضدتها."

لاحظ في المقطع السابق الترتيب المنطقي للأفعال؛ إذ وردت مرتبة حسب وقوعها فلو نقلنا فعل (الجلوس إلى المنضدة) إلى أول المتتالية وأخرنا فعل (الدخول إلى المكتب) لمس التركيب بعض الارتباك الفهمي، وما يجعلنا ندرك ذلك هو معرفتنا السابقة بالعالم، هذه المعرفة هي الوجه الحقيقي في عملية ترتيب أجزاء الخطاب، نعلم أنها إذا لم تدخل إلى المكتب لن تجلس إلى المنضدة.

يمكن إدخال بعض وسائل تغيير الخطاب على الخطاب فيترتب بشكل مخالف لترتيبه الأول، من بين هذه الوسائل ظرفي الزمان والمكان (قبل) أو (بعد) أو (آنفا)<sup>(2)</sup>.

"ذهبت مباشرة إلى غرفة عملها، وقبل أن تجلس إلى منضدتها نزعته قبعتها ولمست وجهها بالمدركة."

هذا الترتيب لا يخل بالمعنى الأصلي، ويبقى الخطاب فيه محافظا على انسجامه، وقد افترض فاندريك علاقات تحكم ذلك الترتيب وهي: علاقة العام الخاص، وعلاقة الجزء الكل، وعلاقة المجموعة

1 - عزة الشبل، المرجع السابق، ص: 197.

2 - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 38.

المجموعة الفرعية العنصر، وعلاقة المتضمن والمتضمن، وعلاقة الكبير الصغير، وعلاقة الخارج الداخل، وعلاقة المالك المملوك.

كمثال على علاقة العام الخاص: مثلاً: إنها ترى هاري ديوك، إنها ترى كتفيه القويتين (...)

نحن نرى مجموع الشيء قبل أجزائه، ونرى الشيء الكبير قبل الصغير<sup>(1)</sup>، غير أن هذه القاعدة لا تُخضع المبدعين إذ يحدث أن يخرجوا عنها لأغراض إبداعية.

لترتيب إذا دور جوهري في حبك النص، فترتيب الوقائع داخل النص ينعكس على الشكل الكلي له يجعل قضاياها الصغرى تسير بترتيب منطقي نحو القضية الكبرى .

كان ذلك مذهب فاندريك، في تصوره لعلم تجاوز حدود الجملة، غير أن البحث لم يأت على ذكر كل ما توصل إليه ، فقد حلل فاندريك النصوص معتمدا على صور الربط لسطح النص، وكنا قد تناولنا هذا المبحث مع هاليدي ورقية حسن، لأن عملهما كان الأكثر جلاءً في هذا المجال، بينما المسائل الدلالية والتداولية فإسهامات فاندريك هي الأكثر توفيقاً، ولعل ذلك ما جعلنا لا نذكر اجتهاداته في الجانب الشكلي للنص فهو لم يهمله، بل تصور وجود علاقات أفقية للنص تظهر على المستوى النحوي، فكل من الربط اللفظي، والعلاقات الدلالية، والفكرة الأساسية، والبنية الكبرى تسهم في تحقيق التماسك النصي. كنا قد أشرنا أن تصور فاندريك لم يقتصر على البعد التركيبي والدلالي فحسب، بل تجاوزهما إلى البعد التداولي، فمثلما يتماسك النص دلالياً، يتماسك تداولياً، من خلال التفاعل مع التغيرات السياقية التي يندرج تحتها قصد المتكلم، ومعرفة الجمهور، وتوقعاتهم ووظيفة النص. ويشتمل معيار: القصد والقبول.

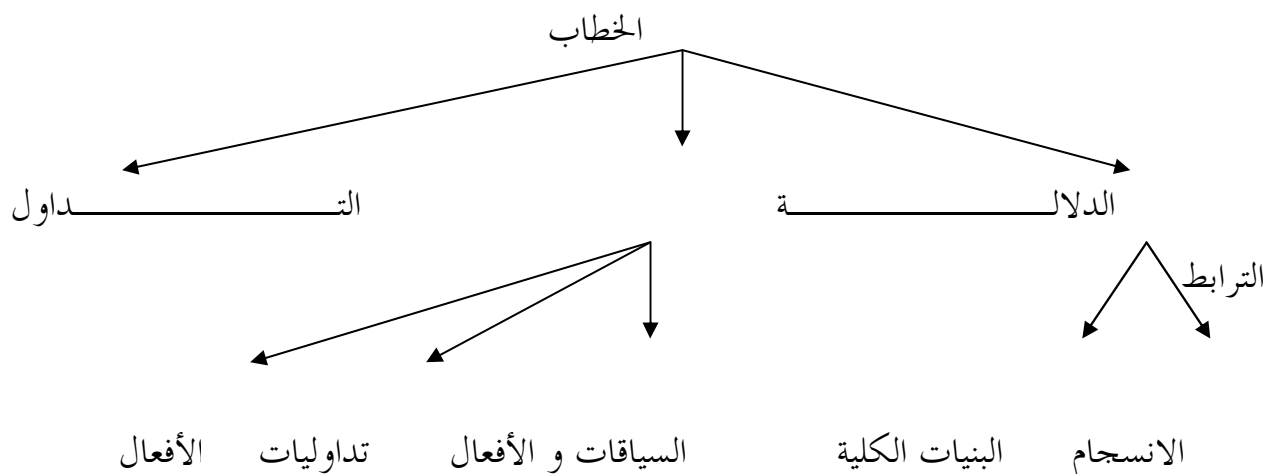
#### 4. القضايا التداولية في نحو النص:

#### متزلة النظرية التداولية في النظرية النصية :

البحث في مجال نحو النص، يحملنا على التعامل مع كثير من المصطلحات والمفاهيم، كالنحو والدلالة، والخطاب، والتداولية، لكن الملاحظ أن النحو والدلالة قد خصصت لهم الكثير من



الدراسات والمؤلفات التي أنيطت بمقاربة هذين الفرعين الهامين من علوم اللغة ، أما المجال الثالث (التداولية) فوجد محاولات التأليف العربية فيه جد محتشمة، على الرغم من اتصاله الوثيق بنحو النص، باعتباره بعدا مميذا للبحث لنصي، فنحو النص يهتم بمنتج النص، ومنتقيه، و سياق التلقي، وعملية التلقي، والهيئات والظروف المقترنة بها، وكذلك التداولية تعنى بالخطاب كموضوع خارجي يفترض وجود منتج له علاقة مع مرسل إليه<sup>(1)</sup>. كما أشار فانديك إلى أن المستويين الشكلي والدلالي لا يكفیان لتحديد بنية العبارة، الضرورة -إذا- تدعو إلى استقدام مستوى ثالث هو المستوى التداولي والذي يخدم النظرية التي صبا إليها، وهي نظرية التواصل الأدبي، فقد أرخ فانديك للتحويلات النظرية منذ ظهور الفكر التوليدي\* ثم اقترح إنشاء نظرية عامة تشتمل على "نظرية للنصوص الأدبية" و"نظرية للتواصل الأدبي" بالتالي نقل الأدب من "نظرية للأبنية اللغوية" إلى "نظرية للاستعمال الأدبي"<sup>(2)</sup>، ذلك من خلال اهتمامه بالدلالة والتداول: فأنشأ مقاربة أكثر وضوحا وتنظيما للدراسة اللسانية للخطاب وكان اهتمامه كالآتي<sup>(3)</sup>:



1 - ينظر: سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، ص: 16

\* - هو المنهج التحليلي عند نعوم تشومسكي اللساني المشهور. للاستزادة حول المنهج، ينظر: مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات، الطبعة الأولى، طلاس للنشر، دمشق، سنة: 1988.

2 - خوسيه ماريثا يوثولو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة: حامد أبو أحمد، (د.ط)، مكتبة غريب، القاهرة، (د.ت)، ص: 08.

3 - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 27.

الكلامية الخطاب الكلامية

تظهر الخطاطة اهتمام التداولية بالعلاقة بين النص وعناصر الموقف التواصلية المرتبطة به بشكل منظم، وهو ما يطلق عليه سياق النص، كما تعنى التداولية أيضا بالشروط والقواعد اللازمة للملائمة بين أفعال القول وتقنيات المواقف الخاصة به؛ أي العلاقة بين النص والسياق، وتعنى أيضا بالشروط اللازمة كي تقبل الأقوال اللغوية وتنجح، و تلائم الموقف التواصلية الذي يتكلم فيه المتكلم<sup>(1)</sup>. لعلّ هذا ما يميز نحو النص عن غيره؛ بإقحام عناصر غير لغوية في تحليله للنصوص، فهو علم يستدعي كل مستويات التحليل ويعزي للنهج البراغماتي\* داخل عملية البحث الكلية لتحليل النص "أهمية غالبية باعتبار أنه الجانب الأشمل لعلم لغة النص"<sup>(2)</sup>، بهذا تكون علاقة التداولية بنحو النص تكاملية، يدرجها ضمن مستويات التحليل عنده كمستوى مهم في مفهومه الواسع.

ملامسة مفهوم التداولية، تحديدات أولية:

مفهوم المنهج التداولي:

يهتم مفهوم التداولية بتداول الكلام أثناء حدوث العملية التواصلية و ما يلحظ عليه هو كثرة المفاهيم الدائرة حول مصطلحه انطلاقا من كونه "منهجاً للتفكير\* وكذلك لكونه منهجا لسانيا جديدا"<sup>(3)</sup>، يدرس اللغة بشكل مختلف، فهو مفهوم صعب الحصر قد تتضح بعض معالمه في بعض

1 - ينظر: سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، ص: 125.

\*- سيكون استعمال مصطلح البراغماتية كترديد للتداولية، بحكم الترجمة في اللغة العربية.

2 - كلاوس برينكر، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص: 26.

\*- ما يهم البحث تناول التداولية كخاصية خطابية.

3 - بوكلفة صورية، المصطلح الإعلامي العربي، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، رسالة ماجستير، جامعة وهران،

السانية، سنة: 2008/2007، ص: 32.

التعاريف التي خصّها علماء غرب للتداولية، منها تعريف الباحث اللساني والتداولي ليفنسون، في كتابه Pragmatics وهي في الحقيقة عدة تصورات<sup>(1)</sup> لمفهوم التداولية.

**التصور الأول:** التداولية هي دراسة للاستعمال اللغوي الذي يقوم به أشخاص لهم معارف خاصة ووضعية اجتماعية معينة.

**التصور الثاني:** دراسة للمبادئ التي تؤهلنا لإدراك غرابة بعض الجمل أو عدم مقبوليتها أو لحنها.

**التصور الثالث:** دراسة اللغة في إطارها الوظيفي، أي محاولة فهم اللغة بالاعتماد على عناصر غير لغوية.

**التصور الرابع:** دراسة للعلاقات بين اللغة والسياق، أو هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم للغة بسياقاتها الخاصة.

**التصور الخامس:** دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينات و اقتضاءات، أو ما يسمى بأفعال للغة.

التعاريف السابقة جامعة لمفهوم التداولية، يمكن تلخيص كل تلك التعاريف في أن التداولية هي دراسة علاقة النصوص مع مستعملها\*.

### مسيرة المقاربة التداولية:

هناك اختلاف شديد حول أنابيش المنهج التداولي، غير أنّ جلّ الدراسات تذكر عالين اثنين عند التعرض لهاديات هذا المنهج وهما:

شارل ساندرس بيرس\*\* وجون أوستين، سنسلم أن الأسبقية لبيرس بحكم تقدّم تاريخ طرحه للأفكار التداولية، أول ما ظهرت عنده التداولية سنة 1878 عندما نشر مقاله المشهور "كيف نجعل

1 - ينظر: إدريس مقبول، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه، (د.ط)، عالم الكتب الحديث، (د.ت.)، ص: 264.

\* - يجمع مصطلح مستعملها منتج النص و متلقيه.

أفكارنا واضحة". و التداولية عند بيرس منهج تفكير، أو منهج لتحديد المعاني الخاصة بالألفاظ، أي فن توضيح الأفكار "بهذا ساوى بين معنى الأفكار و الوظائف التي تقوم بها"<sup>(1)</sup>، فتصور الشيء عنده تصوّر لأثاره العلمية، ووظيفة الشيء هي التي تحدد تصورنا حوله "فالتيار الكهربائي مثلا لا يعني مرور موجة غير مرئية في مادة ما وإنما يعني مجموعة الوقائع، مثل: إمكان شحن مولد كهربائي، أو أن يصدق جرس، أو أن تدور آلة، وإذن فمعنى لفظ كهرباء هو ما تفعله"<sup>(2)</sup>. مع أن الكهرباء غير ظاهرة للعيان، إلا أننا نعلم بوجودها بسبب ما تخلفه من وظائف، ما رمى إليه بيرس هو أنّ التصوّرات التي ليس لها آثار ليس لها معاني.

جاء بعد بيرس من طور المنهج التداولي، وأسسها كاختصاص فلسفي للغة "جون أوستين".

عام 1955 ألقى الفيلسوف "جون أوستين" محاضرات لوليام جيمس بجامعة هارفارد، وقد نجح في خلق اختصاص فلسفي جديد هو: فلسفة اللغة هذا الاختصاص لم يلبث حتى "طال هندسة اللسانيات"<sup>(3)</sup>، وأهم ما جاء به أوستين كون "اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع"<sup>(4)</sup>، فكل الجمل عنده باستثناء (الاستفهامية، والأمرية، والتعجبية)، يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، وأساس الحكم على الجمل هو ما تحققه في الواقع فإن حققت "فعلا" في الكون، يحكم عليها بالصدق، والعكس في خلاف ذلك.

---

\*\* - بيرس: فيلسوف أمريكي، ولد سنة 1838، درس الكيمياء، غير أنه مال عنها إلى الفلسفة، كتب عدة مقالات، قامت جامعة هارفاد بجمعها في ثمانية مجلدات وكان ذلك بعد سنة 1914. ينظر: حامد خليل، المنطق البراجماتي عند تشارل ساندرس بيرس مؤسس البراجماتية، دار الينايبع للنشر والتوزيع، دمشق، سنة: 1996، ص: 07.

1 - بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، (د.ط)، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، سنة: 2006م، ص: 179.

2 - عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله، ومباحثه في التراث العربي-دراسة-، (د.ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة: 2000، صص: 101، 102.

3 - إدريس مقبول، الأسس الابدستيمولوجية والتداولية، ص: 267.

4 - آن روبرول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، الطبعة الأولى، المنظمة العربية لترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص: 29.

بعد هذا تطوّرت رؤية أوستين، وتجاوز مبدأ المقابلة بين الجمل الوصفية، والجمل الإنشائية، وانتقل إلى تميّز جديد "فهو يقرّ بأن كل جملة تامة مستعملة، تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل"<sup>(1)</sup>. أي إنّ أيّ قول داخل السياق هو كيفية من كفيات العمل، ولعل هذا الذي حملته على تسمية أحد كتبه "عندما يعني القول الفعل"<sup>(2)</sup>. وهو يميّز بين ثلاثة أنماط من الأعمال اللغوية.

أولاً: العمل القولي: هو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء.

ثانياً: عمل التأثير بالقول: وهو العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئاً ما.

ثالثاً: العمل المتضمن في القول: وهو يتحقق بقولنا شيئاً ما<sup>(3)</sup>.

هكذا يكون أوستين قد استبدل تميز الجمل الإنشائية من الوصفية بالبحث في مسألة أخرى كانت إيدانا بفتح نظرية ستكون أهم نظريات التداولية وهي نظرية أفعال الكلام، فالجملة بحسبه بمجرد التلفظ بها توافق على إنجاز عمل قولي، كما توافق حدوث تأثيراً جراًها. ما يلاحظ فيما ذهب إليه أوستين، توافقه الواضح في المنطلق المؤسس لأفعال الكلام في التراث العربي.

جاء بعد أوستين تلميذه جون سيرل، الذي وسّع نظرية أستاذه حين صنّف الأفعال الكلامية إلى أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة.

إذا أردنا فعلاً وضع أيدينا على الجديد الذي أضافه سيرل على أعمال أستاذه نذكر التطوير الذي ألحقه ببعدين هما: المقاصد و المواضع، فكل الأعمال اللغوية والجمل المنجزة بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد معينة، طبعاً هذا التصوّر كان موجوداً عند "جون أوستين" وقام سيرل بتحديثه.

1 - أن روبرول، جاك موشلار، المرجع نفسه، ص: 31.

2 - ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، (د.ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة: 1992، ص: 24.

3 - ينظر: أن روبرول، جاك موشلار، المرجع السابق، صص: 31، 32.

إن جلّ ما يهتم به سيرل هو الأعمال المتضمّنة في القول، ولعلّ النقطة المضيفة التي تميّز عمله هي أنه ميز داخل الجملة بين ما يتصل بالعمل المتضمّن في حد ذاته وسمّاه (واسم القوة المتضمّنة في القول) وما يتصل بمضمون الجمل وسمّاه (واسم المحتوى القضوي) مثالا على ذلك قول:

"أعدك أن أحضر غدا"، كلمة "أعدك" تمثل واسم القوة المتضمّن في القول: عبارة "أحضر غدا" تمثل واسم المحتوى القضوي؛ لقائل الجملة السابقة نية الوعد بالحضور غدا ويحقق النية بإنتاج جملة "أعدك بأن أحضر غدا"<sup>(1)</sup>.

كان ذلك ما أضافه سيرل لنظرية الأفعال الكلامية، إضافة إلى حديثه عن تصنيف جديد للأعمال اللغوية هو أساس لمنطق الأعمال المتضمّنة في القول، يبحث فيه عن الشروط التي بمقتضاها يُكَلَّلُ عمل متضمّن في القول بالنجاح. تلك باقتضاب شديد أهم مرتكزات نظرية أفعال الكلام التي مازالت في تطور. ولقد لوحظ اقتراب مفهومها عند العرب من مفهومها هذا.

### القضايا التداولية في نحو النص:

البعد التداولي جامع لباقي معايير نحو النص، التي ذكرها دي بوجراند و درسلر، وهي قسمان: ما يتصل بمستعمل النص سواء أكان مستعمل النص منتجا أو متلقيا، يشتمل هذا القسم معيارا القصد والقبول، و ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص وهي معايير: الإعلامية و المقامية.

يمكننا اختصار ما يرصده المبدأ التداولي في البحث عن طبيعة المرسل وطبيعة المرسل إليه أو سؤال ممن وإلى من؟ ودرجة السلطة والمسؤولية والقوة الانجازية للنص<sup>(2)</sup>، بهذا ينتقل وصف النص إلى مستوى الخطاب، ويهتم هذا المستوى بجعل الملفوظات مناسبة للموقف التواصلية الذي تنجز فيه<sup>(3)</sup>. وقد اعتبر زتسيسلاف واورزنيك\* هذا الفرع أشمل الفروع<sup>(1)</sup> الممثلة لنحو النص، لأنه "دراسة

1 - ينظر: آن روبرول وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص: 33، 34.

2 - ينظر: جيرار جينات، عتبات من النص إلى المناص، تقديم: سعيد يقطين، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، سنة: 2008، ص: 53.

3 - ينظر: سعيد حسن البحيري، علم لغة النص، ص: 231.

\* - زتسيسلاف واورزنيك عالم لساني يُعتقد أنه بولندي الأصل، تفرّد بمعالجة غير معهودة في الكتابة في الدرس النصي. ينظر: سعيد حسن البحيري، توطئة كتاب مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، صص: 10، 09.

للتواصل اللغوي، ودراسة للعلاقات التي استعملت فيها اللغة، كما يدرس كيفية تفسير الأقوال المستعملة، وكيفية فهم المتحدثين للأحداث الكلامية Speech acts وكذلك كيفية تأثر تركيب الجمل بالعلاقة بين المتحدث والسامع<sup>(2)</sup>.

### أولاً: المقصدية

هي: "التعبير عن هدف النص"<sup>(3)</sup>، أو هي كل المساعي التي يستعملها المؤلف في نصه ليحقق مقاصده، وهي صنفان: صريحة مرتبطة بالمعاني المباشرة للكلمات، و متضمنة مرتبطة بالمغزى من استخدام هذا الفعل أو ذاك<sup>(4)</sup>، وهذا الصنف يجلي علاقة المقصدية بنظرية أفعال الكلام.

**المقصدية ونظرية أفعال الكلام:** علمنا أن نظرية أفعال الكلام جاءت لتؤكد أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل هو مختص بإنجاز حدث اجتماعي في آن؛ فنحن بإمكاننا إنجاز أفعال كثيرة من خلال نطق جملة أو نص، فمثلا الفعل الإنجازي (الوعد) الموجود في المثال (غدا سأضربك ضربا مبرحا) إذا أُنجِزَ غدا فإن وظيفة الحدث هنا الوعد فعلا، أما إذا لم ينجز غدا، فإن الوظيفة ستتحذ بعدا براجماتيا، ليكون التهديد أو التحذير<sup>(5)</sup>.

ما يهمنا هنا إبراز أن إنجاز الأفعال الكلامية ليس لذاتها، وإنما ليتحقق من خلالها هدف معين، فلكل نص نية وقصد تتجمع الأحداث الجزئية وتتضافر لتشكله، ويمثل هذا القصد العام البنية الكبرى Macro. Structure<sup>(6)</sup>، و حدوث هذه العملية يستدعي شروط في المتكلم/الكاتب/السامع/القارئ.

بالنسبة للفعل الكلامي (الوعد) مثلا على المتكلم معرفة إمكانية إنجاز الوعد، ويعرف أيضا أن السامع يقدر هذا الوعد، ويكون الوعد متساويا مع حال السامع ومع طبيعة العلاقة بينها ومع القصد

1 - زتسيسلاف واورزنيك، مدخل إلى علم النص، ترجمة: سعيد حسن البحيري، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة: 2003، ص: 85.

2 - صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج/1، ص: 43.

3 - سعيد حسن البحيري، المرجع السابق، ص: 146.

4 - ينظر: حسام أحمد فرح، نظرية علم النص، ص: 48.

5 - ينظر: فاندليك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 118.

6 - ينظر: فاندليك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، ص: 123 ، 125.

العام، ومع الأنظمة الاجتماعية التي ينتميان إليها<sup>(1)</sup>، من هنا يمكن لنظرية أفعال الكلام أن تشكل أساسا لتنميط المقاصد اللغوية أي أنها توضح الأهداف التي يتواصل لأجلها الناس وكيف يحققون بواعث نشاطهم اللغوي التواصلي<sup>(2)</sup>، يبدو أن للمتلقي دورا هاما في هذه العملية؛ إذ يراعي قصد المتكلم خصوصية السامع وثقافته، وأكثر ما يبرز هذا الدور للمتلقي مساهمته في القراءة التي ستصبح عملية إيجابية، وليست مجرد حضور سلبي، أي لا بد من توازن حضوري بين الإبداع والقراءة، ولا يكون هذا الحضور على أساس الرغبة فحسب بل لا بد من مراعاة الاحتياج، فالرغبة والاحتياج يكونان في وعي المبدع بشكل لازم<sup>(3)</sup>، سيكون الفعل الكلامي المحقق لقصد المتكلم/الكاتب بذلك خاضع لرغبة الكاتب، واحتياج المتلقي. انطلاقا من هذا التفاعل سنجد أنفسنا أمام معيار آخر وهو معيار المقبولية.

#### ثانيا: المقبولية:

تتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام<sup>(4)</sup>، هذا المعيار خاص بمستقبل النص كيف يرى النص بحكمه على الدلالة النصية، من حيث تماسكها و التحامها وكذلك بمنهج النص فهو صانع هذا الإبداع الذي يلقيه إلى المتلقين، ويجب عدم إغفال الظروف التي تحيط بهما في السياق أو الموقف الذي يساعد على الحكم بالقبول أو عدمه، هذا السياق يجب أن يراعى فيه صحة القواعد النحوية<sup>(5)</sup>، يعتمد التعريف السابق على التفاعل بين مقاصد المنتجين ورغبة المتلقين في المعرفة، وصياغة مفاهيم مشتركة، مما يجعلنا نستنتج تجاوز مهمتي المقصدية و المقبولية.

وحتى نصل إلى المفهوم الصحيح للمقبولية علينا معرفة شروطها، هل يتقبل النص مجرد أنه محبوب مسبوك أم هناك شروطا أخرى؟

1 - ينظر: فاندريك، المرجع نفسه ، ص: 133.

2 - ينظر سعيد حسن البحيري، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ص: 266.

3 - محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، ص: 212.

4 - ينظر: دي بوجراند، النص، الخطاب والإجراء، ص: 104.

5 - ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص: 89.



من المؤكد أن للسبك والحبك دور أساسي في توفير مقبولية للنص، فقد حدد فانديك كما سبق الذكر قواعد تعيين البنية الكبرى في النص، وهي: الحذف، الاختيار، التعميم، البناء، بهذه القواعد يتبين مدى اتساق النص من طرف المتلقي؛ أي أن الأمر هنا خاضع لهذه القواعد، في مقابل ذلك تتضمن معرفة السامع بلغته قدرته على تحديد أو تفسير السمات التي تشير إلى الترابط للتعرف على الانحرافات اللاحقة-يعني غير المعهودة في قواعد السبك والحبك- وإزالة الغموض، وبالتالي يكون السامع ذو أهلية لتفسير النص، منه يتم تقبل النص، لا يعود ذلك إلى جودة سبك أو حبك، بل إلى طبيعة المتلقي<sup>(1)</sup>، فالمتلقي بتقبله للنص يضعنا أمام تماسك من نوع آخر يختلف عن التماسك الذي يخلقه علم القواعد، ويكون القارئ/المتلقي هنا "هو المبدع المشارك لا للنص نفسه، بل لمعناه، أهميته، وقيمتة"<sup>(2)</sup>.

للمقبولية عوامل تتحكم فيها وهي<sup>(3)</sup>:

احتواء النص على مقدمات سياقية تساعد المتلقي على فهمه وتأويله.

معرفة المتلقي بالمتكلم وبنوع النص؛ الأمر الذي يساعده على التركيز في فعل القراءة، فمعرفة المتلقي لنوع النص تزيد من نسبة تقبله، إذ يحدث أن يكون لكل نوع من النصوص قراؤه الذين لهم طبيعة خاصة في قراءتهم وفي توجههم، وفي ردود أفعالهم بعد فعل القراءة.

وضوح مضمون النص أو تحلي بنيته الكبرى، هذا من المؤثرات الحقيقية في تقبل النص، الأمر هنا خاضع لشخصية القارئ؛ فهناك من القراء من يكون اكتشافه لبنية النص ذات الطبيعة المبهمة أقوى من استيعابه للنصوص المباشرة والعكس صحيح.

أهمية الرسالة بالنسبة للمتلقي، فأني قارئ لا يستقي إلا المعلومات المهمة في النص، ويشكل البنية النصية في الذاكرة على أساس اهتمامه، وميوله، ومعارفه، وأهدافه الخاصة.

1 - ينظر: عزة الشبل، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، ص: 53.

2 - عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة "من البنية إلى التفكير"، (د.ط.)، عالم المعرفة، الكويت، سنة: 1998، ص: 322.

3 - ينظر: عزة الشبل، المرجع السابق، صص: 55 ، 56.

العوامل النفسية، كأن نكون أشرارا، أو حزانى، أو سعداء، أو متوترين، حين نقرأ نصا ما فالحالة النفسية مؤثر أساسي في مدى تقبل النص.

بين المقصدية و المقبولية تفاعل ظاهر، يرى فيه المرسل والمستقبل رؤية عقلية، فيظهر دور المستقبل في بناء النص، بأن يصير مشاركا في التأليف كما يعمق ممارسة الكاتب المزدوجة، إذ يكون تارة كاتباً وتارة أخرى متلقياً. يأتي معيار آخر من معايير النصية ليؤكد هذا التفاعل وهو الإعلامية.

### ثالثاً: الإعلامية:

موضوعها مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع أو المعلوم في مقابل المجهول<sup>(1)</sup>، أو هي توقع المعلومات الواردة في النص أو عدم توقعها من المتلقي، ولهذا يشير احتمال وروده في موقع معين بالمقارنة مع العناصر الأخرى في النص نفسه من وجهة النظر الاختيارية، وكلما بُعد احتمال ورود بعض العناصر، ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية<sup>(2)</sup>، أي أنه كلما كان هناك ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد المألوف، كلما زادت الكفاءة الإعلامية، لذلك ستختلف الإعلامية حسب اختلاف المتلقين.

ما يختص به مصطلح الإعلامية هو "الدلالة على ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جدّة، وعدم توقع"<sup>(3)</sup>، هذه الصفة (الجدّة) ليست مقتصرة على شكل النص فقط وصياغته، بل تمتد إلى مضمونه وبذلك سنكون أمام ثلاث مراتب للإعلامية<sup>(4)</sup>.

كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة: المحتوى المحتمل في هيئة محتملة، ويكون النص سهل الصياغة بالتالي يكون غير إعلامي.

كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة: المحتوى غير محتمل في هيئة محتملة، أو المحتوى المحتمل في هيئة غير محتملة، مثل هذه النصوص يتسم بالتحدي ولكنه مثير للجدل.

1 - ينظر: عزة الشبل، علم لغة النص، من النظرية والتطبيق، ص: 68.

2 - ينظر: دي بوجراند، النص، الخطاب، والإجراء، ص: 249.

3 - عزة شبل، المرجع السابق، ص: 68.

4 - ينظر: دي بوجراند، المرجع السابق، ص: 251.

كفاءة إعلامية مرتفعة الدرجة: المحتوى غير المحتمل في الهيئة غير المحتملة، وهي النصوص الصعبة الصياغة والمثيرة للجدل الحاد، هذا يرفع سقف الإعلامية، لكن قد يؤدي لجوء الكاتب/المتكلم أحيانا للاختيارات المثيرة للانتباه غير المعتادة إلى صعوبة فهمها، والسيطرة عليها من قبل القارئ/المستمع، وتظهر مشاكل اتصال العناصر المختارة المعقدة بالنسبة لتلك العناصر المحيطة بها، فيصبح الاتصال عندئذ معرضا للفشل، وتظهر أشياء من مثل الانقطاع والفجوات والتعارض؛ أي عدم انسجام المعلومات التي قررها النص مع المعرفة المختزلة في ذهن المتلقي<sup>(1)</sup>. لكن التأثير الإيجابي هنا أكثر من السلبي؛ إذ يمكن أن يُحفز القارئ للبحث عن مصادر تلك البيانات غير المعتادة عنده، مما يخفض درجة تعقيد المعلومات ومن ثم إراثها إعلامية عالية.

#### رابعا: المقامية:

أو رعاية الموقف، وهي "تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره، وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف، كما في حالة الاتصال بالواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر وربما توجد وساطة جوهرية كما في قراءة نص قديم ذو طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر، مثلا (جلجامش أو الأوديسا). إن مدى رعاية الموقف يشير دائما إلى دور طرفي الاتصال على الأقل، ولكن قد لا يدخل هذان الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين"<sup>2</sup>. ولا يوجد شك في علاقة هذا المعيار بمفهوم السياق الذي يتبوأ مكانة عالية في قضايا نحو النص، وسيأتي التفصيل في ذلك .

#### متزلة السياق بين قضايا نحو النص:

أساس التعامل مع النص في ظلّ النصية هو اعتبار اللغة جزءاً مركزياً من النشاط الاتصالي الذي ينطوي على سياق يقوم على ما أطلق عليه الموقف الاتصالي (متحدث، ومتحدّث إليه، ومكان وزمان)، هذا الموقف الاتصالي هو السياق غير اللغوي المصاحب لإنتاج النص، والذي يشكل مع

1 - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 75.

2 - دي بوجراند، النص، الخطاب، الإجراء، ص: 104.

السياق اللغوي اللحظة السياقية الموازية لزمن إنتاج النص<sup>(1)</sup>، "ففي السياق معظم مفاتيح النص لأنه يتوجه نحو البنيات النفسية والاجتماعية التي ترقد تحت الكيان اللغوي"<sup>(2)</sup>، فيكشف باقي مفهوم النص ويجلبه للمتلقي، وقبل التعرّض للسياق عند بعض علماء نحو النص، يجب معرفة ضروبه:

أشكال السياق: أثناء تصنيف أشكال السياق سنكون أمام ثلاثة محاور:

أولاً: السياق السابق: Pré-context وفيه:

1. سياق الموقف: يعدُّ العالم اللغوي مالمينوفسكي (1942)، أول من استخدم سياق الموقف وهو يشير إلى الأحداث والمواقف التي ينتج فيها النص، إذ من الصعب فهم أي رسالة ما لم نكن على علم بالأداء الصوتي والمرئي المصاحب لها<sup>(3)</sup>.

2. السياق الثقافي: يعطي هذا السياق أهمية لخلفية النص الثقافية "إذ من الضروري إعطاء اهتمام لما هو أكبر في محيط النص يصل إلى الخلفية الثقافية للنص"<sup>(4)</sup>، فلا تكفي مجموعة الرؤى أو الأصوات المحيطة بالنص، بل إن التاريخ الثقافي الموجود في أذهان المشاركين في الخطاب (المتكلم والمستمع) له أيضاً دوراً هاماً في تقديم الفهم العام للنص.

ثانياً: السياق المصاحب: يجمع هذا السياق بين أمور لغوية وأخرى غير لغوية، ومن عناصره استخدام بعض الوسائل اللغوية مثل: النبر Stress، والتنغيم intonation، وأمر سيميولوجية كإيماءات الوجه، وحركات الجسد ولهذا كله أثر في نقل العبارات من دلالات معينة إلى دلالات أخرى مختلفة<sup>(5)</sup>.

ثالثاً: السياق اللاحق:

- 1 - ينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 06.
- 2 - ينظر: عدنان حسن قاسم، الاتجاه الأسلوبى البنوي في نقد الشعر العربي، (د.ط.)، الدار العربية للنشر والتوزيع، سنة: 2001، صص: 197، 198.
- 3 - ينظر: عزة الشبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص: 30، وحسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 25.
- 4 - عزة الشبل، المرجع السابق، ص: 03.
- 5 - حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص: 40.

يدل السياق اللاحق على ما أدى النص من تغيرات اجتماعية و أيديولوجية<sup>(1)</sup>؛ بذلك يدخل كل نص بعد تلقيه حيز هذا السياق بما يتركه من آثار هي بمثابة سياق سابق لنصوص أخرى تالية.

### علاقة السياق بنحو النص:

إن من علماء النص من يذهب إلى "أن النصوص اللغوية براجماتية لأنها تستخدم متصلة بالظروف (الأشخاص والمكان والزمان)"<sup>(2)</sup>، وقد اهتم علماء نحو النص بالسياق بالعودة إلى هذا المفهوم، نجد هاليدي وحسن قد أوليا اهتماما بالغا بالسياق، رغم أن الناظر للوهلة الأولى لعمليهما يهين له أنهما قد أهملاه، واهتما فقط بالروابط المحققة للسبب. إلا أننا نجد هاليدي يدرس السياق، ويهتم بتطويره؛ فقد قام بتصوّر ثلاثة جوانب تحدد سياق النص وهي:

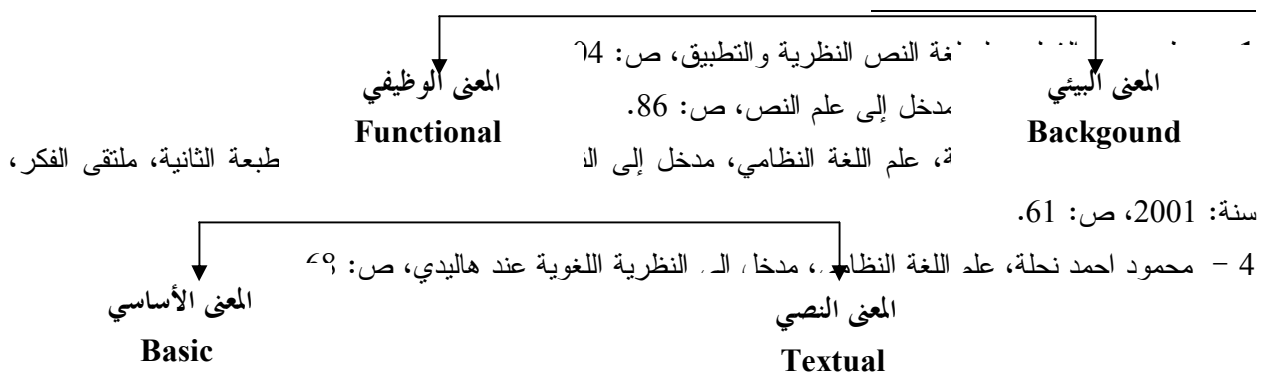
**المجال Field:** وهو موضوع النص؛ أي ما يدور حوله الخطاب.

**نوع المشاركة Tenor:** وهي طبيعة العلاقة بين المشاركين في النص، قد تكون رسمية مثل علاقة المدير بالموظف، أو حميمة كعلاقة الصديقين، وقد تكون محايدة كحديث متجاورين في قطار مثلا.

**الصيغة Mode:** هي قناة الاتصال المحققة للنص<sup>(3)</sup>.

كما قدم هاليدي أنماطا تحقق المعنى السياقي، يمكن حصرها في الخطاطة التالية<sup>(4)</sup>:

### أنماط المعنى السياقي



وقد ألف هاليدي مع رقية حسن كتابا بعنوان "اللغة، السياق، والنص" ذهب فيه إلى أن مصطلحي السياق والنص متلازمان. فلكل نص Text، نص آخر مصاحب له هو السياق Context. إضافة إلى اعتبارهما بعضا من الوسائل الربطية ذات التأثير الواضح في السياق، حيث نجد مبحث التضام مثلا مبحثا سياقيا خالصا؛ إذ يُعتمدُ فيه بين عبارات النص على سياق النص اللغوي، وسياقه الخارجي الذي يحدد بواسطة لغة الموقف أنواع الكلمات التي يمكن أن تتضامَّ في هذا الموقف أو في هذا الموضوع دون غيرهما، إضافة إلى مبحث التكرار والإحالة الآحران اللذان لا يخلوان من تأثرهما بالسياق لإثبات فاعليتهما في تحقيق تماسك النص.

بالإضافة إلى هاليدي وحسن نجد أن دي بوجراند خلال عرضه لمعايير النص السبعة أشار إلى أن بعضها له علاقة بالسياق، كمعيار الموقفية الذي يملك صلة مباشرة بسياق الموقف، وكذا المقصدية

والمقبولية بحكم علاقتهما بالمرسل والمستقبل، أما التناص فمتعلق بالسياق اللغوي وسياق الموقف الذي يجعل من خبرة المتكلم قدرة على استيعاب نص ضمن مكونات النص الأصلي<sup>(1)</sup>.

ومن علماء النص المهتمين بالسياق أيضا فاندايك الذي خصص نصف كتابه (النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) للتعرض للسياق ودوره في نحو النص.

يُميّز فاندايك أنواعا للسياق: التداولي، والنفسي، والاجتماعي<sup>(2)</sup> ويجعلها كلها في خدمة مقاربة فهم النص، تتعدى أهمية السياق عنده كونه شديد الاتصال بالنص ولا يمكن الفصل بينهما، إلا أن من سمات النصية عنده أنها تسمح للخطاب أن يتماسك ليس فقط في أجزائه، ولكن يتماسك مع سياق الموقف الخاص به، يبرز ذلك عندما تكون تتابعات ليست مقبولة منطقيا ولكنها مقبولة ومترابطة بالنسبة للسياق الفعلي و البنية الكبرى، إذا نظرنا إلى السياق كموقف اتصالي والذي تحدد عناصره قبول المنطوقات اللغوية أو رفضها، أو إصابتها أو إخفاقها، أو كفايتها أو عدم كفايتها<sup>(3)</sup>، كما أن "دلالة السياق تجعل الجملة ذات الهيئة التركيبية الواحدة بمفرداتها نفسها إذا قيلت بنصها في مواقف مختلفة تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه مهما كانت بساطة هذه الجملة وسذاجتها"<sup>(4)</sup>.

هكذا تظهر المكانة الطبيعية للسياق ضمن مقولات نحو النص، فالمعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدات اللغوية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة.

كانت تلك أهم عناصر التداولية، البعد الثالث لنحو النص والتي جعلها بعض المنظرين ركنا مكينا في تحليل النص أو الخطاب، ومنهم من جعلها مجرد مجموعة من "نفايات الكلام"<sup>(5)</sup>. إلا أن تحليل الخطاب كما يبدو قد أعاد مكانة هذا الجانب من الدراسات، وأعاد التأسيس له كبعد مميز لنحو النص.

1 - ينظر: جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، ص: 409.

2 - ينظر: جمعان عبد الكريم، المرجع نفسه، ص: 411.

3 - ينظر: فاندايك، علم النص، مدخل متعدد الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن البحيري، صص: 116 142.

4 - محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، "مدخل لدراسة المعنى النحو الدلالي"، الطبعة الأولى، دار النشر الشروق، سنة: 2000، ص: 113.

5 - عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، (د.ط)، دار هومة، الجزائر، سنة: 2007، ص: 391.

### 5. قضية التناص:

#### مفهوم التناص

هو عملية تعالق النصوص<sup>(1)</sup>، أو تداخل لفظي أو معنوي بين نص ما ونصوص أخرى، أو هو "ترحال للنصوص وتداخل نصي ففي فضاء نص معين، تتفاقم وتتنامى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى"<sup>(2)</sup>، هو إذا دخول نص في علاقة مع نصوص سابقة بكيفيات مختلفة يحصرها الدكتور محمد عبد المطلب فيما يلي<sup>(3)</sup>:

كيفية تقوم على العفوية وعدم القصد، فيحدث تسرب النص الغائب إلى النص الحاضر في غيبة الوعي، أو أن يرتد النص الحاضر إلى الغائب في نفس الظرف الذهني.

كيفية تعتمد على وعي وقصد، أي أن النص الحاضر يشير إلى نص آخر حتى يصل الأمر إلى درجة التنصيص.

وتعد جوليا كريستيفا، Julia kristeva أول من قدم مفهوما موسعا للتناص من خلال مصطلحها (Intertextuality) الذي كان بديلا مقترحا لمصطلح "الحوارية" عند باختين<sup>(4)</sup>، الذي يرجع كل الاهتمام الحالي بالطرق التي تترابط بها النصوص مع النصوص السابقة إليه. وذلك من خلال كتابه "عن تاريخ الرواية" الذي ترجم إلى الإنجليزية سنة 1980، وكل ما فعلته كريستيفا هو تقديم هذا العمل إلى المتلقي الغربي، كما قامت بربط مصطلح التناص بالطرق التي تحيل فيها النصوص إلى نصوص أخرى<sup>(5)</sup>. غير أن التعريف الذي يهمننا بشكل أكثر تعريف دي بوجراند ودرسلر؛ ذلك أنه يولي التواصل الأولوية، فيعرفانه على أنه "الترايط بين إنتاج نص بعينه، أو قبوله، وبين المعارف التي

1 - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "استراتيجية التناص"، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، سنة: 1986م، ص: 121.

2- جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، المغرب، سنة: 1991م، ص: 21.

3 - ينظر: محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند الجرجاني، ص: 153.

4 - حسام أحمد فرج، نظرية النص، ص: 195.

5 - ينظر: عزة الشبل، علم لغة النص، ص: 74.



يملكها مشاركو التواصل عن نصوص أخرى<sup>(1)</sup>، يظهر أن هذا التعريف مندرج ضمن عملية الإنتاج والتلقي، بالتالي ضمن عمليات التواصل، أي أن التناص هنا لا يقع في النص نفسه، بل في عمليات التواصل الاجتماعي.

لهذا المعيار أهمية قصوى في عملية فهم النص، إذ يشحن ذهن المتلقي بالتقاليد و المواضعات والمسلّمات التي تمكنه من فهم أي نص يتعامل معه، هذه المسلّمات أصبحت كذلك بفعل نصوص سابقة، وتقوم النصوص الجديدة بتعديلها عن طريق محاورتها، أو مصادرتها، أو دحضها، أو قبولها أو رفضها، أو حتى السخرية منها، أو تشويهها وهنا يبرز دور التناص في فهم النص عندما يكشف تلك المسلّمات ويظهر ما ألحقَ بها في النصوص الجديدة.

### أشكال التناص:

**تناص مباشر:** هو اجتزاء قطعة من النص أو النصوص السابقة، ووضعها في النص الجديد بعد توطئة مناسبة لها تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النص، وهو الشكل البسيط الذي يتحقق بنقل التعبير كما هو.

**تناص غير مباشر:** يُستنبط من النص، ويرجع إلى تناص الأفكار أو المقروء الثقافي، أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها وليس بصيغتها الحرفية<sup>(2)</sup>.

مما تقدم يتضح أن التناص عملية معقدة تجعلنا لا نفصل الأثر السابق عن العمل اللاحق، في هذا تشاكل واضح مع ما ذهب إليه أبو هلال العسكري في تصوره لمفهوم الأخذ، ذلك إضافة إلى ملاحظة توفر أصولا عربية لمعظم القضايا المذكورة لنحو النص، مثل مسائل السبك المشتركة بين الأصول العربية و النظرية الغربية و المتمثلة في التراث بالأدوات البديعية، و مسائل الحبك المشتركة أيضا مع مسألة البنية الكبرى عند فاندريك و مسألة تماسك الفصول عند القرطاجني. أما المسائل التداولية فقد تبين مدى استيعاب التراث العربي لمسائل أفعال الكلام، ومدى تطابقها في التصورات، إذا يمكن عدّ التراث العربي منظومةً فكريةً أو شكت على الاكتمال.

1 - حسام أحمد فرج، نظرية النص، ص: 196.

2 - ينظر: عزة الشبل، علم لغة النص، ص: 80.



خاتمة

## خاتمة

لعل أبرز ما جعل البحث يتصوّر توفر موطئات مؤسّسة لنحو النص في التراث العربي:

- فتح الدرس الإعجازي مجال الدراسات في نظم الكلم والجمل، مما هيّأ الجو للتأسيس لمعاني النحو أو نظرية النظم.

- اهتمام التراث اللغوي العربي بمسألة التركيب، الجرجاني مثلاً يرى أن المزية في الألفاظ ليست معرفة معانيها، بل استعمالاتها مركبة بعضها ببعض، وكذلك نحو النص يهتم بالتركيب داخل النص، وإن اتسعت مجالات التركيب فيه أكثر من مجالاته ومفاهيمه في التراث العربي.

- الملاحظ على البلاغة العربية عنايتها بالترابط القائم بين سلسلة الأقوال المؤلفة للفقرة، أو مجموعة أجزاء من النص.

تتجلى نقط التأصيل المضيئة لنحو النص عند العرب بشكل أكبر وضوحاً عند الجرجاني من خلال:

- نظرتة إلى القرآن نظرة كلية، واعتباره نصاً واحداً، إضافة إلى ذكره مصطلحات ومفاهيم دانية من مصطلحات ومفاهيم نحو النص، كالاتساق والالتزام والتضام.... الخ.

- توفرّ جهاز النظم عنده على أبعاد تماسكية، تورث النص ترابطاً وانسجاماً؛ باعتباره جهازاً هجيناً بين النحو والمعنى، فما هو إلاّ توحي معاني النحو، والمفاهيم المكوّنة لهذا الجهاز هي الآليات التي تُفَعّل عملية التماسك، وهي آلية التقديم والتأخير، وآلية الفصل والوصل، وآلية الحذف، وغيرها من آليات أوقف الجرجاني صحة النظم عليها.

- إضافة إلى مفاهيم النظم يتوفر البعد التماسكي عند الجرجاني على مسألة بعيدة عن علم المعاني الذي تنتمي إليه آليات النظم، وتنتمي إلى علم البيان في مؤلّفه أسرار البلاغة، وهي مسألة التمثيل الذي يربط بأطرافه المنتشرة في النص بين أجزاء ذلك النص، وهو تفعيل آخر للتماسك النصي.

كل تلك المسائل ظهرت بشكل خاص عند الإمام، وعلى اعتبار أن الرجل قد سكت عن البديع، حاول البحث جمع بعض المسائل البديعية المنتشرة في التراث، التي تسهم في بناء نحو نص عربي؛ أظهرت تلك المسائل قدرتها على إحداث سبك للنص، لعلّ ما يرفع رهان إمكانية مقابلة

المسائل البديعية العربية بمسائل نحو نصية، هو وظيفتها الجامعة بين شيئين أو أشياء في النص، بالتالي تتعدى وظيفتها التحسينية إلى وظيفة لسانية تتجلى في إحداث السبك داخل النص.

إضافة إلى كل تلك الإشارات الكامنة في التراث العربي التي تُنوّهُ باهتمامه بالنص، يوجد في التراث ما قد يكون أقرب إلى الرؤية الشاملة للنص، ذلك عند عالم مغربي هو حازم القرطاجني، فقد حلل القرطاجني أجزاء القصيدة من خلال تقسيمها إلى فصول، وحدد كيفية تماسك كل فصل في داخله، كما حدد كيفية تماسك كل فصل مع الفصل الذي قبله والذي يرُدُّفه، ليُطابق رأيه رأي العالم اللساني الهولندي تون فانديك في التدرج الدلالي.

غير بعيد عن تلك الخطوات خطوة لعالم سبق كلاً من الجرجاني و القرطاجني هو أبو هلال العسكري في تصوُّره لمفهوم الأخذ، والذي تراءى للباحثة مدى تماهيه مع مفهوم التناص في نحو النص؛ فالعسكري لم يتناول مسألة السرقات الأدبية كما طُرِحَت عند معظم النقاد، فسمى فصله المتناول لهذه المسألة حُسْنُ الأخذِ وقام بتقسيمه إلى أقسام تتناسب بشكل كبير مع المفهوم العريض للتناص في نحو النص، وهو أخذُ نصوص من نصوص أخرى لبناء نصوص جديدة.

تجاوز اهتمام التراث العربي ببنية النص وعلاقاته إلى الاهتمام بأغراض النص، وسياقه، ومقصدية المُخاطَب، وكذا مقبولية المُخاطَب، ليحيط اهتمامه بكل العملية التواصلية على غرار ما هو مُعتمد في التحليل الإجرائي لنحو النص؛ ذلك بيان على الوعي المبكر للبلاغة العربية بالبحث النصي، والكشف ضرورة إقحام التداولية النصية التي تتقاطع فيها العلاقات النحوية بالعلاقات الخطابية، يظهر ذلك جلياً عند الإمام الجرجاني من خلال:

- توفر مساع تداولية في تحليل الجرجاني عند اهتمامه بالنحو والدلالة؛ فالتداولية اللغوية تضعنا أمام الوصف النحوي والدلالي للنصوص؛ إذ تعنى التداولية بتحليل العلاقات بين النص ومستخدميه، والنحو يعنى بتوضيح الشروط والقواعد التي تضمن صياغةً جيدةً للأقوال، والدلالة تعنى بالشروط التي تجعل هذه الأقوال مفهومة جلية التفسير؛ بذلك تجمع التداولية كل العلوم السابقة لتحقيق مفهومها كعلم يعنى بتحقيق مقبولية و نجاح الأقوال أثناء التواصل، ذلك ما سعى إليه الجرجاني عندما راعى حال المُخاطَب، و المُخاطَب، وشكل الخطاب، و تجاوز ذلك إلى مراعاة الموقف السياقي و التواصل.

- قد توصل الإمام أيضا أثناء سرده لمكونات جهازه النظامي إلى الأبعاد التداولية لهذه المكونات، عندما يتعرض إلى القواعد المرتبطة بالمقصدات والمقامات، فقد افترض الإمام مُنتج له

علاقة حوارية مع مخاطب أو مرسل إليه يراعي ذلك المنتج أثناء إنتاجه لخطابه حالة المنتج له كما يراعي حجم الفائدة التي يأخذها المنتج له من الخطاب، وهي بعد تداولي تنبه إليه الجرجاني.

إضافة إلى التصور التداولي عند الجرجاني، يمكن تمثيل تصور آخر أكثر جلاءً للممارسة التداولية في التراث العربي في ظاهرة "الخبر و الإنشاء"، و التي تحوي تطبيقاتها جانبا من النظريات التداولية، هو نظرية "أفعال الكلام"، اشتغلت على هذه المسألة جهود طوائف مختلفة من علماء العربية؛ فقد اهتم علماء العربية بمعاني الأساليب و أغراضها التواصلية، بالبحث في الإفادات والمقاصد الإبلابية؛ بالتالي التوصل إلى الأفعال الكلامية الخاصة بكل أسلوب، إضافة إلى استثمار علماء الأصول ظاهرة الخبر والإنشاء في إطارها التداولي اعتماداً على مقولات ومبادئ تداولية كسياق الحال، وحال المتكلم، وغرضه من الخطاب، وتصورهم لأفعال كلامية منبثقة وجديدة أثناء بحثهم في معاني الخبر والإنشاء.

إذا سلك النص العربي نهجا مشابها للنهج الغربي في الأدوات المستعملة للتحليلات النصية، وإن تميزت تلك التحليلات في شكلها الغربي بوضوح أدواتها و جلاء تقسيماتها بإقامة نظرية خاصة للنص، في حين غاب التنظير في التراث العربي. هدف نظرية النص أو نحو النص الوصول إلى ماهية النص وعوامل تشكُّله بضمِّ إجراءات تحليلية تنتمي إلى مناهج مختلفة؛ بذلك يكون المنهج الأكثر إفادة من المقولات السابقة عليه، يعتمد على:

- أدوات تمتد قدرتها التحليلية إلى ما وراء الجملة، أي أن هذه الأدوات تطَّلع على تحليل العلاقات بين الجمل، و تحليل النص بصفة شاملة؛ فهو يدرس ظواهر درسها علم اللغة النظامي، ويزيد عليه دراسات نصية، كعلاقات التماسك النصي والاتساق والانسجام، باعتماده طبعا على الإجراءات اللغوية والأدبية.

- الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي، بدأ هذا الأمر مع هاريس في دراساته التوزيعية، الموقف الاجتماعي يضمن تحقق الشرط التواصلية، و هو من أهم الشروط المتداولة في التحليل النصي، الذي لا يُبعد أثناء تحليله للنص السياق الاجتماعي، وفقا لهاتين المسألتين وبالاعتماد على حدّ دي بوجراند للنص يمكن تصوُّر قضايا نحو النص كالتالي:

- **السبك** : المعني بربط المكونات السطحية للنص.

- **الحبك** : يعني بربط التصورات الدلالية داخل النص.

- **القصديّة**: الهدف من النص.

- الموقفية: تدرس مناسبة النص لموقفه وسياقه.

- المقبولية: موقف المتلقي من النص.

- الإخبارية: تُحدد مدى توقع معلومات النص.

- التناص: هو رصد تبعية النص لنصوص أخرى.

المعايير الثالث والرابع والخامس يمكن إدراجها ضمن المبادئ التداولية لنحو النص؛ والتي تعنى بعلاقة العلامة اللغوية بمسئوليتها، لهذه المبادئ التداولية منزلة هامة في النظرية النصية؛ إذ تشكل البعد الثالث المميز لنحو النص إضافة إلى البعد التركيبي والدلالي، فهي تتزل كمشروع شاسع في النظرية النصية مهتمة بالخطاب ومناحي نصيته، وبدراسة التواصل بشكل عام انطلاقاً من ظروف إنتاج الخطاب إلى تحديد مقاصد المتكلم، وصولاً إلى أثر ذلك الخطاب على متلقيه، وكلها مسائل توفر عليها التراث العربي.

ما يمكن تصوره كنتيجة عامة هو توفر الممارسة النصية تذوقاً، وفهماً، وتحليلاً في التراث العربي، مما يوسع أفق البحث عن تلك المكامن، التي تتطلب بحثاً معمّنة ترصد الممارسات النصية في كل علوم التراث، بل يمكن أن يخصص لكل علم بحث مستقل ترصد فيه التوجّات النصية لذلك العلم.

قائمة

المصادر والمراجع



# قائمة المصادر والمراجع

## • القرآن الكريم

## • المراجع والمصادر باللغة العربية

1. أبو نصر الفاربي، كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، الطبعة الأولى، دار المشرق، بيروت، سنة: 1990.
2. إبراهيمي، حولة طالب، مبادئ في اللسانيات، دار القصة للنشر، الجزائر، سنة 2000.
3. ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، (د.ت.).
4. ابن النديم، محمد بن إسحاق، الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، سنة: 1997.
5. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين، سنة: 1418هـ.
6. ابن خلكان، أحمد ابن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، سنة: 1970م.
7. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، الطبعة السادسة، دار المعرفة، بيروت، سنة: 1983م.
8. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ، البداية والنهاية، الطبعة السادسة، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، سنة: 1980/1406.
9. أبو ديب، كمال، في الشعرية، الطبعة الأولى، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، سنة: 1987.
10. الأستريادي، رضي الدين، شرح الكافية في النحو لابن الحاجب، تحقيق: رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، سنة: 2000.
11. الآمدي، سيف الدين، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عجمي عبد الرزاق، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة: 19981م/1402هـ.
12. الأنصاري، جمال الدين، شرح شذور الذهب، تحقيق: محي عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، سنة: 1995م.
13. الباقلائي، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق: سيد أحمد صقر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر، سنة: 1971.

14. البحيري، سعيد حسن، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة: 2008.
15. البحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د.ت.).
16. البحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر لوونجمان، القاهرة، سنة: 1997،
17. بوجادي، خليفة، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الطبعة الأولى، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة: 2009.
18. بوقرة، نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، سنة: 2006م.
19. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، سنة: 1418هـ/1998م.
20. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، سنة: 1986.
21. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: محمد رشيد رضا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1988.
22. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة: 1992.
23. جمعان، عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، الطبعة الأولى، النادي الأدبي، الرياض، سنة: 2009.
24. حباشة، صابر، محاولات في تحليل الخطاب، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، سنة: 1430هـ/2009م.
25. الحربي، فرحان بدري، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، دراسة في تحليل الخطاب، الطبعة الأولى، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، سنة: 2003.
26. حسان، تمام، الأصول، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.
27. حماسة، محمد عبد اللطيف، النحو والدلالة، "مدخل لدراسة المعنى النحو الدلالي"، الطبعة الأولى، دار النشر الشروق، سنة: 2000.

28. حمودة، رفيق، الوصفية "مفهومها في النظريات اللسانية"، الطبعة الأولى، دار محمد علي للنشر، صفاقس، سنة: 2004.
29. حمودة، طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة و النشر والتوزيع، (د.ت.).
30. حمودة، عبد العزيز، المرايا المحدبة "من البنوية إلى التفكيك"، عالم المعرفة، الكويت، سنة: 1998.
31. الخطابي، أبو سليمان حمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد سلام زغلول، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، (د.ت.).
32. خطابي، محمد، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، سنة: 1991.
33. الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1982.
34. الخلايلة، محمد خليل، المصطلح البلاغي في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي، عالم الكتب الحديث أربد، الأردن، سنة: 2006.
35. خليل، إبراهيم، الأسلوبية ونظرية النص، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سنة: 1997.
36. خليل، إبراهيم، اللسانيات ونحو النص، الطبعة الأولى، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، سنة: 2007.
37. خليل، حامد، المنطق البراهمي عند تشارل ساندرس بيرس مؤسس البراهماتية، دار الينايع للنشر والتوزيع، دمشق، سنة: 1996.
38. الرّماني، أبو الحسن علي بن حسين بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، (ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز)، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، (د.ت.).
39. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت.).
40. السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري، المتزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق: علال الغازي، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، سنة: 1980.
41. السكاكي، أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت.).
42. سيويو، أبو بشر عمر بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، (د.ت.).

43. السيد، شفيح، النظم و بناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، (د.ت.).
44. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، سنة: 1964.
45. الشاطي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، سنة: 1994م.
46. الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية "تأسيس نحو النص"، الطبعة الأولى، كلية الآداب منبوبة بالاشتراك مع المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، سنة: 2000.
47. الشبل، عزة، علم لغة النص، النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، سنة: 2007.
48. الشيرازي، إبراهيم، شرح اللّمع في أصول الفقه، تحقيق: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة: 1988م.
49. صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، الطبعة الأولى، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة: 1429هـ/2008م.
50. ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، سنة: 1965.
51. طبل، حسن، المعنى في البلاغة العربية، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، سنة: 1418هـ/1998م.
52. عبد المجيد، جميل، البديع بين البلاغة العربية ولسانيات النص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة: 1998.
53. عبد المطلب، محمد، قضايا الحداثة عند الجرجاني، الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوانجمان، مصر، سنة: 1995.
54. عتيق، عبد العزيز، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت.).
55. عدنان، حسن قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، سنة: 2001.
56. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين، الكتابة و الشعر، تحقيق: مفيد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت.).
57. العسكري، أبو هلال الحسن، الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة، منشورات دار الآفاق الجديدة، لبنان، سنة: 1997م.
58. عشير، عبد السلام، عندما تتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، سنة: 2006م.

59. عفيفي، أحمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، الطبعة الأولى، مكتبة الزهراء، القاهرة، سنة: 2001م.
60. العلوي، ابن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت.).
61. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، (د.ت.).
62. العمري، محمد، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، سنة: 1999م.
63. عياشي، منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، الطبعة الثانية، مركز الإنماء الحضاري، سنة: 2002م.
64. الغدامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، سنة: 1985م.
65. فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص النثري، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، سنة: 2008.
66. فضل، صلاح، علم النص وبلاغة الخطاب، عالم الكتب، القاهرة، (د.ت.).
67. الفقطي، أنباء الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، سنة: 1950م.
68. الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، الطبعة الأولى، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة: 2000.
69. القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجعة، دار الكتب الشرفية، (د.ت.).
70. القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمان، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني، والبيان، والبدیع، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 2000.
71. القسنطيني، ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن الحسن، علي بن الخطيب، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الرابعة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، سنة: 1983.
72. القيرواني، أبو علي الحسن، بن رشيق الأزدي، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، تحقيق: يحيى محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، (د.ت.).
73. المتوكل، أحمد، الوظائف التداولية في اللغة، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء، سنة: 1985م.
74. محمد، مفتاح، دينامية النص، "تنظير وإنجاز"، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، سنة: 1990.
75. المخزومي، مهدي، في النحو العربي "نقد وتوجيه"، الطبعة الأولى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، سنة: 1964م.
76. المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، البيان والمعاني و البديع، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، لبنان، سنة: 1984.
77. مرتاض، عبد الملك، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، سنة: 2007.

78. المصري، ابن أبي الأصعب ، بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، الطبعة الثانية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، سنة: 1971.
79. المصري، ابن أبي الأصعب، تحرير التحرير في صناعة الشعر، والنثر، وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث، (د.ت.).
80. مصلوح، سعد، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن الكتاب التذكري لجامعة الكويت المقدم إلى الدكتور عبد السلام هارون، سنة: 1990م.
81. مطلوب، أحمد، مناهج بلاغية، الطبعة الأولى، وكالة المطبوعات، بيروت، سنة: 1393هـ/1973م.
82. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري "إستراتيجية التناص"، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، سنة: 1986م.
83. مقبول، إدريس، الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، (د.ت.).
84. منقور، عبد الجليل، علم الدلالة أصوله، ومباحثه في التراث العربي-دراسة- ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة: 2000.
85. موسى، خليل، جماليات الشعرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سنة: 2008.
86. نخلة، محمود أحمد، علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليدي، الطبعة الثانية، ملتقى الفكر، سنة: 2001.
87. هارون، عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، مصر، سنة: 1979م.
88. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار المأمون، القاهرة، سنة: 1936م.
89. يقطين، سعيد، انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، (د.ت.).

### • الدواوين الشعرية:

90. أبو نواس، الحسن بن هانئ، الديوان، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة: 1425هـ/2005م.
91. البحتري، أبو عبادة الطائي، الديوان، شرح: يوسف الشيخ محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة: 1987.
92. زهير بن أبي سلمى، الديوان، شرح: فاعور، علي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1988.
93. الشنقيطي، أحمد بن الأمين، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة: 2005.

94. الطائي، أبو تمام، الديوان، شرح: التبريزي، دار المعارف، مصر، (د.ت.).
95. الفرزدق، الديوان، تقديم و شرح: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، سنة: 2004.
96. الكندي، امرؤ القيس بن حجر، الديوان، شرح: أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، سنة: 1974.
97. المتني، أبو الطيب، الديوان، تعليق: يحيى شامي، الطبعة العاشرة، دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة: 2004.

### • المراجع المترجمة:

98. إيفانكوس، خوسيه ماريا يوثولو، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة: حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، القاهرة، (د.ت.).
99. برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمة: سعيد حسن البحيري، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، سنة: 2005.
100. جينات، جيرار، عتبات من النص إلى المناص، تقديم: سعيد يقطين، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر، سنة: 2008.
101. دلاش، الجليلي، مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة: 1992.
102. روبول، آن، و موشلار، جاك، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت.).
103. ستروك، جون، البنية و ما بعدها، من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، سنة: 1996.
104. فاندريك، تون، علم النص "مدخل متعدد الاختصاصات"، ترجمة: سعيد حسن البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، سنة: 2001م.
105. فاندريك، تون، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، سنة: 2000.
106. كريستيفا، جوليا علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، المغرب، سنة: 1991م.
107. هاينيه، فولفجانج و ديتير، فيهفيجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، سنة: 1996م.

108. واورزنيك، زتسيسلاف، مدخل إلى علم النص، ترجمة: البحيري، سعيد حسن، الطبعة الأولى، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، القاهرة، سنة: 2003.

### • الرسائل والمخطوطات:

109. بوكلكة صورية، المصطلح الإعلامي العربي، دراسة في ضوء اللسانيات التداولية، رسالة ماجستير، جامعة وهران، السانية، سنة: 2008/2007.

110. فرحات الأخضر، نظرية المحاكاة عند حازم القرطاجني، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، سنة: 2005/2004.

### • الدوريات والمجلات:

111. بوقرة، نعمان ، نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة، مجلة علامات، الجزء الواحد و الستون، المجلد السادس عشر، جمادى الأول، سنة: 1428هـ.

112. سلوم، تامر، بنية النظم وتركيبه عند عبد القاهر الجرجاني (قراءة في ضوء البنيوية)، مجلة الطريق، العدد الأول، فبراير 1995.

113. مسيس، رياض ، لسانيات النص، حول بعض المفاهيم، المرجعيات والأبعاد، مجلة المبرز، تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة، كلية الآداب بوزريعة، الجزائر، سنة: 2002م.

### • المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

114. M.AK. Halliday and ruqaiya Hasan cohesion in English, Longman, London.



# فهرس الموضوعات

# الفهرس

إهداء

شكر

مقدمة ..... أ

## مدخل: أثر الدرس الإعجازي في التأسيس لمعاني النحو

1. الرماني: بداية الاهتمام بالعلاقات داخل النص ..... 03
2. الخطابي: الجمع بين اللفظ والمعنى في تصور مفهوم النظم ..... 06
3. الباقلائي: ربط مصطلح النظم بالطرق المتفردة للتأليف ..... 07
4. القاضي عبد الجبار المعتزلي: ضمّ وتركيب الكلام أساس نظرية النظم ..... 07

## الفصل الأول: المرجعية العربية في التأسيس لنحو النص

- 1- رهان استيعاب المنوال التراثي مبادئ نحو النص ..... 11
- أولاً: أهمية التركيب في التراث العربي ..... 12
- ثانياً: منح الأولوية في الجهاز الإعرابي للمعنى واللفظ معاً ..... 12
- ثالثاً: عناية البلاغة العربية بالترابط ..... 13
- 2- البعد النصي للجهاز المفهوماتي للنظم ..... 14
- مسألة التماسك النصي ..... 14
- أولاً: البعد التماسكي لمسألة الفصل والوصل ..... 15
- الفصل والوصل في البلاغة العربية ..... 15
- الأبعاد التماسكية لمبحث الفصل والوصل عند الإمام الجرجاني ..... 17
- 1- التماسك النحوي ..... 17
- آلية عمل الوصل في تماسك النصوص ..... 17
1. عطف المفرد على المفرد ..... 17
2. عطف الجملة على الجملة ..... 18

- آلية عمل الفصل في تماسك النص ..... 18
- 2- التماسك المعنوي من خلال الفصل والوصل ..... 19
1. فاعلية الوصل ..... 19
- أ. الاشتراك والتناظر ..... 19
- ب. الإخبار عن الأول وعن الثاني ..... 20
2. فاعلية الفصل ..... 20
- أ- التأكيد ..... 20
- ب - صيغة الخطاب ..... 21
- ثانيا: الأبعاد النصية لمبحث التقديم والتأخير ..... 24
- 1- الاستفهام ..... 24
- 2- النفي ..... 27
- 3- الخبر ..... 28
- ثالثا: الحذف ..... 30
- 3- مسائل تماسكية أخرى عند الجرجاني ..... 31
- أولا: التمثيل فاعل في انسجام النص ..... 31
- ثانيا: الإحالة ..... 34
- 4- مظاهر بديعية عربية تهفو إلى قضايا نحو نصية ..... 35
- أولا: التكرار ..... 36
- ثانيا: المصاحبة اللغوية ..... 41
- 5- تماسك النص عند حازم القرطاجني 'النظرية والتطبيق' ..... 45
- إستراتيجية تماسك النصوص ..... 46
- أولا: آليات تماسك الفصل ..... 46
- ثانيا: آليات تماسك الفصول ..... 49
- ثالثا: تفعيل عملية تماسك النصوص ..... 50

- 6- تمهي مفهوم التناص ومفهوم حسن الأخذ عند العسكري ..... 52
- أولاً: أشكال التناص عند العسكري ..... 53
- الفصل الثاني: قطوف من الأبعاد التداولية في التراث العربي**
- 1- أصول التداولية في الدرس البلاغي العربي ..... 57
- أولاً: تداولية المتكلم/ المخاطب ..... 57
- ثانياً: تداولية السامع/المخاطب ..... 58
- ثالثاً: تداولية الخطاب ..... 59
1. مسألة التداولية ومقتضى الحال ..... 59
2. الأبعاد التداولية لمبحث الخبر، والإنشاء ..... 60
- 2- البعد التداولي للجهاز المفهومي للنظم ..... 60
- أولاً: الوظيفة التداولية لتغير المواقع في الكلم ..... 61
- الإفادة؛ مبدأ تداولي لآلية التقديم والتأخير ..... 62
- الاستفهام بالهمزة في التقديم والتأخير في الفعل الماضي والفعل المضارع ..... 63
- الجوانب التداولية لمواضع التقديم والتأخير في النفي ..... 64
- ثانياً: فاعلية الحذف في خلق أبعاد تداولية ..... 64
- ثالثاً: الجانب التداولي لمسألة الفصل والوصل ..... 66
- الدواعي التداولية للفصل والوصل ..... 66
- الأفعال الكلامية في الفصل والوصل ..... 67
- 3- الأبعاد التداولية لمسألة الإسناد بين تصور شراح المفتاح وتصور فانديك ..... 69
- أولاً: المسند والمسند إليه عند فانديك ..... 70
- ثانياً: بين تصور الشراح للإسناد وتصور فانديك ..... 72
- 4- تمظهرات "أفعال الكلام" من خلال ظاهرة الخبر والإنشاء ..... 74

74	أولاً: إستراتيجية استيعاب الخبر والإنشاء لظاهرة أفعال الكلام
74	1. مسألة الصدق والكذب
75	2. مسألة مقصدية المتكلم
75	ثانياً: تقسيمات العلماء العرب للخبر والإنشاء، تقاطع مع مفاهيم تداولية
76	ثالثاً: تصور الصيغة اللغوية والعمل المنجز بها
77	5- تحليلات أفعال الكلام في الأساليب العربية
78	أولاً: التأكيد
81	ثانياً: التحذير والإغراء
82	ثالثاً: الدعاء
82	رابعاً: الندبة
82	خامساً: الوعيد
82	6- تصور الأفعال الكلامية عند الأصوليين
83	أولاً: أفعال الكلام المنبثقة عن الأسلوب الخبري
84	الشهادة والرواية مطبق عليهما قوانين الخبر
84	1. جهة نوع المخبر عنه
84	2. جهة السياق الاجتماعي العام "الرسمي" أو "غير الرسمي"
85	النفي
86	أفعال منبثقة من خلال تغير صيغتها
87	الجوانب التداولية لألفاظ وصيغ الطلاق
87	1. القصد والنية في فعل "الطلاق"
87	2. الصراحة والكناية في لفظ الطلاق
88	الخلفية التداولية لصيغ البيع
88	ثانياً: تصور الأفعال الكلامية المنبثقة عن الأسلوب الإنشائي
89	الأفعال الكلامية المنبثقة عن الأوامر والنواهي

92	الأفعال الكلامية المنبثقة عن الأمر
<b>الفصل الثالث: مقارنة تنظيرية لقضايا نحو النص</b>	
95	1- في مفهوم نحو النص وأسباب التوجه نحوه
95	مفهوم النص
97	مفهوم نحو النص
100	أسباب التوجه نحوِ النص
100	أ- المتعلقة بأولوية النص
101	ب- الأسباب المتعلقة بالإحساس بضرورة الوظيفة الاجتماعية
102	أهداف نحو النص
102	أ- الوصف النصي T/ Description
103	ب- التحليل النصي T. Analysis
105	2- قضية السبك ضمن قضايا نحو النص
105	أولاً: الإحالة
106	فاعلية الإحالة في تحقيق سبك النص
108	ثانياً: الاستبدال
109	فاعلية الاستبدال في سبك النص
109	ثالثاً: الحذف
110	فاعلية الحذف في إحداث السبك النصي
111	رابعاً: الوصل
111	فاعلية الوصل
112	خامساً: الاتساق المعجمي
112	1. التكرار
112	أولاً: الترادف
113	ثانياً: الاسم العام

113	ثالثا: الكلمة الشاملة .....
113	2. التضام .....
113	أولا: التضاد .....
113	ثانيا: علاقة الجزء بالكل .....
114	ثالثا: علاقة الجزء بالجزء .....
114	رابعا: الارتباط بموضوع معين .....
114	فاعلية الاتساق المعجمي في إحداث السبك النصي .....
115	3- الحبك Cohérence: تمكين الدلالة .....
116	أولا: الترابط .....
118	ثانيا: الانسجام .....
120	ثالثا: موضوع الخطاب .....
121	رابعا: ترتيب الخطاب .....
123	4. القضايا التداولية في نحو النص .....
123	متزلة النظرية التداولية في النظرية النصية .....
125	ملامسة مفهوم التداولية، تحديدات أولية .....
125	مفهوم المنهج التداولي .....
126	مسيرة المقاربة التداولية .....
128	القضايا التداولية في نحو النص .....
129	أولا: المقصدية .....
130	ثانيا: المقبولية .....
132	ثالثا: الإعلامية .....
133	رابعا: المقامية .....
134	متزلة السياق بين قضايا نحو النص .....
134	أشكال السياق .....

134.....	أولاً: السياق السابق: Pré-context
134.....	1. سياق الموقف
134.....	2. السياق الثقافي
134.....	ثانياً: السياق المصاحب
135.....	ثالثاً: السياق اللاحق
135.....	علاقة السياق بنحو النص
138.....	5. قضية التناص
138.....	مفهوم التناص
139.....	أشكال التناص
141.....	خاتمة
146.....	قائمة المصادر والمراجع
155.....	فهرس الموضوعات